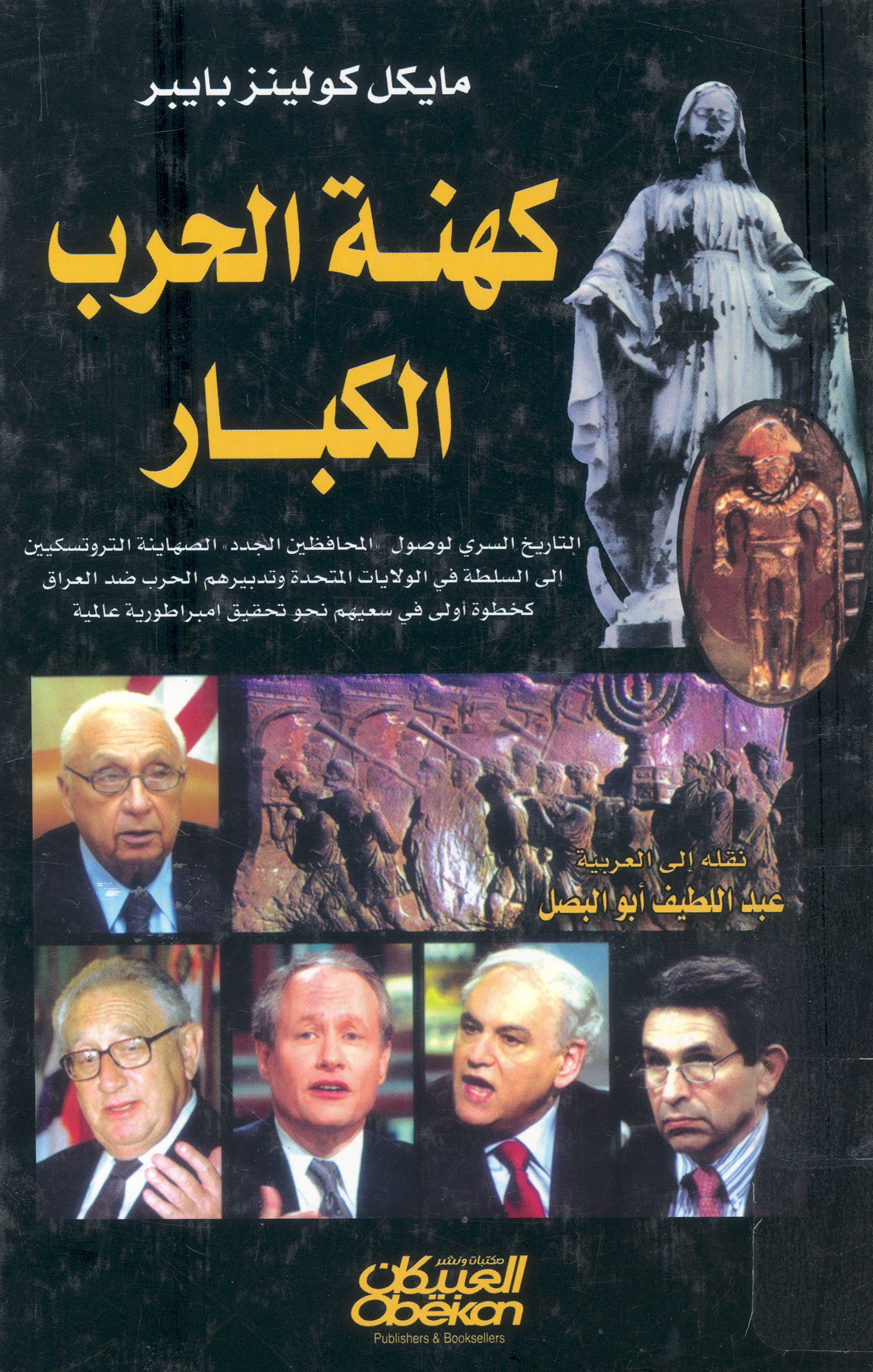


مايكل كولينز بايبر
كهنة الحرب الكبار
التاريخ السري لوصول «المحافظين الجدد» الصهاينة التروتسكيين
إلى السلطة في الولايات المتحدة وتدبيرهم الحرب ضد العراق
كخطوة أولى في سعيهم نحو تحقيق إمبراطورية عالمية
نقله إلى العربية
عبد اللطيف أبو البصل
مكتبات ونشر
العبيكان
Obeikan
Publishers & Booksellers

كهنة الحرب
الكبار

كهنة الحرب الكبار

التاريخ السري لوصول "المحافظين الجدد" التروتسكيين إلى السلطة في الولايات المتحدة وتدبيرهم الحرب ضد العراق كخطوة أولى في سعيهم نحو تحقيق إمبراطورية عالمية"

تأليف

مايكل كولينز بايبر

نقله إلى العربية

عبد اللطيف أبو البصل



Original Title:

THE HIGH PRIESTS OF WAR

By:

MICHAEL COLLINS PIPER

ISBN 0-9745484-1-3

Published By: American Free Press

المملكة العربية السعودية، طريق الملك مع تقاطع العروبة، ص. ب: 62807 الرياض 11595

Obeikan Publishers, North King Fahd Road, P. O. Box 62807, Riyadh 11595, Saudi Arabia

الطبعة العربية الأولى 1427هـ. 2006م

ISBN 8-841-40-9960

© مكتبة العبيكان، 1427هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بايير، مايكل

كهنة الحرب الكبار. / مايكل بايير؛ عبداللطيف أبوالبصل. - الرياض، 1426هـ

284 ص؛ 14×21سم

1- الولايات المتحدة - الأحزاب السياسية 2- الولايات المتحدة - نظام الحكم

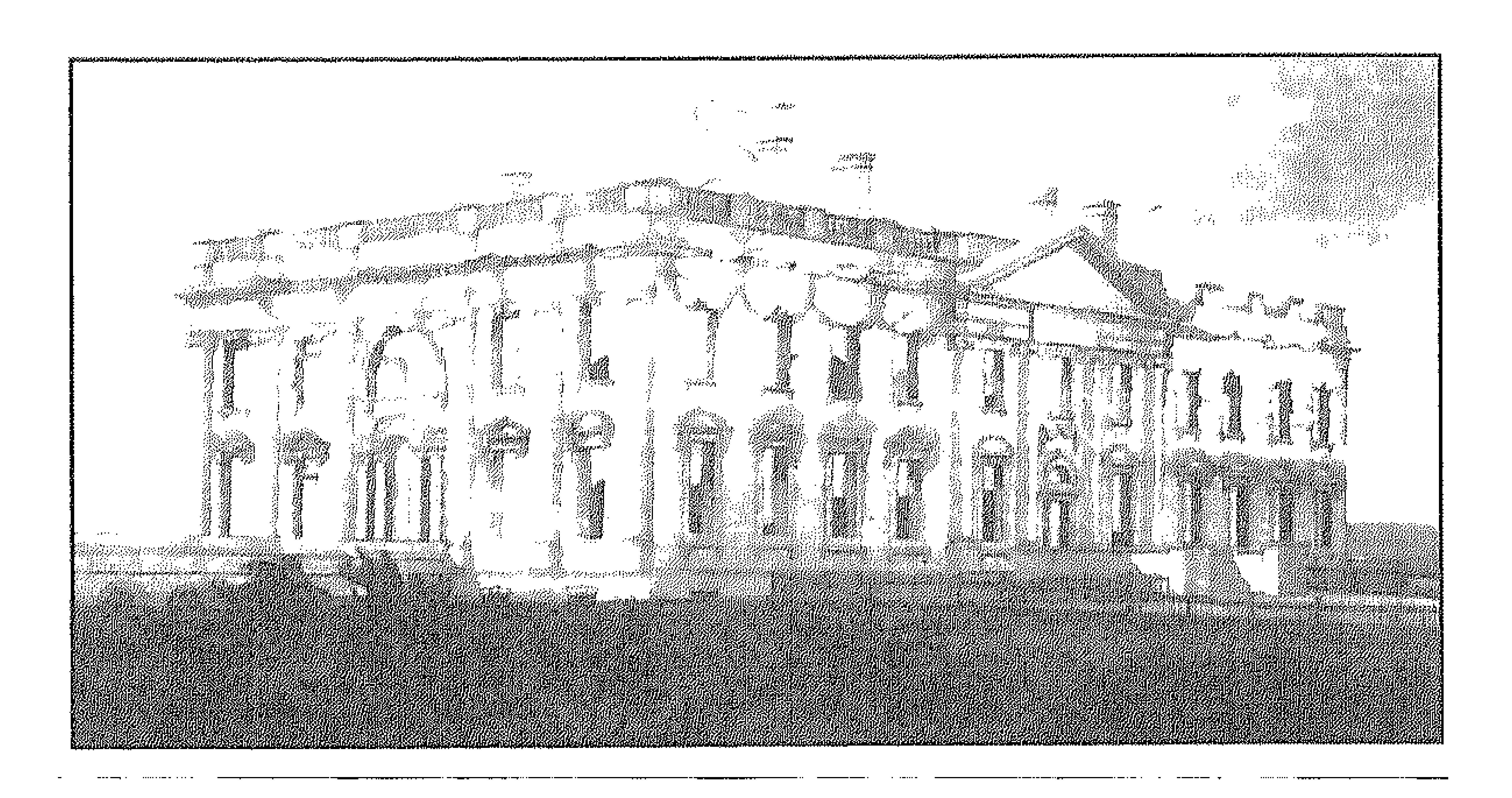
أ. عبدالرحمن، عبداللطيف (مترجم) ب. العنوان

ديوي 320.973 1426/5500

رقم الإيداع: 1426/5500

ردمك: 8 - 841 - 40 - 9960


بسم الله الرحمن الرحيم



«الأماكن السيئة»...

"إن قائمة الأماكن السيئة لا تبدأ بالبيوت المسكونة بالجن وتنتهي بالفنادق المهجورة؛ فقد سمعنا بقصص مرعبة تحكي عن محطات القطارات والسيارات والشقق وبنايات المكاتب التي سكنتها الأشباح والأرواح الشريرة. وقائمة هذه الأماكن ليست لها نهاية. ولعل أصل هذه القصص والروايات يعود إلى رجل الكهف الأول الذي اضطر إلى التخلي عن كهفه الصخري لأنه كان يسمع ما يشبه الأصوات تتردد داخل المغارة في الظلام. وبصرف النظر عما إذا كانت تلك الأصوات أصواتاً حقيقية أم أنها كانت بفعل الرياح، إلا أن هذا السؤال يتردد في أذهاننا عندما نجد أنفسنا في مكان يخيم عليه الظلام الدامس".

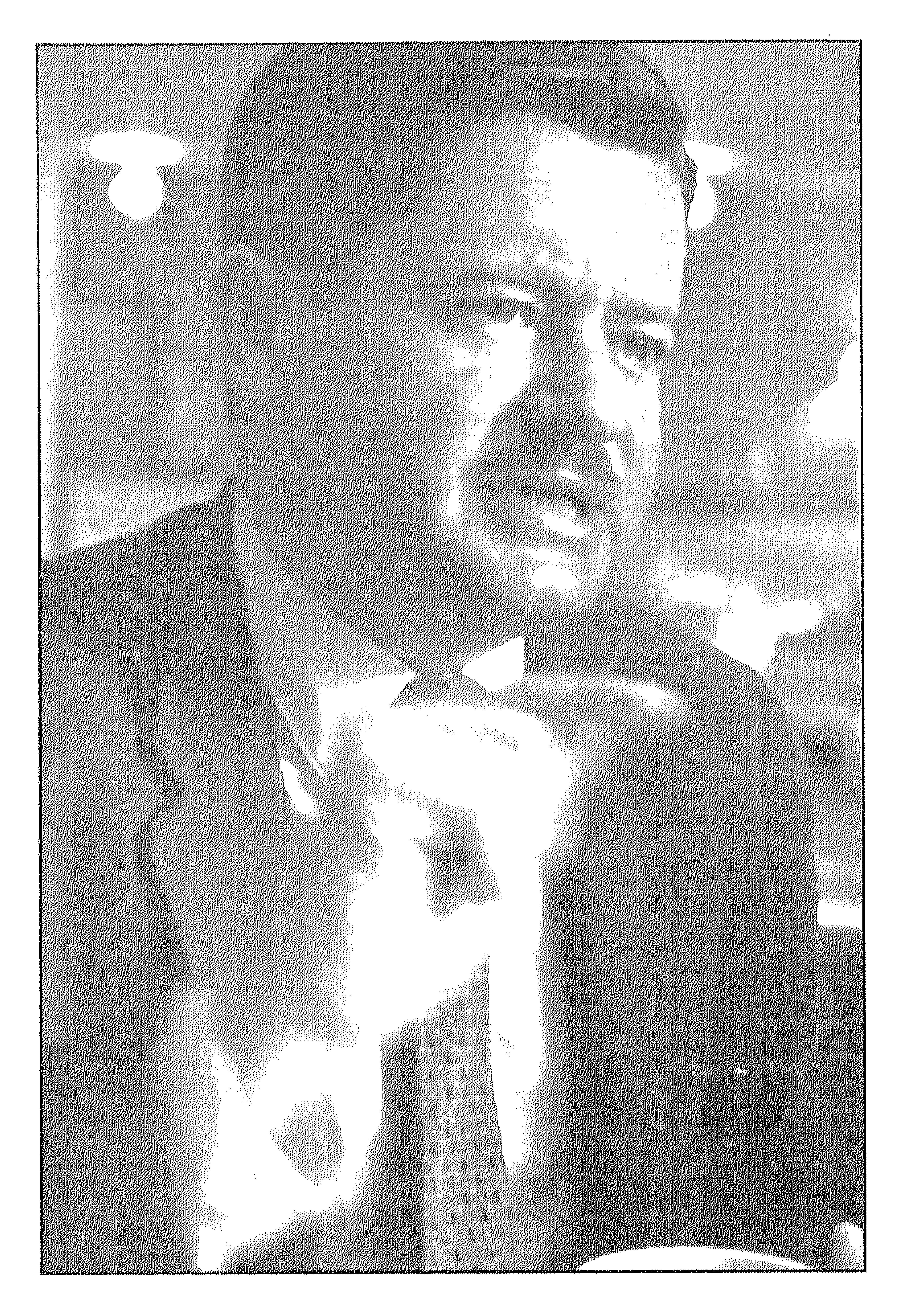
أستاذ الرعب: ستيفن كينغ

كهنة الحرب الكبار هو كتاب غير خيالي يشبه إلى حد ما رواية رعب من القرون الوسطى تحكي قصة كلاسيكية تدور حول قصر مسكون عششت فيه الأرواح الشريرة. إنها قصة ملك شاب ثري – ينحدر من أسرة مرموقة – حجب نفسه عن الناس في قصر فخم، بعد أن اجتمعت له سلطات واسعة وموارد كثيرة، ولكنه محاط بقوى شريرة حقودة تلبسته، فهي توسوس له وتسخره... "من هناك في الظل".

إلا أن كهنة الحرب موجودون حقيقة في حياتنا. والدمار والضرر الذي جلبه هؤلاء المحافظون الجدد دعاة الحرب على الولايات المتحدة والعالم كبير وجسيم.

وإذا استمر هؤلاء المحافظون الجدد في توجيه دفة الدمار، فإننا لن نفاجأ إذا رأينا البيت الأبيض وقد تحول في يوم من الأيام إلى خربة محروقة، تماما كما فعل البريطانيون عام 1814 عندما أضرموا فيه النيران: إما على يد ثورة غاضبة من الأمريكيين الوطنيين، أو بفعل هجوم من قوة خارجية مصممة على وضع حد نهائي لمكائد ودسائس كهنة الحرب الكبار.

والشيء الوحيد الذي بات أكيدا هو: أن الوقت قد حان. وينبغي فعل شيء ما...



آندرو سينت جورج

25 أكتوبر 1923 — 2 مايو 2001

إهداء

إلى آندرو سينت جورج

الصحفي الشجاع الذي تصدر تغطية المكائد والدسائس الغريبة للمحافظين الجدد المتعطشين للحرب قبل زمن طويل من ظهورهم في وسائل الإعلام بصفتهم لاعبين في الخط الأمامي على المسرح الدولي.

صديق عزيز وشخصية لا تنسى، أديب بارع، وزوج مخلص وأب فخور بأبنائه. لقد كان آندرو معلماً ناصحاً وصحفياً دولياً بسجل حافل بالإنجاز قل أن تجد نظيراً له.

وقد كشف أول ريبورتاج أعده آندرو عن الخطر الحقيقي الذي يشكله المحافظون الجدد على السلام العالمي. وهم فعلاً كذلك.

مايكل كولينز بايبر

سيناتور أمريكي يخرق جدار الصمت:

ما هو الهدف الحقيقي الذي يموت في سبيله الأمريكان في العراق...

"... مع مقتل أكثر من 760 جندياً؟ وإصابة أكثر من 3000 جريح بعاهة مستديمة، يتساءل الناس لماذا ذهبنا إلى العراق — وما السبيل للخروج من هناك... لقد اعترف الرئيس بوش نفسه بأن صدام حسين لم يكن له علاقة بهجمات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر... وطبعاً لا يوجد في العراق أسلحة دمار شامل. إن جهاز الاستخبارات الإسرائيلي، الموساد، يعرف ما يجري في العراق. إنهم الأفضل. إنه يتحتم عليهم أن يعرفوا ما يحدث هناك، لأن بقاء إسرائيل يعتمد على ذلك. ولو كانت هناك أسلحة دمار شامل في العراق، أو لو أنها نقلت إلى مكان آخر لقادتنا إسرائيل إلى مكان وجودها. وإذا كان العراق لا يشكل خطراً على الولايات المتحدة، فلماذا إذن احتلال دولة ذات سيادة؟ الجواب هو: سياسة الرئيس بوش في حماية وتعزيز أمن إسرائيل".

السيناتور الأمريكي إرنست ف. هولينغز

(ديمقراطي عن ولاية ساوث كارولينا)

في مقالة نشرتها تشارلستون بوست آند

كوريور، 6 مايو/أيار 2004.

بسبب إدلائه بتلك التصريحات الصريحة في مقال ذكر فيه عدة أسماء "لكهنة الحرب الكبار" الموصوفين في هذا الكتاب، تعرض السيناتور هولينغز – الذي يعتبر صديقاً قديماً للمؤسسة العسكرية الأمريكية – لانتقادات ساخطة من منظمة مكافحة التشهير (Anti Defamation League) وهي من المنظمات اليهودية القوية في الولايات المتحدة والمعروفة اختصاراً (ADL) ومن عدد كبير من السياسيين الساعين لخطب ود اللوبي الإسرائيلي. ومع ذلك، وقبل تلك التصريحات بقليل، ذكرت صحيفة فوروارد Forward، وهي صحيفة يهودية مرموقة، أن إسرائيل استفادت من الحرب على العراق – "بشكل منقطع النظير" على حد قول الصحيفة – وأن الاستخبارات الإسرائيلية قدمت معلومات استخدمتها حكومة بوش في تسويغ احتلال العراق. (انظر لاحقاً ما ذكرته الفوروارد).

صحيفة يهودية مشهورة توضح:

إسرائيل استفادت "على نحو منقطع النظير" من حرب العراق...

"لقد كانت إسرائيل، عشية بدء الحرب، مؤيداً متحمساً – لكن بهدوء – لخطط الحرب الأمريكية على العراق. فقد كان من المتفق عليه أن قوة صدام حسين العسكرية جعلته من أخطر أعداء الدولة اليهودية...وكان ينظر إلى الإطاحة به على أنها

ستخلص إسرائيل من أكبر خطر حقيقي يهدد وجودها...[وأن إسرائيل] وبكل اندفاع قدمت العون... وتبادلت المعلومات...التي من شأنها أن تساعد العمليات الأمريكية حول القدرات والنوايا العراقية...ولكن ولأن إسرائيل استفادت بشكل خاص من هذه الحرب التي أثارت جدلاً متزايداً في الولايات المتحدة وحول العالم، فإن المخاوف من المجاهرة بهذا الموقف قد تزايدت بشكل أكبر الآن مما كانت عليه قبل الحرب."؟

الصحيفة اليهودية الأسبوعية فوروارد التي

تصدر في نيويورك، عدد 16 إبريل/نيسان، 2004

تقديم:

سلطة بدون مسؤولية...

على الرغم من أن الكثير قد كتب مؤخراً حول مكائد المحافظين الجدد الذين يسيطرون على حكومة جورج دبليو بوش، إلا أن كهنة الحرب الكبار يعتبر أكثر عمل شامل متوفر حول هذا الموضوع. ويستطلع الكتاب بشكل خاص أجندة المحافظين الجدد من منظور تاريخي مهم تم تجاهله في خضم الجدل القائم حالياً.

ولعل من الصواب القول بأن المؤلف، مايكل كولينز بايير، كان من أوائل الصحافيين الذين أدركوا تغلغل المحافظين الجدد في المراتب العليا من الأجهزة السياسية والاستخباراتية الأمريكية، وبدأ الكتابة عن هذه الظاهرة في وقت يعود إلى مطلع الثمانينيات من القرن الماضي. ويعترف بايير بفضل زميلنا ورفيقنا القديم الصحافي الراحل آندرو سينت جورج – الذي أهدي هذا الكتاب لذكراه – بوصفه أول من أخرج ريبورتاجاً حول المحافظين الجدد، ويمكن القول بحق أن آندرو سينت جورج هو الأب الروحي لهذا الكتاب المهم. في تصديه لأكبر مشكلة سياسية في عصرنا الحاضر وتحليل أصولها بمهارة، وتسمية الأشخاص بأسمائهم ووصف أجندة وأوزار

مجموعة متماسكة بإحكام، موغلة في الدهاء، تقوم بتحريك الدمى على المسرح السياسي. ومن هذا المنطلق، يعتبر كتاب كهنة الحرب الكبار عملاً فريداً في نوعه.

لقد حقق المحافظون الجدد هدفهم السياسي الأسمى: فقد امتلكوا السلطة ولكن بدون تحمل أية مسؤولية عن وضع أمريكا على مسارها الكارثي المدمر، وحصنوا أنفسهم من أية مسؤولية أو خطأ بفضل تحكمهم بوسائل الإعلام.

وهكذا، وفي الوقت الذي تترنح فيه بلدنا متقلبة من مصيبة إلى أخرى، تقوم وسائل الإعلام بتقديم صورة وردية عن الأمور للشعب الأمريكي، أو يتم توجيه اللوم والمسؤولية إلى الساسة الذين يتم استبدالهم من فترة لأخرى عن طريق لعبة الانتخابات بينما يعزز المحافظون الجدد مواقعهم.

إن هذا السيناريو الخسيس تجهله غالبية الشعب الأمريكي باستثناء حفنة قليلة من الوطنيين الشرفاء. ولو قدر لشريحة كبيرة من الشعب الأمريكي أن تستيقظ على الحقائق السياسية التي وصفها مايكل كولينز بايبر بكل وضوح في هذا الكتاب فإن إظهار الحقيقة وحده كفيل بأن يضع حداً للمؤامرة.

دبليو إي كارتو

تمهيد:

«لقد حان الوقت لإعلان الحرب على كهنة الحرب الكبار»

على الرغم من أن غالبية – وبالتأكيد ليس كل – الشعب الأمريكي الذين ناهضوا الشيوعية كانوا مخلصين في مشاعرهم تلك، إلا أنه من المهم أن نواجه الحقيقة المؤلمة والمحزنة: ألا وهي أن الحرب الباردة كانت في معظمها حيلة وخدعة.

وفي الوقت الذي كان يطلب فيه من أفراد الشعب الأمريكي العادي أن يخافوا ويخشوا من الاتحاد السوفييتي، كانت المصارف والشركات الصناعية الأمريكية الكبيرة منهمكة في عقد صفقات مربحة مع كبار رجالات الحزب الشيوعي. وحتى الحكومة الأمريكية نفسها سهلت وصول كميات كبيرة من التقنية والمعلومات المتعلقة بصناعة السلاح إلى خصمنا المفترض. لذلك نقول نعم، لقد كانت الحرب الباردة إلى حد كبير خدعة.

إن تفهمنا وقبولنا تلك الحقيقة الصعبة يجعل من الممكن مراجعة وإعادة تقويم جنون النخبة العالمية globalist على مدى الخمسين سنة الماضية، ويمكننا من تهيئة أنفسنا للمعركة الحقيقة القادمة والضرورية للبقاء.

وإلى أن يستعدّ الأمريكيون للاعتراف بأن المشاعر المحمومة المعادية للشيوعية التي استنفذت فيها كثير من الطاقات كانت فعلاً مضللة وعقيمة، فإنه لا مغزى من مواصلة الكفاح. فقد كنا نحارب على مدى أجيال ما كان يفترض أنه "العدو" في الخارج، ولكن العدو الحقيقي كان هنا – متغلغلاً في الداخل ويسيطر على مراكز القوة في المراتب العليا في أجهزة الأمن القومي والاستخبارات الأمريكية.

وكما تشير الأدلة المبسوطة في هذا الكتاب بكل وضوح، فإن الخطر السوفييتي مهما بلغ من حد في وقت من الأوقات، كان في العقود الماضية في حالة من الانحدار والتقهقر وتناقص في القوة. ولكن قوى المحافظين الجدد كانت دائماً متحفزة وحريصة على استغلال المخاوف من قوة الاتحاد السوفييتي من أجل تحقيق مآربهم الضيقة، فعملوا على تضخيم وتهويل القوة العسكرية السوفيتية والنوايا السوفيتية. ويجب القول في هذا المقام أن أساس أجندة المحافظين الجدد منذ البداية لم تكن مقصورة على الأمن، بل كانت تشمل تعزيز الأهداف الإمبريالية لدولة إسرائيل.

يجب علينا أن نهجر لغة خطاب الماضي البالية ونركز على الخطر الحقيقي الذي يواجه أمريكا وسيادة الدول والأمم اليوم: إنها القوى الإمبريالية المجنونة المصممة على استخدام الموارد والقوة

العسكرية الأمريكية من أجل فرض دولة بوليسية عالمية تحت سيطرة قلة مختارة: النخبة الدولية وعملائهم من الساسة المأجورين والبيروقراطيين عديمي المبدأ والمرتزقة من رجال الإعلام الذين يمجدون ويروجون لأجندة حكام المستعمرة العالمية التي صممت على غرار النظام العالمي الجديد.

لقد كانت مجلة سباتلايت The spotlight محققة عندما تجرأت وأعلنت في أعقاب انهيار الإمبراطورية السوفييتية، أن "الشيوعية قد ماتت". إلا أننا ما زلنا نجد بعض المعاندين الذين رفضوا قبول هذه الحقيقة. وبقي أتباع جمعية جون بيرتشر؟ يصرخون "لا لا، الشيوعية لم تمت. إنها حيلة. لقد لجأ الشيوعيون إلى العمل السري، وهم ينتظرون الفرصة لتوجيه ضربتهم"

وما زال أتباع جمعية بيرتشر ومن ماثلهم يعتقدون أن جوزيف ستالين مختبئ في خزانة الكرملين، ينتظر ليخرج في اللحظة المناسبة ليوجه ضربته القاضية. ومن عجائب الأقدار أن أتباع جمعية بيرتشر أدركوا الآن فقط أن المحافظين الجدد الذين كانوا يروجون لهم على مر السنين في مطبوعاتهم مثل ريفيو أوف ذي نيوز Review of the News ونيو أميريكان The New American، لم يكونوا في يوم من الأيام وطنيين ولا محافظين لا من قريب ولا من بعيد.

إن هـذه الفئـة ذاتهـا الـتي أشـرعت سـيوفها في وجـه "الخطـر الشيوعي" بدأت الآن باستخدام "الخطـر الإسـلامي" بوصفه الخطـر الجديد الـذي يجب القضـاء عليه. وهـذا لـيس مـن العجيب. فخـلال سنوات الحرب الباردة، وعلى مدى سنين عديدة، أذاع "المحـافظون الأمريكيـون" وبخاصـة أتبـاع جمعيـة بيرتشـر – ودون أي اعتبـار للحقائق – أن منظمة التحرير الفلسطينية كانت جزءاً من "شـبكة إرهابية مدعومة من السوفييت".

وإذا كـان للحقيقـة أن تظهـر، فإنـه لـيس مـن المسـتغرب أن الخرافات حول المنظمة انتشرت على يد كتاب موالين لإسرائيل من المحـافظين الجدد، مثل كلير ستيرلنغ Clair Sterling، الـذي أعـد "دراسـة" شـائنة بعنـوان " شـبكة الإرهـاب" The Terror Network والتي أصبحت فيما بعد مرجعاً معتمداً لـدى اللوبي الإسـرائيلي في حملاته لإحباط القضايا الوطنية الفلسطينية.

واليـوم، وباسـم "محاربـة الإرهـاب" نـذر صـناديد المحـافظين الجدد أعداء الشيوعية كل دعمهم لتكريس دولة البوليس هنـا في أمريكا تحت ذريعة "حماية الحرية".

وفي هذا الخصوص، نلاحظ أنه قبل أكثر من 50 عامـاً، وفي الأيـام الأولى مـن بدايـة الحـرب البـاردة، قـام رجـل السـي آي إيـه (وكالـة الاسـتخبارات المركزيـة الأمريكيـة) السـابق وليـام إف

بكلي، الذي ما لبث أن أصبح "قائد" حركة "المحافظين" في أمريكا، بتجلية المسألة بوضوح عندما كتب في مجلة الكومنويل Commonweal، في 25 يناير/كانون الثاني، 1952، معلناً أنه مستعد لدعم "حكومة كبيرة؟" خلال فترة [الحرب الباردة] لأنه – كما أعلن – لا يمكن تحقيق نصر شامل على الخطر الشيوعي إلا "بوجود بيروقراطية شاملة في أمريكا".

لقد وضعت الحرب الباردة على الشيوعية أوزارها الآن، ولكن الحرب على الإسلام (والمسماة "الحرب على الإرهاب") هي الحرب الجديدة الساخنة التي تدق طبولها الآن. وهنا وعلى الأرض الأمريكية لدينا جهاز جديد يسمى وزارة الأمن القومي Department of Homeland Security هدفه قمع الحريات تحت ستار حماية الأمن والحرية. فلماذا العجب إذن؟

إن "الخطر الشيوعي" لم يكن له وجود في يوم من الأيام داخل الحزب الشيوعي الأمريكي الذي كان يسيطر عليه في أعلى مراتبه موريس تشيلدز Morris Childs، وكما أشارت الأمريكان فري برس American Free Press، كان عميلاً تحت إشراف إدغر هوفر J.Edgar Hoover مدير مكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكية FBI. وتشيلدز هذا هو صهيوني روسي انقلب على الشيوعية السوفيتية بعد أن استشعر النزعة الوطنية الروسية تحت

قيادة ستالين. فالحزب الشيوعي الأمريكي لم يكن في يوم من الأيام يشكل خطراً على الولايات المتحدة على الرغم من أن هوفر – وهو صديق قديم لمنظمة أنتي دفيميشن ليغ الصهيونية Anti Defamation League – كان يستخدم ذلك الحزب الصغير كغطاء سري لأجندة "مستشاريه" من خلف الستار.

كما لم يكن هناك أي خطر شيوعي قادم من التيار "الليبرالي" في الحزب الديمقراطي. لا، لم تكن الخطة الاقتصادية الجديدة New Deal ولا الخطة العادلة Fair Deal ولا كامليوت Camelot أو خطة المجتمع العظيم Great Society أو الكلينتونية، هي التي جلبت طرازاً أمريكياً جديداً معدلاً من التروتسكيين البلشفيين إلى أمريكا. بدلاً من ذلك، تسرب هؤلاء التروتسكيون البلشفيون إلى قمة هرم السلطة في أمريكا على يد جورج دبليو بوش رجل "المحافظة الرحيمة" compassionate conservatism الذي يطلق عليه الآن لقب "رونالد ريغان الجديد".

وليس من محض المصادفة – وبعد أيام قليلة من بدء الحرب على العراق – أن تغلق مطبوعة بارتزن ريفيو Partisan Review أبوابها، وهي المجلة الرسمية الناطقة بلسان التروتسكيين في أمريكا. والحقيقة هي أن تلك المجلة الفكرية الصغيرة لم يعد لها

سبب للوجود بعد وصول التروتسكيين إلى السلطة من الباب الخلفي.

يقدم هذا الكتاب نظرة مجملة ولكن مفصلة لمكائد المحافظين الجدد. وقد كان بالإمكان التوسع أكثر في الكتابة لولا مخافة تشتيت الفكرة. ومع ذلك، فإنه من المناسب أن أختم هذه المقدمة بالقول:

إنه قد حان الأوان لإعلان الحرب على كهنة الحرب الكبار...

مايكل كولينز بايبر

ملخص الكتاب:

كهنة الحرب الكبار

التاريخ السري لكيفية وصول "المحافظين الجدد" التروتسكيين إلى السلطة في الولايات المتحدة وتنسيقهم الحرب ضد العراق كخطوة أولى في سعيهم نحو تحقيق إمبراطورية عالمية"

يرتكز هذا الكتاب على الأسس التالية:

إن الحرب التي تشنها حكومة جورج دبليو بوش؛ لا تتعارض مع مبادئ "المحافظين" الأمريكيين وحسب، بل تتناقض مع الأسس العامة للسياسة الخارجية الأمريكية الراسخة على مدى نصف القرن الماضي.

إن الحرب على العراق قد شنت لغايات وأسباب عريضة لا تقتصر على "تغيير النظام" أو "التخلص من أسلحة الدمار الشامل" بل إنها تنصب بالدرجة الأولى على ترسيخ الجهود الرامية إلى تكريس تفرد الولايات المتحدة بوصفها القوة العظمى الوحيدة في العالم والقادرة عسكرياً واقتصادياً على قهر أي دولة أو أمة أو شعب تسوّل له نفسه معارضة الهيمنة الأمريكية.

إن الحرب على العراق هي ببساطة الخطوة الأولى في تنفيذ خطة عدوانية واسعة وقديمة ضد العالم العربي والشرق الأوسط من أجل "إعادة تشكيل العالم العربي" لتأمين بقاء وهيمنة إسرائيل وتوسيع قوتها.

إن الحرب على العراق هي الهدف المرحلي الأول من خطة وضعت بعناية تنتهي بالقضاء على دول عربية وإسلامية عن طريق الاحتلال العسكري أو عن طريق إخضاعها والتحكم بها بواسطة القوة العسكرية والسياسية الأمريكية (بالتعاون مع إسرائيل)؛

إن الحرب ضد العراق وخطة السيطرة والهيمنة على الشعوب العربية هي تنفيذ للحلم الصهيوني التاريخي بإنشاء "إسرائيل العظمى" بصورة عصرية ومعدلة لكي تتوافق مع رغبات شركات البترول العالمية، والمستعدة بدورها للمساهمة في السيطرة على الدول العربية المنتجة للبترول بالمشاركة مع إسرائيل.

إن الحرب ضد العراق وضعتها ونسقت لها شبكة صغيرة ولكنها ذات نفوذ واسع من عناصر صهيونية يمينية متطرفة، أطلقت على نفسها لقب"المحافظين الجدد"، وتسيطر هذه الشبكة على المستويات العليا في حكومة بوش، وبمهارة فائقة تتلقى الدعم والتأييد من أشخاص ومنظمات ومعاهد فكر ومطبوعات وغيرها

من المؤسسات والهيئات المترابطة والتي تشاركها في الميول والأفكار وتتصل في النهاية بقوى الليكود في إسرائيل.

إن الحرب على العراق وما يتبعها من خطوات اتخذتها الولايات المتحدة ضد الدول العربية التي لم تتجاوب تماماً مع الرغبات الأمريكية تعود في جذورها إلى التغلغل الصهيوني في المستويات العليا في مؤسسات الاستخبارات الأمريكية والتي بدأت منذ السبعينيات من القرن الماضي، ويتضح ذلك من حقيقة أن عدداً كبيراً من الذين انخرطوا في تلك النشاطات هم الذين يتولون رسم وتوجيه سياسة حكومة بوش هذه الأيام.

وسيقوم هذا التقرير بمعاينة هذه الجوانب جميعها، مع الإشارة إلى عدد كبير من المصادر، وسوف يركز التقرير على الحقائق التي راجت في "الاتجاه السائد" من وسائل الإعلام في الولايات المتحدة.

كهنة الحرب الكبار

"... لولا الدعم الكبير للجالية اليهودية لهذه الحرب على العراق، لما أقدمنا عليها. إن قادة الجالية اليهودية يتمتعون بتأثير كاف يمكّنهم من تغيير اتجاه هذا الأمر، وأعتقد أنه يجب عليهم أن يمارسوا تأثيرهم لتغيير هذا التوجه."

عضو الكونغرس الأمريكي جم موران Jim Moran (ديمقراطي من ولاية فرجينيا) وهو يتحدث أمام تجمع عام في دائرته الانتخابية [1].

أحدثت هذه التعليقات التي جاءت على لسان عضو الكونغرس الليبرالي جم موران نوبة جنون مستعرة في الأوساط العامة في الولايات المتحدة لدرجة أنه حتى الصحيفة اليهودية فوروارد ذات النفوذ المؤثر اعترفت في عددها الصادر في 28 فبراير/شباط، 2003، بأن دور اللوبي الإسرائيلي وأتباعه الذين يحتلون المناصب العليا في دوائر صنع القرار ووضع السياسة في حكومة الرئيس بوش، قد أصبح الآن محل نقاش متزايد في الرأي

العام الأمريكي. وما فعله عضو الكونغرس موران هو ببساطة تلخيص للمسألة في عدة جمل قصيرة لكنها مثيرة للجدل.

واستدلت صحيفة فوروارد بما كتبه الصحفي اليهودي الليبرالي مايكل كينزلي في مقاله المنشور في عدد أكتوبر/تشرين أول، 2002م وذكر فيه بأن دور إسرائيل المركزي في النقاش الأمريكي الدائر حول الحرب المحتملة على العراق يشبه "الفيل الموجود في الغرفة الذي يضرب فيه المثل" هذا الفيل على حد قول كينزلي "الجميع يراه ولكن لا أحد يتحدث عنه" وقد وضعت فوروارد المسألة بوضوح عندما كتبت تقول "كان كينزلي يشير إلى نقاشات كانت تحدث همساً في الغرف الخلفية، ولكنها الآن تحولت إلى عناوين رئيسة في وسائل الإعلام الدارجة حول التأثير اليهودي والإسرائيلي في صناعة السياسة الخارجية الأمريكية"[(2)].

ولاحظت الصحيفة اليهودية أنه حتى المطبوعات الرئيسة الأمريكية بدءاً من واشنطن بوست The Washington Post إلى الإيكونوميست The Economist ومن محطة السي إن إن CNN والإم إس إن بي سي MSNBC قد شهدت مناقشات صريحة وعلنية حول هذا الموضوع، وبحسب تقديرات الفوروارد فإن:

"غالبية هذه المقالات تصور الرئيس بوش ورئيس الوزراء شارون يعملان بتنسيق بينهما لدعم جهود الحرب على العراق. ووصف عدد من هذه المقالات إدارة بوش بأنها مليئة بعناصر من المحافظين دافعهم الأساس، إن لم يكن الوحيد، هو الولاء لحماية إسرائيل.

وقد تحدثت بعض الأصوات المحترمة عن دور المنظمات اليهودية الأمريكية في المعادلة، مستدلة بالتحول الملحوظ نحو اليمين في المسائل المتعلقة بالشرق الأوسط والولاء القوي لشارون. بينما أشار آخرون إلى التأثير اليهودي والإسرائيلي فقط من أجل وصف واتهام من يشير إليه بمعاداة السامية"(3)

ومع ذلك، وتأكيداً للحقائق التي تدعم تصريحات النائب موران، كتب آري شافيت Ari Shavit، في عدد 9 إبريل/نيسان، 2003 من صحيفة هاآرتز Ha'aretz الإسرائيلية يقول: "إن الحرب على العراق هي من بنات أفكار 25 مفكراً من المحافظين الجدد، غالبيتهم يهود؟، استطاعوا الضغط على الرئيس بوش من أجل تغيير مجرى التاريخ"(4).

وفي الحقيقة، وكما سنوضح لاحقاً، فإن السجل التاريخي يشير وبدون شك إلى أن الحرب – الوشيكة على العراق وقتئذ – كانت بالفعل نتيجة خطة قديمة تم الإعداد لها وصياغتها بدقة

وعناية بهدف ترسيخ الهيمنة الأمريكية العالمية تأسيساً على أهداف جغرافية – سياسية لمجموعة صغيرة ولكنها مؤثرة من صانعي السياسة داخل حكومة الرئيس جورج دبليو بوش – وهي مجموعة مرتبطة ارتباطاً عاطفياً حميماً وعلى مدى ربع قرن من الزمان بفكرة "إسرائيل العظمى" وهي الحلم القديم لرواد الحركة الصهيونية الذين أسسوا دولة إسرائيل. وتحظى هذه الحركة وأتباعها من صقور الجناح اليميني بتأثير متنام في كافة قطاعات المجتمع الإسرائيلي وبخاصة في أجهزة الحكومة المختلفة.

هذه المجموعة النخبوية من الأمريكيين – والتي أصبحت تحظى بشهرة واسعة هذه الأيام – والتي تطلق على نفسها اسم "المحافظين الجدد" تشكل ما يمكن وصفه فعلياً "حزب الحرب" في أمريكا. وتدعم هذه المجموعة وتمجد بدون تحفظ أو معرة الجناح المتشدد في حزب الليكود بزعامة آرييل شارون. وقد عمل هؤلاء المحافظون الجدد على توجيه القرارات الخاصة بالسياسة داخل حكومة بوش مما أدى إلى وضع الولايات المتحدة (تحت حكم بوش) في تحالف متين مع نظام شارون في إسرائيل.

وستقدم الدراسة التي بين أيدينا نظرة شاملة على تاريخ وتطور شبكة المحافظين الجدد مع تسميتهم بأسمائهم وربط سياساتهم إلى العناصر المتحالفة معها في إسرائيل.

ولكن من المهم أن نعترف بداية أن السياسات التي يدعمها المحافظون الجدد (حزب الحرب) تتعارض من منظور تاريخي ومن جوانب عدة مع النظرة الأمريكية التقليدية. إن هذه السياسات التي ينادي بها حزب الحرب لا تعكس سوى نظرة فئة صغيرة تمثل أقلية في شريحة المجتمع الأمريكي، ولكن هذه الفئة على صغر حجمها تتمتع بنفوذ وتأثير كبيرين. وقد كتب فيليب غولب Philip Golub، وهو صحافي ومحاضر في جامعة باريس 8 حول إستراتيجية المحافظين الجدد يقول:

"إن اليمين المحافظ الجديد قد حاول في السابق وما زال يحاول الآن، وبدرجات متفاوتة من النجاح، أن يظهر نفسه بأنه قوة أيديولوجية مهيمنة في الولايات المتحدة منذ أكثر من 25 عاماً، وبخاصة في رسم السياسة الخارجية.

وبعد إخفاقهم في تحقيق ما يسمى بدولة الأمن القومي بسبب الإجراءات البيروقراطية والرفض الشعبي لهذه الفكرة، فإنهم الآن يقفون على أبواب النجاح. والفضل في ذلك يعود إلى عاملين: الأول نجاح جورج بوش في انتخابات الرئاسة عام 2000 بعد أن فصل القضاء الأمريكي في نتائج الانتخابات المتنازع عليها، والثاني: أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول عام 2001. وهو الحدث الذي حوّل جورج بوش من رئيس وصل إلى البيت الأبيض بالمصادفة إلى قيصر أمريكي. وأصبح الرئيس جورج بوش أداة تنفيذ سياسة

المحافظين الجدد المبنية على "العمل الانفرادي" والانتشار الدائم للقوات العسكرية" إضافة إلى "الحرب الوقائية".

ولولا أحداث الحادي عشر من سبتمبر لكانت الحرب والتعبئة العسكرية من المحال. وهي الأحداث التي رجحت كفة التوازن المؤسسي لصالح اليمين الجديد. وإلى جانب الدوافع الانتهازية كاقتناص الفرصة الإستراتيجية لإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط والخليج الفارسي؟ فإن هذا الخيار يعكس طموحات إمبريالية أوسع مما هو ظاهر للعيان...

وقد تزايدت احتمالات تحقيق هذا المشروع في ظل حالة القطب الأوحد التي سادت العالم بعد عام 1991 عندما استأثرت الولايات المتحدة باستخدام القوة في علاقاتها الدولية. إلا أن هذه الفكرة ذاتها ولدت في السبعينيات عندما تشكل تحالف المتطرفين الذين يمسكون الآن بزمام السلطة في الحكومة الأمريكية.

والهدف من هذا المشروع هو توحيد الأمة وحشد التأييد الشعبي خلف الحكومة وتأمين الهيمنة الإستراتيجية الأمريكية في العالم. ويتم استغلال الحرب والانتشار الدائم للقوات العسكرية الأمريكية كأدوات لتحقيق هذا الهدف الأمر الذي يتطلب تحديد أعداء جدد وتأسيس دولة أمن قومي قوية منعزلة عن المجتمع"[5].

ويشير المؤلف الأمريكي مايكل ليند إلى أن الحلم الإمبريالي كما رسمه المحافظون الجدد "كان يلقى معارضة من نخبة منظري السياسة الخارجية الأمريكية ومن غالبية الشعب الأمريكي الذي أظهرت استطلاعات الرأي معارضته لأي تدخل عسكري أمريكي في العراق أو في أي مكان آخر بدون دعم من حلفاء الولايات المتحدة والمنظمات الدولية كهيئة الأمم المتحدة. ومع ذلك فقد وجدت هذه السياسة الخارجية التي كان يتصورها اليمين المتطرف دعماً متحمساً من فئتين في الولايات المتحدة هما: فئة المحافظين الجدد من صانعي السياسة والمفكرين على المستوى النخبوي، وشريحة البروتستانت البيض في الولايات الجنوبية في الولايات المتحدة على المستوى الشعبي من الناخبين"[6].

هذا، وعلى الرغم من المعارضة الواسعة - داخل الولايات المتحدة وبقية أرجاء المعمورة - أعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش في السابع عشر من مارس/آذار 2003 أن الحرب على العراق باتت وشيكة، وبعد مضي عدة أشهر من المناقشات والمناظرات المحتدمة، أعلن الرئيس الأمريكي أن الولايات المتحدة بالتحالف مع بريطانيا وبعض الدول ستقوم بجهود الحرب بمفردها ومن دون الحاجة إلى دعم المجتمع الدولي.

ويشير بعض النقاد إلى أن السابع عشر من مارس/آذار كان يصادف ليلة عيد بيورم Purim وهو عيد تقليدي عند اليهود للاحتفال بذكرى انتصارهم على عدوهم اللدود هامان وخلاصهم من المذبحة التي دبرها لهم. ومع ذلك يحسن أن نشير إلى أنه ليس جميع اليهود في أمريكا أو غيرها يؤيدون زمرة المحافظين الجدد، وذلك برغم أن غالبية القادة المهمين في حركة المحافظين الجدد هم حقاً من اليهود.

ريتشارد بيرل ووليام كريستول

كتب المؤلف الأمريكي – اليهودي ستانلي هيلّر Stanley Heller في الأيام التي سبقت الهجوم على العراق يقول: "إننا مدينون للشعب الأمريكي بأن نقول لهم الحقيقة كل الحقيقة، وهي أن الدفع باتجاه الحرب ضد العراق كانت تغذيه زمرة مجنونة مشبعة بالروح الحربية من إسرائيل وبالتنسيق والمؤازرة مع فرقة من اليهود الأمريكان ومؤيديهم من المسيحيين"(7).

إضافة إلى ذلك، يقول البروفيسور بول غوتفريد Paul Gottfried – وهو أيضاً أكاديمي أمريكي – يهودي يصف نفسه بأنه "محافظ" ولكنه يبدي معارضته الشديدة لنشاطات "المحافظين الجدد":

"لا يوجد عاقل يدعي أن كل اليهود متعاونون مع [قادة المحافظين الجدد دعاة الحرب من أمثال] ريتشارد بيرل ووليام كريستول. إن ما نلاحظه هنا حقاً هو التقاء للمصالح لعب المحافظون الجدد فيه دوراً رئيساً. وفي هذه النقطة بات هؤلاء المحافظون الجدد يسيطرون على معظم مؤسسات ومعاهد الأبحاث التي تنتمي إلى الفكر المحافظ في [واشنطن العاصمة]. إضافة إلى محطات التلفزة المحافظة [مثل فوكس نيوز المؤيدة لإسرائيل والتي يمتلكها روبرت مرداخ] وصحيفة وول ستريت جورنال، وصحيفة نيويورك بوست، وعدد آخر من الصحف الرئيسية إلى جانب أية مجلة تصف نفسها بأنها محافظة"[8].

وتكشف لنا ملاحظات الأستاذ غوتفريد عن اسمين سوف يتكرر ذكرهما في هذا الكتاب، وهما: ريتشارد بيرل Richard Perle ووليام كريستول William Kristol. ويمكن القول بأن هذين الشخصين هما الأكثر نفوذاً وتأثيراً من بين المحافظين الجدد المتنفذين في حزب الحرب بحكم ما اجتمع لديهما من منصب وظيفي واتساع الروابط والدعم المالي. ويمكن وصفهما بأنهما اللاعبان الرئيسان المسؤولان إلى حد بعيد عن صياغة سياسات حكومة بوش التي أفضت إلى الصراع الحالي في الشرق الأوسط المتمثل بنشر القوات الأمريكية تمهيداً لاحتلال العراق وما سيتمخض عنه من كوارث ستحل بالمنطقة.

ومع أننا سنتعلم الكثير عن بيرل وكريستول، إلا أن من المناسب أن نذكر هنا مقدمة سريعة عن هذين الشخصين البارزين في حركة المحافظين الجدد:

ريتشارد بيرل: يلقب في وسائل الإعلام بأمير الظلام، (وهو يهودي) ومن أبرز النشطين والمتحمسين في دعم القضايا والمصالح الإسرائيلية في واشنطن منذ السبعينيات عندما كان يعمل في ذلك الحين مساعداً في طاقم موظفي السيناتور المتوفى هنري جاكسون Henry M. Jackson أحد أقوى أعضاء مجلس الشيوخ الديمقراطيين؟ عن مقاطعة واشنطن العاصمة.

وكان جاكسون يتصدر أعضاء مجلس الشيوخ المؤيدين لإسرائيل. وخلال تلك الفترة، خضع بيرل للتحقيق بشأن اتهامات وجهت إليه بالقيام بنشاطات تجسس لصالح إسرائيل. وعقب ذلك، تحول بيرل للعمل في اللوبي الذي يمثل المصالح العسكرية الإسرائيلية إلى أن عينه الرئيس السابق رونالد ريغان في منصب رفيع في وزارة الدفاع.

وبعد أن أنهى عمله في حكومة ريغان، بقي بيرل نشطاً في واشنطن، حيث انخرط في العمل في قطاع عريض ومتنوع من المؤسسات والمنظمات، مكرساً طاقاته حصراً لتدعيم وتعزيز المصالح الإسرائيلية وبالذات تلك الخاصة بحزب الليكود بزعامة

آرييل شارون. وفي الوقت الحاضر يتمتع بيرل بعلاقة وطيدة مع المعهد المعروف باسم أمريكان إنتربرايز إنستيتيوت American Enterprise Institute وهو أحد أبرز مؤسسات المحافظين الجدد.

وعندما تسلم جورج دبليو بوش دفة الرئاسة الأمريكية، عهد إلى بيرل بمنصب رئاسة مجلس سياسة الدفاع، وهذا المجلس على قلة شهرته ووظيفته الاستشارية إلا أن له تأثيرا لا ينكر. ومن هذا المنصب استطاع بيرل مستغلاً صلاته المتعددة أن يرشح عدداً من رفاقه القدامى في مناصب مهمة داخل حكومة بوش نفسها، ومن ذلك الموقع بدأ جهوده في إشعال نار الحرب على العراق.

وعلى الرغم من استقالة بيرل مؤخراً من رئاسة مجلس سياسة الدفاع بعد أيام فقط من إطلاق الرصاصة الأولى التي افتتحت الحرب على العراق، وذلك على خلفية وجود تعارض في المصالح تنبعث من تعاملاته التجارية الشخصية التي تتقاطع مع السياسات الحكومية التي يؤثر فيها بما قد يعود عليه بفوائد شخصية، إلا أنه بقي عضواً في المجلس. وكان من دون شك أكثر أعضاء المجلس نفوذاً وتأثيراً حتى استقالته في مارس/آذار 2004.

وبالأخذ بعين الاعتبار كل ما نعرفه عن بيرل، فإنه ليس من محض المصادفة ما حدث خلال زيارته لبريطانيا عام 1986 والتقائه رئيس حزب العمل البريطاني دينيس هيلي Denis Healey، حيث

قدّم بيرل في ذلك اللقاء على أنه "الشخص المسؤول عن الحرب العالمية الثالثة"[9]. ويعلق بعض النقاد على هذه الحادثة بالقول بأن من المؤكد أن الشخص الذي نطق تلك العبارات يتمتع بقدرات غير عادية في التنبؤ وذلك بالنظر إلى الدور الرئيس الذي لعبه بيرل في تأجيج نيران الحرب ضد العراق.

أما وليام كريستول (وهو أيضاً يهودي) فهو يتمتع بنفوذ مماثل ولكن في نطاق مختلف. ونظراً لكونه ابناً لأب من ذوي النفوذ والتأثير هو إيرفنغ كريستول Irving Kristol الذي وصف ذات مرة بأنه "الأب الروحي" لحركة المحافظين الجدد"، استطاع كريستول الشاب تولي منصب كبير موظفي نائب الرئيس الأمريكي السابق دان كويل Dan Quayle مستغلاً صلات أبيه. وكانت تلك الخطوة الأولى لصعود كريستول نحو المزيد من السلطة. وفي أعقاب هزيمة بوش – كويل أمام بل كلينتون عام 1992، استطاع كريستول الشاب، وبفعل إصراره وجهوده المندفعة، ناهيك عن التمجيد والحفاوة المتزايدة التي أولتها له وسائل الإعلام، أن يبرز كأفضل صوت معبر عن فلسفة "المحافظين الجدد". ووجه اهتمامه نحو وضع شبكة عريضة فاعلة ومؤثرة للعلاقات العامة والمعلومات ترتبط بعدد من معاهد الفكر والمؤسسات التي لها صلة بأبيه.

وبالإضافة إلى قبوله العمل في منصب محرر مجلة ويكلي ستاندرد The Weekly Standard، وهي مجلة أسبوعية تصدر في الولايات المتحدة ويملكها روبرت مرداخ Rupert Murdoch صاحب شبكة فوكس نيوز Fox News قام كريستول بتأسيس منظمته الخاصة التي أطلق عليها "بروجكت فور ذي نيو أمريكان سنتشري" Project for the New American Century وتعرف اختصاراً PNAC وتعني "مشروع العهد الأمريكي الجديد"

وكما سنلاحظ لاحقا، فإن عمليات ونشاطات كريستول تناغمت بل وتطابقت مع نشاطات وأفكار ريتشارد بيرل. ومع ارتفاع وتيرة الأصوات الداعية إلى شن حرب على العراق بعد أن أصبح جورج بوش الرئيس الجديد للولايات المتحدة، وبخاصة بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول 2001 التي أعطت جهود وخطط المحافظين الجدد زخماً جديداً، فإنه في تلك اللحظة بالذات، بدأ المحافظون الجدد بالربط بين الزعيم العراقي صدام حسين وأحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول، وشرع بيرل وكريستول بالعمل معاً وذلك بدمج شبكتيهما المؤثرتين لدرجة أصبحت فيها الفلسفة المحافظة الجديدة هي القوة المحركة وراء كافة أجهزة صناعة السياسة الخارجية الأمريكية.

وظهر ويليام كريستول إلى جانب رفيقه روبرت كيغان Robert Kagan _ كأبرز مروجي الفلسفة المحافظة الجديدة الإمبريالية. ويشكل الكتاب الذي اشتركا في تأليفه والمنشور عام 2000 بعنوان: الخطر المحدق: الأزمات والفرص في سياسة الدفاع والسياسة الخارجية الأمريكية Present Dangers: Crisis and Opportunity in American Foreign and Defense Policy بياناً شاملاً لوجهة نظر المحافظين الجدد. واشتمل الكتاب على عدد من المقالات لبيرل بالطبع، وعدد من نجوم المحافظين الجدد من شبكة بيرل وكريستول.

وفي معرض تعليقه على هذا الكتاب، كتب الدبلوماسي البريطاني جوناثان كلارك Jonathan Clark قائلاً: "إذا أرادت الحكومة الأمريكية تنفيذ التوصيات التي جاءت في الكتاب مرة واحدة، فإن الولايات المتحدة ستخاطر بخوض حرب منفردة على خمس جبهات على الأقل، والضغط على إسرائيل في الوقت ذاته من أجل التخلي عن عملية السلام لصالح مواجهة شاملة مع الفلسطينيين"[10].

ومن عجيب المصادفة، وكما يشير مايكل ليند أحد أبرز ناقدي المحافظين الجدد، فإن "تلك التوقعات أصبحت بالفعل هي ذات السياسات التي تبنتها إدارة الرئيس بوش بعد سنتين"[11]،

ويضيف ليند: "إن اليمين الصهيوني المتطرف الذي ينتمي إليه كل من بيرل وكريستول على صغر حجمه، قد أصبح القوة الفعالة في دوائر صناعة السياسة في الحزب الجمهوري"[12] ويضيف ليند بأن الشغل الشاغل للعاملين في شبكة المحافظين الجدد هو "قوة وسمعة إسرائيل"[13] ويشير أيضاً إلى قيامهم بشن حملات إعلامية وعلاقات عامة ضد كل من تسول له نفسه الوقوف في طريقهم دون استثناء حتى وإن كان من كبار القادة العسكريين الأمريكيين الذين يشككون في سياسات المحافظين الجدد.

الروابط الإسرائيلية

لقد بات من الواضح أن التوجه نحو دعم إسرائيل يشكل قضية مركزية في عمليات وضع وتنفيذ السياسات التي تبناها المحافظون الجدد وأخذوا على عاتقهم تنفيذها. وهذا بدوره يثير التساؤل حول مقدار التأثير الذي تلعبه إسرائيل (وأتباعها في أمريكا وبالتحديد شبكة المحافظين الجدد) في إشعال الحرب ضد العراق.

وكما رأينا، فإن دور إسرائيل في الشأن العراقي كان منطوياً على مشكلات وتعقيدات فيما يخص حماية إسرائيل واليهود الأمريكان من تبعات ردود فعل معاكسة من أفراد الشعب

الأمريكي الذين لا يستسيغون فكرة أن تقوم السياسات الأمريكية على حماية المصالح الإسرائيلية وحدها.

وقد نقلت الواشنطن بوست في عدد 27 نوفمبر/تشرين الثاني 2002، أن مجموعة من المستشارين السياسيين الأمريكيين الذين عملوا في السابق كمستشارين لزعماء سياسيين إسرائيليين قد تم تكليفهم من قبل مؤسسة إسرائيل بروجكت Israel Project – وهو تكتل يصف نفسه بأنه "مجموعة تدعمها المنظمات اليهودية الأمريكية وأفراد متبرعون – من أجل وضع وصياغة مذكرة توجه إلى القادة اليهود الأمريكيين والقادة الإسرائيليين حول أفضل السبل للتعامل مع مسألة الجدل المحتدم الجاري حول العراق.

وجاء في هذه التوصية: " إذا كان هدفكم هو تغيير النظام في العراق، فإن عليكم أن تكونوا أكثر حذراً في لغة الخطاب وذلك تلافياً لأي ردة فعل معاكسة، إنكم لا تريدون أن يعتقد الشعب الأمريكي أن الحرب على العراق هي من أجل حماية إسرائيل، بل هي من أجل حماية أمريكا"[14]، ومن ناحية ثانية وكما يشير مايكل ليند في كتاب جديد حول السيرة الذاتية لجورج بوش، فإن تأثير إسرائيل والمحافظين الجدد لا يمكن إنكاره:

"في عهد حكم جورج بوش اندمج الجهاز التنفيذي في الحكومة الأمريكية بالحكومة الإسرائيلية إلى درجة غير

مسبوقة في التاريخ الأمريكي...وهذا الوضع على شدة غرابته وشذوذه يعود الفضل فيه إلى تأثير النموذج الإسرائيلي على المحافظين الجدد في حكومة جورج بوش، فأصبحت الولايات المتحدة القوة العظمى الوحيدة في العالم تتصرف وكأنها دولة محاصرة، منبوذة، قلقة، وغير آمنة، تماماً مثل إسرائيل في ظل قيادة حزب الليكود"[15].

ويعلق الصحفي تشارلز كروتهامر Charles Krauthammer وهو من أبرز مؤيدي المحافظين الجدد في الإعلام الأمريكي، في مقالة نشرتها مجلة التايم Time في 17 فبراير/ شباط، 2003 حول الحرب ضد العراق قائلاً: " ليست فقط لنزع أسلحة صدام بل هي لإعادة إصلاح ذلك الجزء من العالم... إن ما تحتاجه الولايات المتحدة ليس إستراتيجية خروج بل إستراتيجية دخول. والعراق هو البوابة"[16]. وبكل صراحة سمّى كروتهامر أهداف سياسة حرب المحافظين الجدد: "إيران، المملكة العربية السعودية، سوريا، وغيرها"

والحقيقة أن الأدلة المنشورة تشير إلى أن حكومة إسرائيل قد تمنت بالفعل أن تقوم الولايات المتحدة بمهاجمة العراق كخطوة أولى نحو عمليات أخرى ضد الدول التي تعتبر معادية لإسرائيل. وفي فبراير/شباط 2003، نشرت صحيفة هاآرتز الإسرائيلية أن رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون كان يحث الولايات المتحدة على

التحـرك تجـاه إيـران وليبيـا وسـوريا بعـد افـتراض نجـاح الولايـات المتحدة في تدمير العـراق – وهـي نظـرة لا تختلـف عـن تلـك الـتي عـبر عنها كروتهامر في المقال الذي سبق ذكره.

وقال شارون: "إن هذه الدول هي دول غير مسؤولة، ويجب نـزع أسلحة الدمار الشامل الـتي تمتلكهـا، وخطـوة ناجحـة لأمريكـا في العـراق تجعـل تحقيـق ذلـك أمـراً ميسـوراً" ونقـل عـن رئـيس الـوزراء الإسـرائيلي خـلال لقائه وفداً زائـراً من الكونغرس الأمريكـي قولـه "إن العمليات الأمريكية ضد العراق هـي أمر في غاية الأهمية"[17].

ونقلــت الصــحيفة الإســرائيلية عــن وكيــل وزارة الخارجيــة الأمريكيـة جـون بولتـون؟ – وهـو مـن المحـافظين الجـدد البـارزين في إدارة بوش ومـن أكثـر المتحمسـين للحـرب ضـد العـراق – قولـه بأنـه يعتقـد أن مـن الضـروري بعـد الفـراغ مـن العـراق أن يتم التعامـل مـع الأخطار القادمة من سوريا وإيران وكوريا الشمالية"[18].

إضافة إلى ذلك، وفي 27 فبراير/شباط 2003، نشـرت صـحيفة نيويـورك تـايمز مـا يشـير إلى أن إسـرائيل لا تكتفـي بـالترويج والتحـريض لحـرب الولايـات المتحـدة ضـد العـراق، بـل تعتقـد أن الحـرب يجـب أن توسـع لتشـمل الـدول الأخـرى الـتي يعتقـد بأنهـا تشكل خطراً يهدد إسرائيل. وتضيف التايمز:

"كثيرون في إسرائيل متأكدون من شرعية الحرب على العراق لدرجة أن المسؤولين يفكرون في مرحلة ما بعد النزاع للدفع باتجاه دور أمريكي متواصل وغير مهادن في الشرق الأوسط. وصرح وزير الدفاع الإسرائيلي شاؤول موفاز في أثناء لقائه وفد مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية في الأسبوع الماضي بأنه يجب على الولايات المتحدة بعد العراق أن تمارس ضغطا سياسيا واقتصاديا ودبلوماسيا على إيران."إن لنا مصلحة كبيرة في إعادة تشكيل الشرق الأوسط بعد انتهاء الحرب. إن إسرائيل تعتبر إيران وسوريا خطراً قائماً وتتمنى أنه بعد التخلص من صدام حسين أن تتوالى أحجار الدومينو بالسقوط واحدا تلو الآخر(19).

وفي الوقت الذي نجد فيه شريحة من اليهود الأمريكيين تعارض الحرب على العراق وتستقل في عملها عن المنظمات القيادية في الجالية اليهودية، فإنه ما من شك أن المنظمات اليهودية النخبوية التي تحتفظ بعلاقات وثيقة بالاستخبارات الإسرائيلية والحكومة الإسرائيلية كانت وراء التحريض على الحرب. هذه المنظمات كانت تعمل بوصفها منظمات يهودية وتدعي أنها تمثل اليهود الأمريكان، وفي الواقع أنها غير ذلك.

وبعد اشتعال الحرب مباشرة، أصدرت منظمة مكافحة التشهير Anti Defamation League والتي توصف بأنها بوق الدعاية

لجهاز الموساد في أمريكا – بياناً قالت فيه "إننا نعبر عن دعمنا لحكومة الولايات المتحدة في جهودها للتخلص من الرئيس العراقي صدام حسين والخطر الذي يشكله على استقرار وأمن المنطقة. إن التخلص من صدام حسين هو أمر ضروري وواضح"(20).

أصوات المعارضة ترتفع في الولايات المتحدة

في الوقت الذي كانت فيه القيادة الإسرائيلية وحلفاؤها من المحافظين الجدد يدقون طبول الحرب على العراق، وقف عدد من الأمريكان من مختلف الأجناس والأعراق والألوان صفاً واحداً لإبداء معارضتهم لهذه الحرب.

وفي أثناء المناقشات التي دارت في الأشهر التي سبقت إعلان الحرب على العراق، برز النائب دينيس كوسينتش Dennis Kucinich (ديمقراطي من ولاية أوهايو) كأبرز المعارضين للحرب في الكونغرس وأقواهم حجة. وقدم كوسينتش عدداً من الحجج ضد الحرب معتبراً أن حجج أنصار الحرب لا تقوم على أساس وأنها تتعارض مع السياسة الأمريكية التقليدية ذلك:

"إن العمل العسكري الانفرادي من قبل الولايات المتحدة ضد العراق يعتبر عملاً غير مسوّغ وغير شرعي..

إن العمل العسكري المنفرد من قبل الولايات المتحدة أو بالشراكة مع بريطانيا يضع الأمة الأمريكية وللمرة الأولى

على درب الحرب العدوانية الملطخ بالدماء، الأمر الذي يدنس ذكرى الذين قاتلوا للدفاع عن هذا البلد ويقضي على الشرعية الأخلاقية للولايات المتحدة حول العالم وسيقوض استقرار منطقة الخليج الفارسي ومنطقة الشرق الأوسط.

إن سياسات العدوان لا تليق بأي أمة ذات ثقافة ديمقراطية، ومن باب أولى من أمة مكونة من شعب محب للحرية وضحى بأبنائه وبناته في سبيل المحافظة على تلك الديمقراطية.

إن السؤال ليس ما إذا كانت الولايات المتحدة تمتلك القوة لتدمير العراق والقضاء على صدام، بل السؤال هو ما هو الشيء الأساس الذي ستدمره وتقضي عليه في الولايات المتحدة بادعائنا امتلاك الحق باستخدام القوة بحسب ما تمليه علينا أهواؤنا.

إن أمريكا لا تستطيع أن تكون وليس من واجبها أن تكون شرطي العالم. إن أمريكا لا تستطيع ولا ينبغي لها أن تحاول انتقاء وتعيين زعماء الأمم الأخرى، ولا ينبغي الضغط على أمريكا وعلى الشعب الأمريكي لتسخيرها لخدمة المصالح النفطية الدولية وتجار السلاح.

إذا سارت الولايات المتحدة في تنفيذ سياسة الضربة الأولى، فإننا نكون قد حملنا على عاتقنا وزراً تاريخياً بارتكاب

مخالفة القانون الدولي، ونكون قد تخلينا عن أي دور أخلاقي تبوأناه في السابق"[21].

ومما يثير الإعجاب أن كوسينتش رفض محاولات إسكاته حتى بعد بدء الحرب، ولم تفلح أساليب التخويف والضغط التي استخدمت ضده تحت ستار "دعم الجنود" — وهو شعار براق كثيراً ما تم استخدامه من أجل إقناع الشعب الأمريكي بدعم حروب لا تحظى بتأييد شعبي بعد أن يتم إرسال الجنود إلى المعركة — وقال كوسينتش الذي لم تردعه مخاوف اتهامه بعدم الوطنية بسبب موقفه المعارض للحرب:

"إنني أدعم الجنود، ولكن هذه الحرب هي حرب غير شرعية وخاطئة. إنني لا أدعم هذه المهمة، وسوف أصوّت ضد موازنة الحرب في العراق. إن هذه الحرب تحصد جنودنا وتحصد أرواح المدنيين العراقيين، ويجب إنهاؤها الآن.

لقد كانت هذه الحرب حرباً غير عادلة عندما بدأت قبل أسبوعين، وهي مازلت غير عادلة الآن... يجب على الولايات المتحدة أن تخرج من العراق الآن وأن تحاول حقن دماء جنودنا ودماء العراقيين. إن إنهاء الحرب الآن واستئناف عمليات التنقيب عن الأسلحة سوف ينقذ سمعة أمريكا في العالم. إن الخطر الأكبر الذي تواجهه أمريكا في الوقت

الحاضر هو الإرهاب، وهو ما سنحصل على المزيد منه من هذه الحرب[22].

لم يكن كوسينتش المسؤول الأمريكي الوحيد الذي اتخذ موقفاً علنياً معارضاً للحرب، ولكنه كان أكثرهم صراحة وأعلاهم صوتاً.

وفي اللحظات التي بدأت فيها القوات الأمريكية هجومها على الجمهورية العربية ألقى السيناتور روبرت بيرد Robert Byrd (ديمقراطي من ولاية فرجينيا الغربية) وهو أقدم سيناتور في المجلس وزعيم سابق للديمقراطيين في مجلس الشيوخ، ألقى خطاباً لاذعاً من منصة المجلس معلناً أن الحرب تتعارض كلياً مع السياسة الأمريكية التقليدية، وجاء في خطابه:

"إنني اليوم أبكي على بلدي، لقد شاهدت أحداث الأشهر الأخيرة الماضية بقلب يعتصر ألماً. لقد تلاشت صورة أمريكا الدولة القوية الخيرة المحبة للسلام.

إننا ننادي بمبدأ جديد من الحرب الوقائية يفهمه القليل ويخشاه الكثيرون. إننا نقول بأن الولايات المتحدة تملك الحق في توجيه قوتها العسكرية إلى أي زاوية في العالم لمجرد اشتباهنا بأنها يمكن أن تكون متهمة في الحرب على الإرهاب. إننا ندعى امتلاك هذا الحق دون أي إقرار من

المجتمع الدولي، ونتيجة لذلك، أصبح العالم اليوم أكثر خطورة. لقد زهونا بمكانتنا كقوة عالمية بطراً وكبرياءً.

منذ متى كنّا أمة تتجاهل أصدقاءها؟ متى قررنا المغامرة في تقويض النظام العالمي وتبني توجه راديكالي متطرف وضيق الأفق في استخدام قوتنا العسكرية؟

كيف يمكننا أن نتخلى عن الجهود والمساعي الدبلوماسية؟"[23].

من الواضح أنه وعلى الرغم من أن سياسات المحافظين الجدد قلّما تعكس تفكير وتوجه غالبية الأمريكيين من مختلف مشاربهم السياسية، إلا أنهم يمثلون نمطاً معيناً من الفلسفة، وهو نمط يرتبط بلا شك ارتباطاً وثيقاً بالأجندة الإمبريالية لمتطرفي حزب الليكود الإسرائيلي.

وبالأخذ بعين الاعتبار تلك الحقيقة، فإن من المناسب أن نبدأ بمعاينة طبيعة شبكة المحافظين الجدد التي تسيطر على زمام الأمور في واشنطن العاصمة داخل حكومة جورج دبليو بوش.

شبكة المحافظين الجدد

في مقالة نشرتها في الثالث عشر من ديسمبر 2002 مجلة كاونتر بنش CounterPunch التي يصدرها الصحفي الايرلندي الأصل ألكسندر كوكبرن Alexander Cocburn، وعنوانها:

"الولاء المزدوج لإدارة بوش" عرضت المقالة تحليلاً رائعاً لشبكة المحافظين الجدد التي قادت أمريكا إلى الحرب. وهذا التقرير هو من وضع بيل كريستسن Bill Christison وزوجته كاثلين Kathleen، وقد عمل الزوجان سابقاً في وظيفة محللين في وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية السي آي إيه. وأشار الكاتبان في تقريرهما إلى التعاطف الإسرائيلي لدى كبار صانعي السياسة في إدارة بوش مع التنويه إلى أن هؤلاء المحافظين الجدد هم بالفعل متحيزون بشدة لأيديولوجية الليكود في إسرائيل. ونظراً لدقة الملخص الذي أورداه حول الشخصيات المهمة من المحافظين الجدد فإننا سنسوقه هنا كما جاء:

"يتصدر المجموعة نائب وزير الدفاع بوول وولفويتس، وولفويتس هذا كان من المقربين لريتشارد بيرل الذي كان يرأس مجلس سياسة الدفاع في البنتاغون. وكثير من المحافظين الجدد المعاصرين بمن فيهم بيرل نفسه هم من تلاميذ السناتور المتوفى هنري (سكوب) جاكسون أحد صقور الدفاع وأقوى مؤيدي إسرائيل في الكونغرس في السبعينيات.

ويعتبر وولفويتس بدوره المرشد والمعلم للويس "سكوتر" ليبي، الذي يشغل الآن منصب كبير موظفي نائب الرئيس الأمريكي دك تشيني وكان أول تلاميذ وولفويتس ثم عمل تحت إشرافه في وزارتي الخارجية والدفاع في الثمانينيات.

ومن تلاميذ بيرل الآخرين دوغلاس فايث الذي يشغل الآن منصب مساعد وزير الدفاع لشؤون السياسة. ويعتبر الرجل الثالث في وزارة الدفاع، كما عمل في السابق مع بيرل في تمثيل المصالح التركية وفي وضع تقارير إستراتيجية لحكومة اليمين الليكودي الإسرائيلية.

وفي منصب مساعد وزير نجد بيتر رودمان Peter Rodman ودوف زوكايم Dov Zakheim، وهما من قدامى الموظفين في الحكومة منذ عهد رونالد ريغان وهي الفترة التي شهدت نشوء حركة المحافظين الجدد. ويشغلان الطبقة الثانية في الهرم الوظيفي لوزارة الدفاع. أما في المستويات الدنيا فنجد مكتب الشؤون الإسرائيلية ومكتب الشؤون السورية / اللبنانية قد ملئت بموظفين تم استقدامهم من معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، وهو معهد مرتبط بمنظمة إيباك أحدى أبرز منظمات اللوبي الإسرائيلي في واشنطن.

وعلى صعيد وزارة الخارجية لم يحقق المحافظون الجدد اختراقات واسعة فيها باستثناء جون بولتون John Bolton، وهو أحد صقور المحافظين الجدد من الأمريكان إنتربرايز إنستيتيوت (معهد المشروع الأمريكي) ومن مؤيدي إسرائيل، وقد تردد في الدوائر المقربة أن بولتون فرض على

كولن باول الذي كان متردداً في تعيينه في منصب نائب وزير الخارجية لشؤون السيطرة على التسلح.

المساعد الخاص لبولتون هو ديفيد ورمزر، وورمزر هذا كان قد اشترك مع بيرل وفايث في تأليف تقريرين استراتيجيين على الأقل لرئيس الوزراء الإسرائيلي السابق بنجامين ننتياهو عام 1996.

أما زوجة وورمزر واسمها مايريف ورمزر فهي الشريك المؤسس لموقع ميمري MIMRI للرقابة الإعلامية واسم الموقع هو اختصار لمعهد البحوث الإعلامية للشرق الأوسط، ويدير هذا الموقع ضباط متقاعدون من الجيش والاستخبارات الإسرائيلية، ويتخصص الموقع بمراقبة وترجمة ونشر وتوزيع ما ينشر في الإعلام العربي وخطابات القادة العرب ليتم توزيعها على أعضاء الكونغرس والمنافذ الإعلامية الأمريكية. وقد كشف تحقيق حديث أجرته صحيفة الغارديان اللندنية أن ترجمات ميمري يغلب عليها طابع الانتقائية، ومع أن الموقع يتخير ترجمة وتوزيع أكثر المقالات والتصريحات تطرفاً في العالم العربي، إلا أنه يتجاهل الأصوات المعتدلة في الإعلام العربي ويتجاهل التصريحات المتطرفة التي تنشر باللغة العبرية.

وفي مكتب نائب الرئيس، فقد قام دك تشيني بتشكيل فريق للأمن القومي خاص به يتشكل من أعضاء مشهورين

بتأييدهم لإسرائيل. نائب مدير هذا المكتب هو جون هاناه John Hannah، وهو باحث سابق في معهد واشنطن ذي التوجهات الإسرائيلية.

أما على صعيد مجلس الأمن القومي، فإن مدير شؤون الشرق الأوسط والمعين حديثاً وهو إليت أبرامز الذي دخل عالم الشهرة عندما أقر بأنه مذنب في الامتناع عن تقديم معلومات بشأن فضيحة إيران – كونترا [في الثمانينيات]. (وقد أصدر الرئيس جورج هربيرت بوش بحقه عفواً عاماً) ويعتبر أبرامز من مؤيدي مواقف اليمين المتطرف الإسرائيلي. ووضعه في موقع المسؤول عن صناعة سياسة الصراع العربي – الإسرائيلي هو أشبه ما يكون بتكليف الثعلب بحراسة قن الدجاج.

ولعل أهم منظمة في تأثيرها على تشكيل سياسة حكومة بوش هي المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي Jewish Institute for National Security والمعروفة اختصاراً باسم جنسا JINSA. وقد أسس هذا المعهد في أعقاب الحرب العربية – الإسرائيلية عام 1973 بهدف لفت انتباه صانعي السياسة في الولايات المتحدة إلى اهتمامات أمن إسرائيل والتركيز على قضايا واسعة في الدفاع. وقد حظي هذا المعهد منذ أسس بمجلس إداري متنفذ واستطاع على مر السنين أن يضع أعضاءه داخل الإدارات الأمريكية ذات الاتجاه

المحافظ. فمثلاً دك تشيني وبولتون وفايث كانوا من أعضاء هذا المجلس حتى دخولهم في حكومة بوش. كما يعمل عدد آخر من موظفي هذا المعهد في وزارة الدفاع.

أما وولفويتس فقد كان حريصاً ألا يكشف عن أجندته أمام الملأ؛ فقد كان يتناول في كتاباته قضايا إستراتيجية عريضة بدلاً من التحدث عن إسرائيل والشرق الأوسط بالتحديد، ولكن من الواضح أن إسرائيل كانت تشكل جزءاً كبيراً من اهتماماته، وقد تكون هي السبب الرئيس وراء دعمه وتحمسه المحموم في جهود الإطاحة بصدام حسين وإعادة تشكيل النظام العراقي على غرار النموذج الأمريكي ومن ثم إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط وتحقيق الهدف ذاته في سوريا وإيران وغيرها من دول الجوار.

ومع ذلك، فإن اهتمامه بإسرائيل غالباً ما يطفو إلى السطح؛ وعلى الرغم من محاولات التقليل من تعلقه بإسرائيل، إلا أننا نشاهد تكرار ذكر تأثير المذبحة النازية التي خسر فيها عدداً من أفراد أسرته على تفكيره. وقد وصفه أحد موظفي وزارة الدفاع بأنه بصراحة "مجنون إلى حد بعيد في كل ما يخص إسرائيل" وإن كان هذا الوصف يصدق بحق بقية المحافظين الجدد، ووولفويتس مذنب بالتبعية، إلا أنه حقيقة أكثر تعقيداً من ذلك"[24].

وقد أشار المحللان كريستيسون إلى ما كتبته مجلة نيويورك تايمز حول وولفويتس بقلم الصحافي بيل كلير والذي أشار بدوره إلى ما ذكره النقاد من أن " إسرائيل تؤثر بقوة جاذبة تسحب هذا الرجل نحوها"[25].

وأشار مقال النيويورك تايمز إلى أن وولفويتس أقام في إسرائيل عندما كان في سن المراهقة حيث أمضى والده إجازة تفرغه العلمي في الجامعات الإسرائيلية. إضافة إلى ذلك فإن أخته متزوجة من إسرائيلي.

وبشيء من التردد، اعترف كيلير بصحة الوصف الذي أطلق على وولفويتس بكونه "يؤمن بالاستعلائية الإسرائيلية" ومع ذلك يلاحظ كريستيسون أن كيلير قد ذهب إلى حد بعيد في إبعاد ما وصفه "الادعاء المغرض بوجود ازدواجية في الولاء لدى وولفويتس، الأمر الذي يجعل المرء يتساءل ما إذا كان كيلير يبالغ في شكواه"[26].

إن الحقائق حول زمرة المحافظين الجدد الذين يحكمون سياسات إدارة بوش باتت واضحة للعيان. وقد ترددت غالبية وسائل الإعلام الأمريكي السائدة في التركيز على التعاون القديم والارتباط غير العادي واللافت للنظر بين هذه الزمرة وبين أصحاب القرار من الساسة الذين يشاطرونهم أفكارهم. وعندما تتجرّأ

الصحافة المستقلة في أمريكا – ومن أبرزها الأمريكان فري برس American Free Press التي تصدر في واشنطن – وتشير إلى الدور البارز "للمحافظين الجدد" فإنها ترمى بتهمة معاداة السامية والاعتقاد "بنظرية المؤامرة"، وهذه من بين المصطلحات الجاهزة التي تستخدم لتشويش القضية وصرف الانتباه عن المكائد الإسرائيلية وجماعات الضغط التابعة لها.

ظهور الحقيقة في الإعلام الأمريكي

بعد أن دخلت الخطة التي وضعها وأعد لها بدقة وعناية المحافظون الجدد حيز التنفيذ، اعترفت صحيفة الوول ستريت جورنال المؤازرة للحرب في مقال نشر على الصفحة الأولى في عدد 21 مارس/شباط 2003، بالحقيقة، وكان العنوان الرئيسي للمقال في غاية الوضوح: "شرق أوسط جديد – حلم الرئيس: ليس تغيير نظام وحسب بل تغيير المنطقة. إن إيجاد منطقة ديمقراطية موالية للولايات المتحدة هو هدف تمتد جذوره إلى إسرائيل والمحافظين الجدد" وأعلنت المقالة بكل صراحة: " إن الرئيس بوش عندما أرسل الجنود والطائرات إلى العراق كان في ذهنه أكثر من مجرد تغيير دولة. إن حلمه هو جعل الشرق الأوسط برمته مكاناً مختلفاً، وأكثر أمناً للمصالح الأمريكية"[27].

وتابعت المقالة في وصف قوة ونفوذ شبكة المحافظين الجدد المؤازرين للحرب التي تدور في فلك ريتشارد بيرل ورفيقه وليام كريستول، ملخصة الأحداث التي أفضت إلى قرار الرئيس بوش بشن حرب ضد العراق والدور الذي لعبه المحافظون الجدد في تلك العملية.

وبعد ثلاثة أيام فقط، أي في 24 مارس/ شباط 2003، نشرت صحيفة النيويورك تايمز عرضاً مشابهاً معلنة أن مبدأ الحرب الوقائية الذي روج له المحافظون الجدد تعود جذوره إلى مطلع التسعينيات (إلا أننا سنلاحظ أن أجندة المحافظين الجدد تعود إلى ما قبل هذا التاريخ كما سنرى فيما بعد) ونسبت مقالة التايمز إلى مسؤول في الحكومة لم يذكر اسمه قوله حول العراق بأن ما يحدث الآن هو البداية فقط"[28].

شيوعيون سابقون يتحولون إلى محافظين جدد

إن تفهم الجذور السياسية للمحافظين الجدد وأجندتهم لا يقتضي فقط الاعتراف بالدور المهم الذي لعبه ويلعبه ويليام كريستول، بل أيضا دور أبيه وأمه ورفاقهم الذين يشكلون نقطة ارتكاز ومحور نشأة وتطور فكر المحافظين الجدد في أمريكا. ومع أن كريستول يعتبر أشهر المحافظين الجدد في الأوساط الإعلامية، إلا أنه في الحقيقة أكثر من ذلك، فهو ليس مجرد

المنظر الأول في العلاقات العامة – ولعل بعضهم يفضل استخدام كلمة المروّج أو الداعية – لحركة المحافظين الجدد، ولكنه نجل زوجين قويين معروفين من الكتاب اليهود الأمريكان اشتركا في تأليف عدد من الكتب ويعملان معاً كفريق، وهما إيرفنغ كريستول (الأب) وغريترود هيميلفارب (الأم) وقد وصفا نفسيهما بأنهما "من الأتباع السابقين لتروتسكي". ويعتبر كريستول الأب إلى جانب عدد من المفكرين الذين يشاركونه أفكاره القوة الرئيسة وراء حركة وفكر المحافظين الجدد.

وبحسب ما نشرته الصحيفة اليهودية الأمريكية الأسبوعية فوروارد، فإن هذه المجموعة الصغيرة و"غالبيتها من اليهود"[(29)] من "مثقفي نيويورك"[(30)] والتي تعمل في فلك تأثير كريستول الأب كان يطلق عليها "في أوساط المقربين "الأسرة"[(31)] وهو لغز يدل على أن الرابطة التي تربط هؤلاء هي أشبه ما تكون بالعلاقة بين أتباع فرقة أو مذهب متكتم، أو ربما "خلية" شيوعية تقليدية.

وبالفعل هناك صلة بين الحرب الباردة وكريستول و"الأسرة"، فقد كانوا – في الفترة ما بين 1930 إلى الخمسينيات –من أتباع وتلاميذ ليون تروتسكي – الذي كان من أبرز قيادي الثورة البلشفية وخصماً لدوداً لجوزيف ستالين الذي أصبح قائد الاتحاد السوفيتي بعد أن أجبر تروتسكي على مغادرة البلاد – إلا أنه

وبمرور السنين، وبالتحديد في نهاية الخمسينيات وعقد الستينيات، بدأت فلسفتهم السياسية بالتطور. وهناك من يقول بأن أتباع تروتسكي السابقين هم كل شيء ماعدا سابقين؛ فقد بقوا أتباعا مخلصين لتروتسكي إلا أنهم كيفوا فلسفتهم التقليدية بما يتمشى مع الاعتبارات والاهتمامات العصرية والأحداث والحقائق السياسية على أرض الواقع.

وقد أشار الكاتب مايكل ليند في كتابه الجديد حول سيرة جورج بوش إلى أصل هذه النواة المتكاتفة والمترابطة بإحكام والتي تحيط بكريستول لسنوات قادمة وتفسر التحول الذي طرأ على وجهات نظرهم:

"لم يكن المحافظون الجدد جمهوريين محافظين تقليديين. فغالبيتهم كانت من الليبراليين أو الديمقراطيين اليساريين؛ وبعضهم كانوا من الماركسيين. وكثير منهم هم من اليهود الذين انشقوا عن اليسار الديمقراطي بسبب معارضة اليساريين للاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية عقب عام 1967 ومعاداة الثوريين السود لكل من اليهود الأمريكيين وإسرائيل. وقد كان رونالد ريغان أول مرشح جمهوري يصوت له المحافظون الجدد في تاريخهم.

وفيما عكست السياسية الخارجية التقليدية للحزب الجمهوري مخاوف نخبة أصحاب الأعمال والشركات من

الفوضى الدولية، فإن إستراتيجية المحافظين الجدد تعكس الأيديولوجية الصليبية المحمومة لليبراليين الويلسونيين [نسبة إلى الرئيس الأمريكي السابق ويدرو ويلسون الذي كان ينادي بالتدخل الأمريكي في الخارج] والثوريين الماركسيين، ممزوجة فيما يخص المحافظين الجدد من اليهود بالمشاعر المشحونة نحو إسرائيل"[32].

إسرائيل والمحافظون الجدد

وصف الباحث اليهودي الأمريكي بنيامين غينزبيرغ Benjamin Ginsberg الدور الإسرائيلي الرئيس في تفكير المحافظين الجدد وتأثيره على نشاطهم السياسي خلال الربع الأخير من القرن الماضي بالقول:

"لقد كان المفكرون اليهود أداة فاعلة خلال السبعينيات والثمانينيات في إيجاد مسوغات لزيادة نفقات الدفاع، وفي ربط المساعدات العسكرية الأمريكية لإسرائيل بالجهود الأمريكية العامة لاحتواء الاتحاد السوفيتي.

وتم تصوير إسرائيل بأنها "الحليف الاستراتيجي" لأمريكا والتي يمكن أن تلعب دورا مهما في احتواء التوسع السوفيتي في الشرق الأوسط.

وانخرط عدد من المحافظين الجدد في العمل في جماعات الضغط (اللوبي) لزيادة نفقات التسلح وزيادة

القدرات الدفاعية الأمريكية ضد ما سموه بالخطر المتزايد المحدق للتوسع السوفيتي"[33].

كما ظهر تقويم أقل ودّا للمحافظين الجدد بقلم الروائي الأمريكي المشهور غور فايدال Gore Vidal في مقالة نشرت عام 1986. وقال غور فايدل وهو يرد على اتهامات وجهت إليه "بمعاداة السامية" بسبب انتقاده لارتباط المحافظين الجدد بإسرائيل أكثر من ارتباطهم بالولايات المتحدة لدرجة غير طبيعية، وسماهم بـ"عاشقي الإمبراطورية" موضحاً بأن هناك سبباً واحداً دفع هؤلاء التروتسكيين السابقين إلى الافتتان بالقوة العسكرية الأمريكية:

"حتى يتسنى تأمين حصول إسرائيل على أموال الخزينة الأمريكية (3 مليارات دولار في العام الماضي) تحتم على اللوبي الإسرائيلي أن يبقي جوقة "الروس قادمون" في مكانها لمواصلة تخويف الشعب الأمريكي كي لا يتردد في تخصيص ميزانيات ضخمة من أجل "الدفاع"، وهو ما يعني بالضرورة زيادة الدعم لإسرائيل في حروبها غير المتناهية مع من حولها. وحتى يتسنى تخصيص ثلث الميزانية الأمريكية لوزارة الدفاع، كان من الضروري أن يجد اللوبي الإسرائيلي أهدافاً مشتركة مع اليمين المسوس"[34].

لم يكن لدى غور فايدل في ذلك الوقت أدنى فكرة عن مدى القوة التي سيتمتع بها المحافظون الجدد في المستقبل. ومع ذلك يبقى

فايدل أحد أشد منتقدي السياسات الإمبريالية الأمريكية والإسرائيلية، وأحد أبرز الروائيين الأمريكيين في العالم اليوم.

ومهما بلغت درجة الاعتراف بهم في أوساط المثقفين، فإن عناصر المحافظين الجدد كانت (وما زالت) غريبة عن معظم شرائح الشعب الأمريكي. بل إن أول مرة استخدم فيها مصطلح "المحافظين الجدد" في وسائل الإعلام الأمريكية على نطاق واسع كان في السابع من نوفمبر/تشرين الثاني عام 1977 وذلك في مجلة نيوزويك التي تصدرها الشركة ذاتها التي تصدر صحيفة الواشنطن بوست.

وبحلول عام 1979، صدر أول كتاب يتناول دراسة "المحافظين الجدد" من تأليف بيتر ستاينفلز Peter Steinfels بعنوان "المحافظون الجدد: الرجال الذين غيروا سياسات أمريكا" ويصف هذا الكتاب فلسفة المحافظين الجدد بأنها "نظرة سياسية قوية ومميزة ظهرت مؤخراً في الولايات المتحدة"[35].

وامتدح المؤلف إيرفنغ كريستول، والد ويليام كريستول، ووصفه بأنه "الحامل الحقيقي للواء النزعة المحافظة الجديدة"[36] وركز المؤلف في جزء كبير من الكتاب على كريستول وأتباعه من المفكرين الذين وضعوا أسس هذا المذهب.

ووصف الكتاب النزعة المحافظة الجديدة بأنها فلسفة جديدة في طور التكوين مركزا على نظرتها السياسية على الصعيد المحلي. ومن اللافت للنظر أن الكتاب لم يخصص سوى جزء بسيط منه على أجندة السياسة الخارجية للمحافظين الجدد وذلك على الرغم من أن جل اهتمام وتركيز المحافظين الجدد في بداية نشأتهم كان منصباً على موضوعات السياسة الخارجية. ومع ذلك فقد لاحظ ستاينفلز أن المحافظين الجدد وبوصفهم أتباعا سابقين لتروتسكي كانوا يتخذون موقفا معاديا من الاتحاد السوفيتي وإرث جوزيف ستالين.

ومع ذلك، تطرق المؤلف لذكر حقيقة ما كان يدور من إشاعات حول كريستول وبخاصة الاتهامات التي تعود إلى الخمسينيات من القرن الماضي وهي أن كريستول كان يتقاضى مخصصات مالية من وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية السي آي إيه.

السي آي إيه والمحافظون الجدد

كشف الكاتب فرانسيس ستونر سوندرز منذ وقت قريب في كتابه "الحرب الثقافية الباردة: وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية وعالم الفن والكلمات" عن الحلقات التي لعب فيها كريستول دوراً رئيساً والتي كانت تحيط بمجموعة تعرف باسم

المجلس الأمريكي للحرية الثقافية Congress for Cultural Freedom (وجد من 1950 إلى عام 1967) واللجنة الأمريكية للحرية الثقافية American Committee fro Cultural Freedom (وجدت عام 1950 إلى عام 1957) وهاتان المجموعتان كانتا تتلقيان دعماً مالياً من وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية على وجه التأكيد، وبحث الكاتب بعمق أنشطة كريستول ورفاقه وأكد في النهاية أن كريستول مدين بالشهرة الواسعة التي حظي بها في بداية نشاطه إلى الدعم الذي كان يتلقاه من الاستخبارات الأمريكية[37].

وبحسب ما جاء في دراسة نشرت عام 1986 أعدها سيدني بلومنثال Sidney Blumenthal (وهو صحفي أمريكي – يهودي يعمل في صحيفة الواشنطن بوست وشغل فيما بعد منصب مستشار رفيع للرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون) فإن إيرفنغ كريستول كان يعرف بأنه "الأب الروحي" لحركة المحافظين الجدد إذ كان يلجأ إليه الكثيرون من أجل الحصول على الوظائف المجزية والدعم المالي... وكان كريستول "يقوم بتهيئة عروض مجزية جداً من معاهد ومؤسسات فكرية لدرجة يصعب معها على أي من المحافظين الجدد أن يرفضها"

ونقل عن جودي وانسكي Jude Wanniski إحدى تلميذات كريستول التي انشقت فيما بعد عن حركة المحافظين الجدد – نقل عنها قولها في وصف كريستول بأنه "اليد الخفية" وراء حركة المحافظين الجدد[38].

ولاحظ بلومنثال أن سلطة كريستول كانت من القوة بحيث يمكن مقارنته بدائرة من التأثير تشع مثل شجرة عيد الميلاد عندما يكون موصولاً"[39] وفي الحقيقة استطاع كريستول أن يوسع من دائرة نفوذه من خلال مجلاته التي يصدرها وهي: ناشونال إنترست The National Interest (المصلحة القومية) The Public Interest (المصلحة العامة) ولم تقتصر دائرة النفوذ هذه على الحزب الجمهوري وحسب بل تعدته إلى الميدان العام.

وبعد أن ثبت الجذور التروتسكية للمحافظين الجدد، قوّم سيدني بلومنثال طبيعة هجرة – أو بالأحرى احتلال – المحافظين الجدد للحزب الجمهوري، قائلاً: "المحافظون الجدد هم تروتسكييو الريغانية، وكريستول ما هو إلا تروتسكي تحوّل إلى اليمين"[40].

وبعد الأخذ بعين الاعتبار كل ذلك، تبقى حقيقة أن ويليام كريستول – ابن الأب الروحي لحركة المحافظين الجدد إيرفنغ كريستول – يحمل اليوم ميراث الأسرة، هذا الميراث الذي يمتد إلى

الصراع الفلسفي الداخلي في العهد البلشفي والحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي. وكريستول الأصغر هو وبدون أدنى شك واحد من أقوى صانعي الأفكار على وجه الأرض اليوم.

العلاقة مع مرداخ

بعد أن نصب نفسه "قائداً محافظاً" ومن خلال عمله ناشراً ومحرراً في صحيفة ويكلي ستاندرد Weekly Standard التي يملكها الملياردير روبرت مرداخ، دعا ويليام كريستول مراراً وتكرارا إلى التدخل الأمريكي في الخارج كوسيلة لتعزيز مصالح إسرائيل – وهو موقف يتمشى مع رغبات مرداخ نفسه الذي يعرف عنه تأييده ودعمه لجناح الليكود المتشدد في إسرائيل. (ينحدر مرداخ من أم يهودية، مع العلم أن هذه المعلومة يتم تجاهلها كثيرا في وسائل الإعلام التي تروي افتتان مرداخ بالقضايا الصهيونية).

وقد أشار عدد من النقاد خلال الأعوام السابقة إلى أن مرداخ ما هو إلا وكيل إعلامي يعمل في الواجهة ويتقاضى أتعاباً مجزية من مجموعة قوى مسيطرة تجمع أسرا مالية مشهورة هي الروثتشايلد والبروفمان والأوبنهايمر بالإضافة إلى مرداخ، هذه

المجموعة كان يطلق عليها في بداية الثمانينيات "عصابة المليارديرين الأربعة".

وترتبط هذه الزمرة من المليارديرين بعدة روابط مشتركة لا تقتصر على التعاون في الشؤون المالية الدولية وحسب بل وفي الثقافة اليهودية وتفانيها في تكريس ودعم مصالح دولة إسرائيل. وتعمل هذه المجموعة على توسيع سيطرتها وتأثيرها على الإعلام الأمريكي، وعمليات مرداخ هي الأبرز للعيان.

رجال كريستول في البيت الأبيض

يتغلغل معارف كريستول الشخصيين داخل إدارة بوش تغلغلاً عميقاً. وقد وصفت صحيفة الواشنطن بوست في التاسع عشر من مارس/آذار من عام 2002 علاقات وروابط كريستول الواسعة والحميمة مع أبرز العاملين في مراكز السلطة في البيت الأبيض. مسجلة أن جوزيف شاتان عين كاتباً لخطابات الرئيس بوش، وأضافت الواشنطن بوست القول:

"عمل شاتان تحت إدارة كريستول عندما كان هذا الأخير يشغل منصب كبير موظفي نائب الرئيس الأمريكي السابق دان كويل، وسوف يعمل شاتان مع ماثيو سكولي كاتب خطابات بوش وجون ماكونيل كاتب خطابات دك تشيني نائب الرئيس، وعمل كلاهما تحت إشراف

كريستول في عهد كويل. أما بيتر وينهر وهو أيضا من كتبة الخطابات فقد عمل تحت كريستول عندما كان كبير موظفي وزير التعليم السابق ويليام بنيت [وبينت هذا هو أحد تلاميذ كريستول الأب]، أما ماثيو ريس كاتب خطابات مستشار الأمن القومي فقد عمل لدى كريستول في مجلة الويكلي ستاندرد"[41].

وبالنتيجة نجد أن عدداً كبيراً من كتبة الخطابات والبيانات والتصريحات الرسمية للرئيس ونائبه وعدداً آخر من صانعي السياسة يدينون بولائهم لكريستول. ولاحظت البوست أن تأثير كريستول يذهب إلى أبعد من ذلك:

وزير الطاقة سبنسر أبراهام؟ كان معاوناً لكريستول منذ عهد كويل، أما جون وولترز مدير المكتب الوطني للضبط والسيطرة على المخدرات فقد عمل تحت إدارة كريستول في وزارة التعليم. وأما جي ليفكويتز الذي يشغل منصب مدير مجلس السياسة المحلية في حكومة بوش، فقد كان محامي كريستول.

ومن رفاق كريستول الآخرين: إليت أبرامز مدير مجلس الأمن القومي، ولويس ليبي كبير موظفي دك تشيني نائب الرئيس الأمريكي؛ وبول وولفويتس نائب وزير الدفاع، وجون بولتون وكيل وزارة الخارجية؛ وليون كاس الذي يرأس لجنة أخلاق علم الأحياء bioethics، ويصل تأثير

كريستول إلى الدائرة الشخصية للرئيس بوش بوجود آل هبارد وهو صديق مقرب للرئيس بوش وكان يشغل منصب نائب كريستول أيام دان كويل[42].

واللافت للنظر في هذا كله أن وليام كريستول نفسه كان يدعم منافس بوش في الانتخابات الأولية للحزب الجمهوري السيناتور جون ماكين المعروف باندفاعه المحموم في دعم إسرائيل في حملته الانتخابية للرئاسة عام 2000. ويمكن القول بأن كريستول كان في البداية خارج محيط دائرة بوش، ثم أصبح في مركز تلك الدائرة ويتمتع بنفوذ لا يضاهى.

ويشير أحد نقاد كريستول إلى الترويج والحفاوة التي يلقاها في الإعلام الأمريكي، ويقول هذا الناقد في وقت يعود إلى عام 1996 بأن كريستول كان "أكثر شخص يقتبس من كلامه في الإعلام، [وبالنتيجة] أكثر المنظرين الإستراتيجيين في الحزب الجمهوري"[43].

وهذا يعني أن الإعلام الأمريكي حين يريد أن يروج لفكرة ما أو وجهة نظر معينة، فإن الصحف ومراسلي وسائل الإعلام يتوجهون صوب كريستول لنقل وجهة نظر "المحافظين الجدد" — متخطين أشخاصاً أكثر شهرة واحتراماً وعلماً منه — ورب قائل

يقول بأن هذا ليس من محض المصادفة إذا ما أخذنا بالاعتبار التحيز الظاهر لوسائل الإعلام نحو إسرائيل.

وبوجود كريستول كناطق مفوه ومؤثر في الإعلام، وجد "المحافظون الجدد" داخل حكومة بوش حليفاً قوياً لهم في الإعلام، وفي المقابل يمتلك حلفاؤه في الحكومة موارد ضخمة ونفوذاً وروابط دولية تسانده. وهكذا، وعلى إثر هجمات الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول، وعندما تهيأت حكومة بوش للثأر من الهجمة على أمريكا، بدأ كريستول وقوى المحافظين الجدد التابعة له بالاحتشاد للعمل على توسيع الرد الأمريكي ضد المتهم الرئيسي في العملية: الإسلامي الأصولي أسامة بن لادن، ليشن حرباً شاملة على العالمين العربي والإسلامي.

وفي البداية، ظهر وزير الخارجية كولين باول بوصفه المسؤول البارز الوحيد في حكومة بوش الذي وقف في وجه سياسة أمريكية إمبريالية فيما يخص الحرب على العراق.

ووقف مع باول رئيس هيئة الأركان المشتركة في الحث على ضرورة أخذ الحيطة والحذر في التعامل مع الأزمة، ولكن باول واجه مجموعة متعاضدة ومتكاتفة داخل حكومة بوش من دعاة الحرب المتشددين تحاول أن تدوس على سياسة الحكومة المعلنة وإفساد وتدمير البلاد لمصالحها الشخصية.

وبينما كان نائب وزير الدفاع بول وولفويتس الشخص المهم الذي يشكل المحور الأساسي للوبي الإسرائيلي داخل حكومة بوش في الدفع باتجاه حرب شاملة على الدول العربية ذات الوزن مثل العراق وسوريا – ولا ننسى إيران – وجدت جهوده تلك دعماً ومؤازرة غير منقطعة من وليام كريستول ومعه شبكة "المحافظين الجدد" على الصعيدين السياسي والإعلامي.

كيسنجر وكريستول

في 24 ديسمبر/كانون أول من عام 2001، قدمت صحيفة أمريكان فري برس التي تصدر في واشنطن ملخصا حول خلفية كريستول مشيرة إلى أن كريستول عضو في مجموعة بيلدربيرغ السرية التي تتلقى دعماً مالياً من إمبراطوريتي المال: الروكوفلر والروثتشايلد. وكريستول عضو أيضا في مجلس العلاقات الخارجية Council on Foreign Relation الذي يشكل نادي نخبة صانعي السياسة في الولايات المتحدة – والمرتبط بالمعهد الملكي للشؤون الدولية Royal Institute of International Affairs ومقره في لندن وتموله أسرة الروثتشايلد؟.

وكشف التحقيق الذي أجرته الأمريكان فري برس عن مزيد من التفصيلات بشأن الصلات العريضة لأسرة كريستول. ويدير كريستول شركة تعرف باسم شركة ناشونال أفيرز

وتصدر مجلتين هما ناشونال إنترست National Affairs National Interest (المصلحة الوطنية) وببلك إنترست Public Interest (المصلحة العامة) ومن أعضاء مجلس إدارة هذه الشركة هنري كيسنجر.

ويأتي الجزء الأكبر من الدعم المالي لهذه الشركة من مؤسسة ليند آند هاري برادلي Lynde and Harry Bradley Foundation التي كان لكريستول الابن علاقة بها. والحقيقة أن هذه المؤسسة – كما سنشاهد فيما بعد – معروفة بدعمها السخي للحملات الدعائية والإعلامية المضللة والمعادية للعرب والمسلمين.

وفي الوقت الذي كان فيه إيرفنغ كريستول يلعب دوراً رئيساً ومؤثراً في مؤسسة الأمريكان إنتربرايز إنستيتيوت American Enterprise Institute ؟ ذات التأثير الواسع والتي تعد معقلاً من معاقل المحافظين الجدد، كان ابنه ويليام كريستول يشرف على مؤسستين تعملان في العلاقات العامة وهما:

1) إمباور أمريكا Empower America (تمكين أمريكا)، أسسها كريستول بالاشتراك مع عضوين سابقين في الكونجرس هما جاك كيمب (جمهوري من ولاية نيويورك) وفن ويبر (جمهوري من ولاية مينيسوتا)، بالإضافة إلى وزير التعليم السابق ويليام بينيت – وهؤلاء الثلاثة هم من غير اليهود – ولكن يعرف عنهم تحمسهم الشديد ومجاهرتهم بتأييد القضايا التي تهم إسرائيل.

2) المشروع الأحدث لكريستول هو بروجكت فور ذي نيو أميركان سنتشري (مشروع القرن الأمريكي الجديد) Project for the New American Century وهو عبارة عن مجموعة ضغط تنادي باستخدام القوة الأمريكية في الخارج، وبالتحديد تطبيق إجراءات مصممة لتعزيز مصالح إسرائيل.

وبعد أسبوع فقط من هجمات الحادي عشر من أيلول على الولايات المتحدة – وبالتزامن مع الحملة التي كان يتزعمها بول وولفويتس نائب وزير الدفاع داخل إدارة بوش من أجل توسيع دائرة الحرب على الإرهاب لتشمل القضاء على دول عربية وإسلامية تعتبرها إسرائيل عدوة لها – أصدر وليام كريستول دعوة لاستخدام القوة موقعة من أعلام السياسة الخارجية لدعم توصيات وولفويتس. واستخدم هؤلاء الأعلام بدورهم نفوذهم وصلاتهم في المنافذ الإعلامية والأكاديمية ومؤسسات صناعة السياسة بغية الضغط على حكومة بوش لتنفيذ الإجراءات التي طالب بها وولفويتس.

شبكة ريتشارد بيرل المتشعبة

يعتبر ريتشارد بيرل (الذي يبدو وكأنه موجود في كل مكان في جميع الأوقات) الأكثر نفوذا من بين المتعاونين مع كريستول الذين وقعوا على تلك الدعوة، وقد عمل بيرل في حكومة رونالد ريغان مساعداً لوزير الدفاع لشؤون سياسة الأمن الدولي. والواقع أن

بيرل يعتبر القوة الدافعة المنفردة وراء المجموعة المترابطة (بمن فيهم وولفويتس) التي تعمل الآن في مؤسسات الأمن القومي الأمريكي والتي يعود أصلها إلى بداية السبعينيات من القرن الماضي عندما كان بيرل يشغل منصب كبير مساعدي السيناتور هنري إم جاكسون (ديمقراطي من واشنطن العاصمة).

كانت بداية ظهور بيرل إلى جانب ستيفن براين أحد أقرب المتعاونين معه في واشنطن عندما عملا معاونين في مكاتب مجلس الشيوخ. حيث كان بيرل يشغل كبير معاوني السيناتور جاكسون الذي كان يرأس لجنة الخدمات العسكرية في مجلس الشيوخ. بينما كان براين كبير معاوني السيناتور كليفورد كيس (جمهوري من ولاية نيوهامبشير) وهو عضو قديم من الحزب الجمهوري في لجنة العلاقات الخارجية لمجلس الشيوخ.

وكان معروفاً عن كل من جاكسون وكيس تأييدهما المحموم والعلني لإسرائيل. غير أن مساعديهما كانا منهمكين في تقديم "خدمات خاصة" من وراء الكواليس للدولة العبرية الصغيرة، والقوية رغم ذلك، في الشرق الأوسط.

وفي عام 1970، وبعد أن أصدر مجلس الأمن القومي أمراً بمراقبة خطوط هواتف السفارة الإسرائيلية في واشنطن، تبين أن بيرل قدم إلى موظف في السفارة الإسرائيلية معلومات سرية. وعلى

الرغم من مطالبة ستانفيلد تيرنر مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (السي آي إيه) وقتها السيناتور جاكسون بالتخلص من بيرل، إلا أن جاكسون رفض ذلك الطلب الأمر الذي زاد من حدة التكهنات بأن اللوبي الإسرائيلي متمكن جيداً من السيناتور المتمرس.

وفي عام 1975، أشار الصحافي اليهودي – الأمريكي ستيفن آيزكس، والكاتب في الواشنطن بوست، في كتابه اليهود والسياسة الأمريكية Jews and American Politics، إلى أن بيرل – إضافة إلى موظف رفيع آخر في الكونجرس وهو موريس آميتاي والذي ترأس فيما بعد لجنة العلاقات الإسرائيلية الأمريكية العامة الإيباك – إحدى أقوى مؤسسات اللوبي الإسرائيلي – " كانا يقودان جيشاً صغيراً من محبي السامية في الكابتول هيل؟ ويوجهان القوى اليهودية نيابة عن المصالح اليهودية"[44].

شؤون الفريق (ب)

إلا أن تأثير بيرل امتد إلى ما هو أبعد من ردهات الكونغرس. ولم يقتصر نشاطه على لعب دور أساسي لصالح اللوبي الإسرائيلي داخل الكابتول هيل، بل كان لاعباً جوهرياً في اختيار أعضاء جهاز رسمي كان يعرف رسمياً باسم "الفريق (ب)" الذي تشكل في منتصف السبعينيات من القرن الماضي. وكانت الوظيفة المفترضة

لهذا المجلس أن يكون مجلساً استشارياً "مستقلاً" بشأن تقديرات الاستخبارات الخاصة بأهداف وتوجهات الاتحاد السوفييتي وقدراته.

وفي الحقيقة، كان أعضاء الفريق (ب) عاقدين العزم منذ البداية على توجيه كافة أوجه السياسة الخارجية الأمريكية بما يخدم المصالح الإسرائيلية.

وحتى يمكننا أن نفهم ما يحدث اليوم كنتيجة لسيطرة المحافظين الجدد على مقاليد الحكم في العاصمة واشنطن، فإن من الضروري أن ندرك الأحداث الجيوبوليتيكية التي أحاطت بتاريخ المجموعة التي تعرف باسم الفريق (ب).

وعلى الرغم من أن الفريق (ب) كان محل جدل ونقاش على أعلى المستويات، إلا أن قصة هذا الفريق لم تصل إلى قطاع عريض من الناس إلا حين بدأ الصحافي الراحل آندرو سينت جورج، وهو مراسل صحافي دولي مشهور، عمل سابقاً في مجلة لايف، بالكشف عن تاريخ هذا الفريق على صفحات صحيفة سباتلايت الوطنية الأسبوعية المستقلة.

ظهر الفريق (ب) في منتصف السبعينيات من القرن الماضي في الوقت الذي كانت فيه فصائل صقور الحكومة الإسرائيلية تضغط بشدة على واشنطن من أجل الحصول على مزيد من الدعم

والعتاد العسكري والمالي من الولايات المتحدة عن طريق برامج المساعدات الخارجية الأمريكية. واستخدم مؤيدو إسرائيل الحجة القائلة بأن إسرائيل بحاجة إلى مزيد من الدعم العسكري من أجل حماية الشرق الأوسط ضد "العدوان السوفييتي" — وهي الحجة التي طرب لسماعها مناهضو الشيوعية المتشددون من كلا الحزبين الجمهوري والديمقراطي. وقد استخدمت إسرائيل "الكرت السوفييتي" إلى أقصى حدوده.

أما الإسرائيليون فقد كان يجادلون بكل ما أوتوا من قوة ضد سياسة الانفراج لأنهم كانوا يخشون أن أي تعاون بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي يمكن أن ينتج عنه عمل مشترك من الدولتين العظميين من شأنه أن يكون مضراً بالمصالح الإسرائيلية.

وتمشياً مع تلك النظرة، أطلق البروفيسور آلبرت هولسيتر المحاضر في جامعة شيكاغو عام 1974 اتهاماته لوكالة الاستخبارات المركزية (السي آي إيه) بأنها تتعمد التقليل من أخطار نشر الصواريخ السوفييتية. ويعرف البروفيسور هولسيتر بأنه مصمم الإستراتيجية النووية الأمريكية — وهو كذلك معلم ومرشد قديم لريتشارد بيرل[45]. والحقيقة أن العلاقة بين الاثنين كانت أقرب من ذلك: فقد كان بيرل الذي نشأ في مدينة لوس أنجلوس صديقاً لابنة هوليستر في مرحلة الدراسة الثانوية.

وبالاعتماد إلى حد كبير على رأي هوليستر، بدأ بيرل وعملاء إسرائيل في الكابتول هيل وواشنطن العاصمة بمهاجمة وكالة الاستخبارات المركزية السي آي إيه والمطالبة بالمزيد من التدقيق والاستيضاح في تحليلات الوكالة حول المقدرات السوفييتية. واستخدم بيرل مكتب السيناتور جاكسون – الذي كان يرغب بالترشيح للرئاسة عن الحزب الديمقراطي عام 1976، بدعم مالي من الجماعات اليهودية الأمريكية – كمقر رئيسي للهجوم على السي آي إيه.

إلا أن محللي وكالة الاستخبارات المركزية سخروا من صرخات التحذير الجزافية الإسرائيلية. وسعى فريق المحليين وعلى رأسهم كبير المحللين في مكتب التقديرات الوطنية إلى إعادة التأكيد للبيت الأبيض بأن الاتحاد السوفييتي على الأقل في تلك الفترة، لا يملك النية ولا القدرة لمهاجمة أي هدف ذي بال للمصالح الأمريكية مثل دول الخليج الغنية بالنفط.

وعلى الرغم من ذلك، قام حلفاء إسرائيل في واشنطن بالمناورة بهدف التصدي لنتائج تحليلات مكتب التقديرات الوطني التابع لوكالة الاستخبارات الأمريكية. وتحت تأثير الضغط السياسي من السناتور جاكسون وغيره من مؤيدي إسرائيل، وافق الرئيس الأمريكي آنذاك جيرالد فورد في منتصف السبعينيات (وهو ذات

الوقت الذي كان يعمل فيه جورج بوش الأب مديراً لوكالة السي آي أيه) على إنشاء آلية "لتدقيق ومراقبة" البيانات والمعلومات الاستخبارية الصادرة عن ضباط الاستخبارات في الوكالة والذين أطلق عليهم اسم "فريق (أ)" على أن يتولى تشكيله لجنة خارجية "مستقلة" من الخبراء تعرف باسم "الفريق (ب)".

إلا أن هذا الفريق الجديد "المستقل" الذي ترأسه البروفسور ريتشارد بايبس المولود في روسيا ومن أشد المتحمسين للقضايا الصهيونية، أصبح نقطة انطلاق وقاعدة للتأثير الإسرائيلي.

(وفي السنوات اللاحقة، ظهر دانييل بايبس وهو ابن ريتشارد بايبس كأحد أعتا متزعمي حملات التشهير الإعلامي المعادية للعرب والمسلمين في الولايات المتحدة من شبكة المحافظين الجدد؟. وهو يدير الآن مركز أبحاث يسمى ميدل إيست إنستيتيوت (معهد الشرق الأوسط) ويعمل بتنسيق كامل مع بيرل. وفي صيف عام 2003 رشح الرئيس بوش دانييل بايبس إلى عضوية معهد السلام، وهو مؤسسة تمولها الحكومة الأمريكية، وذلك برغم المعارضة الشديدة لهذا الترشيح من قبل كثير من الشخصيات التي ترى في بايبس شخصاً متعصباً ينشر الكراهية ويتبنى أجندة سياسية أحادية النظرة).

وفي جميع الأحوال، فقد كان ريتشارد بيرل مسؤولا إلى مدى بعيد عن اختيار أعضاء "فريق (ب)". وكان بوول وولفويتس أحد الذين تم اختيارهم في هذا الفريق بناء على توصية بيرل. وكان من بين الأعضاء البارزين في الفريق الدبلوماسي المخضرم بول نيتز.

وكتبت آن هيسينغ التي بحثت في قضية الفريق (ب)، تقول: "لقد كان هناك تقارب شديد بين غالبية أعضاء الفريق"[46] ونقلت عن بيرل قوله: "لقد انبعث ترابط المحافظين الجدد من اليهود بسبب تلك الفترة التي سادت فيها المخاوف من التقارب الأمريكي السوفيتي وأيضاً بسبب إسرائيل"[47] ووصف روبرت بووي نائب مدير وكالة الاستخبارات المركزية لشؤون الاستخبارات الوطنية، وصف جهود فريق (ب) بأنها "معركة كانت غايتها جوهر الحزب الجمهوري من أجل التمكن والسيطرة في النهاية على السياسة الخارجية داخل الحزب"[48].

وفي تلك الأثناء، قام جورج هيربيرت بوش (الأب) الذي كان وقتها مديرا للوكالة بتكليف جون بيسلي، الذي كان قد تقاعد لتوه من الوكالة، وسيطاً بين فريق (أ) الذي يعمل من داخل الوكالة وبين فريق (ب) ذي التوجهات الإسرائيلية. وكتب آندرو سينت جورج في مجلة سباتلايت في الخامس من فبراير 1996، نقلاً عن ميد روينغتون وهو محلل سابق في عمليات الاستخبارات المضادة

قولـه: "سـرعان مـا اتضـح لبيسـلي أن هـؤلاء المفكـرين كـانوا يحـاولون التشـكيك في توصـيات وكالـة الاسـتخبارات المركزيـة واسـتبدالها بوجهـة النظـر المرعبـة لنوايـا الاتحـاد السـوفييتي الـتي يفضلها المحللون الإسرائيليون"[49].

ومـع بدايـة عـام 1978 أنهـى فريـق (ب) مراجعتـه لإجـراءات وبرامج وكالة الاستخبارات المركزية وأصدر تقريـراً مطـولاً تنـاول بالنقد الشديد كل ما توصلت إليه الوكالة في السنوات السابقة حول القدرة العسكرية للاتحاد السوفييتي وأهدافها.

وجـاء في التقريـر الصـادر عـن الفريـق (ب) المؤيـد لإسـرائيل أن الاتحـاد السـوفييتي كـان يعمـل سـراً علـى تطـوير قـدرات مـا يسـمى "الضـربة الأولى" لأن الاعتقـاد الاسـتراتيجي السـوفييتي يفـترض أن مثل هذا الهجوم المباغت سيضـمن لهم التفـوق على الولايات المتحـدة في حالـة حـدوث مواجهـة نوويـة بـين البلـدين. ورفـض الفريـق (ب) تقديرات المحللين الـذين يـرون أن موسـكو لـيس لـديها النيـة في بـدء نـزاع نـووي إلا إذا تمـت مهاجمتهـا. وفي النهايـة، وكمـا هـو متوقـع، فقـد كانـت الغلبـة للنتـائج الـتي توصـل إليهـا الفريـق (ب)، وكانـت النتيجـة المباشـرة لـذلك هـو إعـادة إحيـاء سـباق التسلح بـين الاتحـاد السـوفيتي والولايـات المتحـدة وتـدفق ضـخم مـن المسـاعدات العسكرية والمالية إلى إسرائيل خلال الثمانينيات.

وقد كان أساس التقرير الذي قدمه الفريق (ب) هو التحذير بأن الاتحاد السوفييتي بدأ يفقد إمداداته النفطية. وهي تحذيرات استقيت من التقديرات التي قدمتها الاستخبارات الإسرائيلية والتي وصفت آنذاك (وثبت صحة ذلك الوصف فيما بعد) بأنها تقديرات احتيالية كاذبة.

ونتيجة لذلك، تنبأ الفريق (ب) بأن الاتحاد السوفييتي سيعاني من نقص حاد في موارد الطاقة مع بداية 1980 الأمر الذي سيجبر موسكو على استيراد ما يقارب 4.5 مليون طن من النفط في اليوم من أجل تلبية احتياجاتها الأساسية. هذا الحرمان من الطاقة كما تدعي الدعاية الإسرائيلية المضللة، سيجبر الاتحاد السوفييتي على احتلال إيران أو بعض دول الخليج الغنية بالنفط حتى ولو كان ذلك على حساب مواجهة نووية مع الولايات المتحدة.

وعلى الرغم من أن التقرير النهائي لفريق (ب) كان سرياً، إذ لم يكن الاطلاع عليه متاحاً سوى لعدد محدود من قادة الحكومة، فإن جون بيسلي استطاع الحصول على نسخة منه في صيف 1978 وبدأ بالتحضير لكتابة نقد مفصل لدحض المزاعم الإسرائيلية. إلا أن بيسلي قتل قبل أن ينهي مهمته.

ووفقاً لريتشارد كليمنت الذي كان يرأس لجنة مكافحة الإرهاب التابعة للوكالة في عهد حكومة ريغان فإن: "الإسرائيليين

ليس لديهم أدنى وخزة ضمير من تصفية موظفي الاستخبارات الأمريكية المهمين الذين يهددون بفضح أفعالهم. والمطلع على قضية بيسلي من بيننا يعلم أنه قتل على يد الموساد. ولكن لا أحد، ولا حتى في الكونجرس، يريد أن يقف ويجهر بتلك الحقيقة أمام الملأ"[50].

وتشير الأدلة الثابتة والمتراكمة التي تجمعت على مر السنين على يد مجموعة متنوعة ومستقلة من الباحثين داخل وخارج الحكومة ومن بينهم عدد من اليهود – إلى أن المتآمرين الصهاينة داخل الفريق (ب) قد قاموا بالفعل بتضخيم وتهويل المخططات الإمبريالية والإستراتيجيات العسكرية السوفييتية مؤكدة ما توصل إليه بيسلي وغيره من المحللين غير المنحازين.

الفريق (ب) يتحرك لأخذ مواقع السيطرة

في النهاية، وضعت تجربة الفريق (ب) التي تمت خلف الكواليس داخل المراتب العليا في الاستخبارات الأمريكية القاعدة التي ارتكزت عليها شبكة "المحافظين الجدد" والتي استطاعت في النهاية أن تسيطر على حكومة الرئيس بوش في بداية عام 2001 وتنفرد بصنع القرارات فيها.

ويكتب جون إهرمان في دراسته للمحافظين الجدد (الممزوجة بالإطراء الخفي) في بحث أكاديمي بعنوان: "ارتقاء المحافظين الجدد: المفكرون والشؤون الخارجية"، بأن إعادة إحياء وتجديد مجموعة ريادية تعود إلى عهد الحرب الباردة والمعروفة بلجنة الخطر الحال (الداهم) كانت الثمرة المباشرة لنظرة الفريق (ب) الجيوبوليتيكية"(51).

ونقل البروفيسور بنجامين غينزبيرغ في دراسة بعنوان: "المعانقة القاتلة: اليهود والدولة، دراسة حول دور اليهود في الشؤون السياسية الأمريكية"، أن الدبلوماسي المخضرم بول نيتز من "الفريق (ب)" ووكيل وزير الخارجية الأمريكي يوجين روستو كانا من ضمن مؤسسي اللجنة، إلى جانب وزير المالية السابق تشارلز وولكر الذي كان يعمل وكيلاً في واشنطن لمصالح شركة متخصصة في عقود الدفاع كانت تعمل على تقديم دعم مالي للجنة. وكان المستشار العام للجنة ماكس كامبلمان وهو شخصية متنفذه ومعروفة في واشنطن ولاعب أساسي في اللوبي الإسرائيلي. ووصف غينزبيرغ بصراحة طبيعة تلك المنظمة:

"كانت لجنة الخطر الداهم من الناحية الفعلية عبارة عن تحالف بين محاربين شرسين... يعتقدان بضرورة احتواء الاتحاد السوفييتي.... هما شركات تصنيع السلاح...ولها مصلحة مالية واضحة في زيادة الإنفاق العسكري، والقوى

المؤيدة لإسرائيل التي ترى في زيادة الإنفاق العسكري وسياسية التدخل الخارجي عنصراً مهماً لبقاء إسرائيل وتؤمل في جعل دعم إسرائيل عنصراً في الجهود الأمريكية لاحتواء الاتحاد السوفييتي.

وكل واحد من هذين الحليفين له مصلحة في الادعاء بأن التوسع السوفيتي يشكل خطراً داهماً وحقيقياً على الولايات المتحدة. وبالنظر إلى أساليب المحاربين الشرسين، فإن هذا الطرح يعتبر إنجيلاً سياسياً ومدخلاً يوصلهم إلى مواقع القوة داخل الأجهزة الحكومية البيروقراطية. فبالنسبة لشركات السلاح، كان هذا الطرح بالنسبة لها المفتاح لحصد أرباح عالية، وبالنسبة للوبي الإسرائيلي، كانت معارضة الاتحاد السوفييتي تشكل المطاطة التي تسوغ زيادة المساعدات العسكرية والاقتصادية لإسرائيل"[52].

وأشار غينزبيرغ إلى أنه خلال حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية عام 1980 نشط أعضاء اللجنة في جهود حملة رونالد ريغان وبذلك أصبحت اللجنة "الأداة التي استطاع من خلالها تحالف صناعة السلاح والجماعات المؤيدة لإسرائيل من الوصول إلى الحكومة"[53].

وأخيراً وكما لاحظ المؤرخ الأمريكي ريتشارد غيد باورز فقد جلب ريغان ما لا يقل عن ستين عضواً من اللجنة إلى حكومته، بمن فيهم مؤسسها بوول نيتز ويوجين روستو اللذان احتلا أكثر

المناصب حساسية في وظائف السيطرة والتحكم في شؤون التسليح المهمة[54].

وذهبت صحيفة النيويورك تايمز إلى حد القول بأن تأثير اللجنة بلغ درجة يمكن وصفها بأنها "استيلاء حكمي على الأجهزة الأمنية في الدولة"[55].

وفي الوقت الذي تولى فيه رونالد ريغان مقاليد الحكم، قام عدد كبير من الشخصيات التي شاركت في نشاطات لجنة الخطر الحال بتأسيس لجنة ريادية أخرى متخصصة وبدوافع مشابهة لدوافع لجنة الخطر الحال.

هذه الهيئة الجديدة التي عرفت باسم لجنة العمل نحو عالم حر Committee for a Free World، أسستها ميدج ديكتور زوجة نورمان بودهورتز وهو أيضاً من أتباع تروتسكي السابقين تحول إلى "محافظ جديد". ومن بين أعضاء هذه اللجنة: إليت أبرامز، غيرترود هيلفارب (زوجة إيرفنغ كريستول وأم ويليام كريستول) ومايكل لدين، وهم جميعاً ينتمون إلى شبكة بيرل – كريستول. ومن الملاحظ أن دونالد رمسفيلد كان أحد الذين ساعدوا في جمع التبرعات وتأمين الدعم المالي لهذه اللجنة. وهو الآن يتولى تنفيذ حرب الولايات المتحدة ضد العراق بوصفه وزير الدفاع في حكومة جورج بوش[56].

وخلاصة القول في هذا كله، وعلى حد قول الكاتبة آن هيسنغ في نقدها للفريق (ب) هو أنه "عندما تم انتخاب رونالد ريغان، أصبح الفريق (ب) في الواقع العملي هو الفريق (أ)"[57] وأن نتائج التقديرات الخاطئة التي أصدرها الفريق (ب) ما زالت تحدث أثرها على الولايات المتحدة حتى وقتنا الحاضر، ولا يتوقف هذا الأثر على السياسة الخارجية فحسب، بل تعداه إلى السياسة الداخلية. وأردفت الآنسة آن هيسنغ تقول:

"إنه وعلى مدى أكثر من ثلث قرن من الزمان، صبغت نظرة الولايات المتحدة حول الأمن القومي بالنظرة القائلة بأن الاتحاد السوفييتي كان على وشك التفوق العسكري على الولايات المتحدة. ولم يستطع الفريق (ب) ولا المؤسسات الاستخباراتية المدعومة بمليارات الدولارات أن ترى أن الاتحاد السوفييتي كان ينهار من الداخل.

وعلى مدى أكثر من ثلث قرن من الزمان، أوجدت الادعاءات بالتفوق العسكري السوفييتي دعوات "بإعادة التسليح". وفي الثمانينيات قويت هذه الدعوات بحيث قامت الولايات المتحدة بتخصيص تريليون دولار لقطاع الدفاع. وكان من نتيجة ذلك أن أهملت الدولة المدارس والمدن والطرقات والجسور ونظام الرعاية الصحية. وتحولت الولايات المتحدة من أكبر دولة مقرضة (دائنة) إلى أكبر

دولة مدينة وذلك من أجل دفع نفقات التسليح لمواجهة الخطر القادم من دولة كانت على وشك الانهيار"[58].

وبالتأكيد فإنه ما من شك أن تأسيس "الفريق (ب)" ومحصلة تأثيره على السياسة الأمريكية قد هيأ الأساس الذي قام عليه الدفع نحو الوصول إلى السلطة الذي جلب المحافظين الجدد "الذين أعدهم ريتشارد بيرل وهيأهم عن طريق آلية "الفريق (ب)" إلى مراكز السيطرة الكاملة على سياسات حكومة جورج بوش في بداية عام 2001.

وقد تبين أن بروز جماعة الفريق (ب) في السنوات المتهورة في عهد رونالد ريغان، نتج عنه حدث جوهري تمخض عنه نتائج وتبعات مستقبلية. هذا الحدث كان تعيين ريتشارد بيرل في منصب مساعد وزير الدفاع لشؤون سياسة الأمن الدولي في حكومة ريغان، وما تبعه من قيام بيرل بتعيين صديقه المقرب ستيفن جي براين نائباً له.

وهنا تبدأ قصة مثيرة بحد ذاتها...

فضيحة تجسس بيرل – براين

على الرغم من أن بيرل ورفيقه براين اكتسبا سلطات واسعة بوصفهما من كبار الموظفين المعينين في حكومة رونالد ريغان، إلا

أن ارتقاءهما إلى القمة كاد أن يتهاوى بسبب فضيحة انكشفت قبل سنتين من انتخاب ريغان للرئاسة. والإدراك التام لهذه الفضيحة ضروري لفهم قرب العلاقة بين الحكومة الإسرائيلية وشبكة بيرل.

ودعونا نبدأ بالتنويه إلى أن حقبة "فريق (ب)" (منتصف السبعينيات من القرن الماضي) وهي الفترة التي ترك فيها بيرل العمل لدى السيناتور جاكسون ليبدأ عمله كسمسار في شركات التسليح الخاصة، حيث نجح في تسهيل عقد صفقات رابحة بين البنتاغون وشركة سولتام إحدى كبريات شركات السلاح في إسرائيل. وفي هذه الأثناء، كان ستيفن براين معاون بيرل في واشنطن خاضعا لرقابة مكتب التحقيقات الفيدرالي في بداية عام 1977 عندما ثارت حوله الشبهات باستخدام منصبه كموظف في لجنة الشؤون الخارجية للحصول على معلومات سرية خاصة بالبنتاغون، وبالتحديد ما تعلق منها بالمسائل العسكرية العربية، وكان براين بدوره ينقلها إلى الإسرائيليين.

وفي التاسع من مارس/آذار 1978 سُمع براين وهو يتحدث في جلسة خاصة مع أربعة إسرائيليين في أثناء تناول الفطور في مقهى ماديسون في واشنطن العاصمة. وبدا واضحاً من محتوى حديثه أنه كان يقدم للمسؤولين الإسرائيليين معلومات عسكرية ذات

مستوى عال. إلا أن أكثر ما يثير الدهشة هو أن براين (الذي يحمل الجنسية الأمريكية وموظف في الحكومة الأمريكية) كان يشير في أثناء حديثه باستمرار إلى الحكومة الأمريكية بالضمير "هم" ويستخدم الضمير "نحن" عندما كان يتحدث عن موقف الإسرائيليين أو عن موقفه هو شخصياً.

ولكن لم يخطر على بال براين أن أحد الأمريكيين من أصل عربي ومن النشطين في القضايا العربية – الأمريكية يمكن أن يعرفه ويدرك الطبيعة الحساسة للحديث الذي جرى بينه وبين المسؤولين الإسرائيليين.

وقام رجل الأعمال الأمريكي ذو الأصل العربي مايكل سابا بالإبلاغ عما شاهده وسمعه إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي (إف بي آي) وعلى إثر ذلك قام مكتب التحقيقات الفيدرالي بإجراء تحقيق شامل مع براين بحسب الأصول. وتطور التحقيق لدرجة أن وزارة العدل التي تشرف على أعمال مكتب التحقيقات الفيدرالي جمعت ملفاً مكوناً من 632 صفحة حول نشاطات براين. وأوصى جويل ليسكر المدعي العام الأمريكي الذي كان يتولى التحقيق (وهو أمريكي يهودي) بإدانة براين بتهمة التجسس لصالح إسرائيل وكونه وكيلاً أجنبياً غير مسجل لإسرائيل.

وأخيراً وجدت الفضيحة طريقها إلى الإعلام الأمريكي (لدرجة محدودة) بعد أن قامت المجلة الليبرالية ذي نيشن (الأمة) بنشر الاتهامات التي تفيد أن براين كان يتلقى أوامره من زيفي رافياه القنصل في السفارة الإسرائيلية. وتبين فيما بعد أن رافياه لم يكن قنصلاً في السفارة وحسب بل كان المسؤول عن قسم العمليات السرية في الولايات المتحدة التابع لجهاز الاستخبارات الإسرائيلية الموساد.

وبرغم ذلك كله، لم توجه إلى براين أي إدانة، وبدلاً من ذلك طلب منه أن يترك عمله "بهدوء" من طاقم موظفي لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ. وهو ما حدث فعلاً. ولكن سرعان ما بدأ براين عمله الجديد في واشنطن العاصمة في اللوبي الإسرائيلي بترؤسه مجموعة تعرف باسم المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي ويشار إليها اختصاراً (جنسا)[59].

وفي النهاية، وكما شاهدنا، عندما انتخب المرشح الجمهوري رونالد ريغان رئيساً للولايات المتحدة بدعم راسخ من شبكة المحافظين الجدد اليهودية، عاد كل من بيرل وبراين وبرغم تلك الفضائح، للعمل من جديد في المستويات العليا في صناعة السياسة.

وتم تعيين بيرل مساعداً لوزير الدفاع لشؤون سياسة الأمن الدولي، فسارع في تعيين براين نائباً له لشؤون سياسات الأمن

والاقتصاد والتجارة الدولية. ومع ذلك، ثارت الشبهات من جديد حول بيرل بسبب ارتباطاته الشخصية مع مصالح شركات الدفاع الإسرائيلية.

ففي 17 إبريل/نيسان من عام 1983، نشرت صحيفة النيويورك تايمز خبراً رئيسيا يشير إلى وجود شبهات أخلاقية حول عمل بيرل على خلفية عمله في شركة سولتايم كبرى شركات السلاح الإسرائيلية. إذ تلقى بيرل أتعاباً بقيمة 50 ألف دولار من شالومو زابلودويتز مؤسس شركة سولتايم مقابل أعمال أداها بيرل نيابة عن الشركة في الوقت ذاته الذي دخل فيه بيرل وزارة الدفاع الأمريكية. وبعد قرابة عام من ذلك، وخلال عمله في وزارة الدفاع، ألح بيرل على سكرتير الجيش الأمريكي أن يضع في حسبانه إمكانية التعامل مع زابلودويتز. وقد أثار ذلك الأمر تساؤلات حول ما إذا كان تصرف بيرل يشكل انتهاكاً للقوانين الأمريكية التي تحكم أخلاقيات وسلوك الموظفين في الدولة. إلا أن بيرل أفلت من أي عقوبة أو توبيخ.

ومن العجيب أن تساؤلات أخرى أثيرت حول تعاملات بيرل في القطاع الخاص ومباشرة بعد بدء الحرب الأمريكية على العراق في مارس/ آذار من عام 2003، أي بعد عشرين سنة من الحادثة الأولى. إلا أنه لم توجه إليه أية أسئلة أو تحقيقات جادة لا فيما يتعلق بشبهة

تعارض المصالح ومخالفة أخلاقيات العمل التي أثيرت عام 2003 وما قبلها، ولا حتى التهم الأكثر خطورة المتعلقة باحتمالات قيام بيرل وصديقه وزميله براين بأعمال تجسس لصالح إسرائيل؟.

وفي جميع الأحوال، أصبح بيرل وبراين من أصحاب النفوذ في حكومة رونالد ريغان. وفي عام 1984، لاحظت مجلة البزنس ويك أن بيرل "...ولكي يتأكد من نجاح وجهات نظره، قام ببناء شبكة متينة بعيداً عن الأنظار من الحلفاء في واشنطن"[(60)] وبحلول عام 1986 نقلت الواشنطن بوست عن مسؤول كبير في وزارة الخارجية قوله بأن بيرل كان "الرجل الأقوى في وزارة الدفاع"[(61)] – وكان أكثر قوة ونفوذاً من رئيسه آنذاك وزير الدفاع كاسبر واينبرغر.

وهذا النفوذ لم يمنع الصحف المستقلة مثل الصحيفة التي سبق ذكرها سباتلايت التي قدم من خلالها الصحافي الاستقصائي آندرو سينت جورج بتغطية قصة براين، في محاولة لإبراز القضية أمام الرأي العام، بمساعدة مايكل سابا رجل الأعمال الأمريكي ذي الأصل العربي الذي رأى وسمع براين وهو يقدم معلومات سرية إلى العملاء الإسرائيليين.

ولم يمنع سابا والمنظمات العربية الأمريكية من الضغط على الحكومة من أجل القيام بتحقيق شامل في قضية براين والظروف المبهمة التي أدت إلى قيام وزارة العدل بوضع القضية على الرف

وإجهاض تقديم براين إلى المحاكمة. ومع أن سابا قام بنشر كتاب مفصل حول نشاطات بيرل وبراين، بعنوان: " شبكة هرمجدون"، إلا أن حكومة ريغان (وتحت تأثير الضغط من اللوبي الإسرائيلي) رفضت إجراء أي تحقيق في قضية براين.

والواقع أن عفونة القضية قد بلغت حداً من النتانة دفع حتى الصحف الدارجة مثل البوسطن غلوب إلى التأكيد بقلم محررها في مقالة بعنوان "الأسرار الأمريكية والإسرائيليين" والذي نشر في 28 أغسطس/آب 1986، جاء فيه أن "منع عمليات التجسس، والمحافظة على التوازن في العلاقات مع إسرائيل وجيرانها العرب، وتجنب حتى الإيحاء بالتدخل الإسرائيلي في تشكيل السياسة الأمريكية هذه الأمور جميعها تعتبر جوهرية بالنسبة للمصالح الأمريكية في الشرق الأوسط. وعليه، فإن مسألة براين، التي تثير شبهات حول كل نقطة ذكرناها سابقاً، يجب أن تنظف بشكل كامل"[(62)] وإلى عهد قريب، كانت صحيفة الأمريكان فري برس التي تصدر في واشنطن هي الصحيفة الوحيدة التي أعادت إلى الذاكرة مسألة براين.

إسرائيل والورقة الصينية

استمر بيرل وبراين في ممارسة نفوذهما خلال عملهما في وزارة الدفاع في حكومة رونالد ريغان. وخلال تلك الفترة وعلى الرغم من

ظهورهما بمظهر المتشددين في مناهضة الشيوعية"، ظهر بيرل وبراين كأبرز مروجين لصادرات السلاح الإسرائيلية المربحة (وغير المشهورة على نحو واسع) إلى الصين الشيوعية.

وفي الخامس والعشرين من يونيو/حزيران 1985، أوردت صحيفة الواشنطن تايمز المعروفة بموالاتها لإسرائيل خبراً يقول: "إن بيرل، الموظف المسؤول في حكومة ريغان عن منع وصول أي تقنية عسكرية أمريكية إلى الدول الشيوعية [من الكتلة السوفيتية] يؤيد علاقات التسليح بين إسرائيل والصين. وقيل إن براين أيضاً يؤيد تلك الصفقات....".

وكان هذا الخبر ذا أهمية بالنسبة لكثير من المحافظين في أمريكا – وهم في الغالب من المناهضين للشيوعية – وبخاصة في ظل ما اشتهر عن بيرل بأنه "معاد للشيوعية"، إلا أن مجلة بيزنس ويك في عدد 25 مايو/أيار 1984 نشرت تقريراً جاء فيه أن أحد الموظفين في الكونغرس قال عن بيرل بأنه "ليس معادياً للشيوعية، ولكنه معاد خبيث للاتحاد السوفييتي".

وفي ذلك الوقت، اعتبر منتقدو بيرل تلك التعليقات على درجة من الأهمية، مشيرين إلى أن كثيراً من المحافظين الجدد هم بالفعل تروتسكيون "معدلين" وأن حرب "المحافظين الجدد" على الاتحاد السوفييتي كانت أكثر من مجرد استمرار في المعركة

الأيديولوجية التي ابتدأت بين جوزيف ستالين وخصمه اللدود ليون تروتسكي، والتي استمرت بين أتباع الزعيمين حتى بعد رحيل كل من ستالين وتروتسكي.

ولعل الضجة التي أحدثها ذات مرة نلسون روكفلر نائب الرئيس الجمهوري السابق لم تكن من محض المصادفة عندما وصف بيرل بأنه "شيوعي"[63] وكما لاحظ المراقبون فإنه برغم اعتذار روكفلر فربما أن الملياردير المطلع كان يعلم شيئاً يجهله كثير من الناس.

جنسا: آلة حرب المحافظين الجدد

مع استمرار نشاط بيرل وبراين خلال السنوات المتعاقبة في الدوائر المؤيدة لإسرائيل في واشنطن، كان تأثير وقوة هذين الشخصين موضوع مقالة نشرتها الوول ستريت جورنال بعنوان "دور موظفين سابقين في البنتاغون من جماعة يهودية يظهر تأثير شبكة المؤيدين لإسرائيل" ووصفت المقالة ما أسمته "الحلقة الصغيرة المحكمة [التي] تبرز جهود شبكة ذات عزيمة وإصرار من محافظي الحرب الباردة ومؤيدي المصالح الإسرائيلية في واشنطن" وعلى الرغم من أن الحرب الباردة قد وضعت أوزارها، إلا أن "علاقاتهم الحكومية والسياسية تشكل مصدراً مؤثراً للقوى المؤيدة لإسرائيل"[64] بحسب ما جاء في الصحيفة.

وأرجعت المقالة نشاطات الجماعة التي تسمى المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي أو (جنسا) اختصاراً والتي أسسها براين زميل وشريك بيرل قبل أن يلتحق بالعمل تحت إمرته في حكومة رونالد ريغان. (وخلال فترة عمل براين في الحكومة الأمريكية، تولت زوجته شوشانا إدارة جنسا). وتابعت المجلة تقول في وصف تأثير جنسا:

"استطاعت جنسا، مع قليل من البهرجة الإعلامية، أن توجد لها مكانة بارزة من خلال دعمها لتقوية العلاقات العسكرية الأمريكية – الإسرائيلية ومن خلال حثها وتشجيعها لليهود الأمريكيين أن يصوتوا ويدعموا سياسة دفاع أمريكية قوية. وقد حرصت جنسا على تأمين دعم لها في البنتاغون، وكان ذلك على رأس أولويات عملها. وعن طريق البرنامج المسمى "أرسل جنرالاً إلى إسرائيل" استطاعت جنسا أن تؤمن آلاف الدولارات من التبرعات المخصومة من الضرائب لكي تستخدم في تغطية مصاريف رحلات سنوية لجنرالات متقاعدين من الجيش الأمريكي إلى إسرائيل حيث يلتقون مسؤولين إسرائيليين ويتبادلون معهم وجهات النظر ويطوفون بهم في مناطق إستراتيجية كمرتفعات الجولان"(65).

وليس من المصادفة أن تكون جنسا اليوم (كما لاحظنا سابقاً) إحدى دوائر "المحافظين الجدد" التي تحكم سياسات

حكومة بوش. فقد كان كل من نائب الرئيس دك تشيني وكذلك نائب وكيل وزير الدفاع دوغلاس فايث من الأعضاء البارزين في هذه المنظمة قبل توليهما مسؤولياتهما في حكومة بوش.

وهذا يعيدنا من جديد دورة كاملة حول ما ناقشناه في البداية عن السنوات الأولى من حركة المحافظين الجدد وحتى الأحداث التي ظهرت بين الحادي عشر من سبتمبر 2001 وإطلاق الرصاصة الأولى في الحرب ضد العراق.

ومع وجود صديقه القديم بول وولفويتس داخل حكومة بوش حيث كان يروج لحرب شاملة ضد كل من يُعتبر عدواً لإسرائيل، انضم بيرل إلى وليام كريستول في حشد ما يمكن وصفه بالجيل الثاني من "فريق (ب)" لا يقل عن كونه "حزب حرب".

وفي أعقاب هجمات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول، وجه بيرل وكريستول رسالة إلى الرئيس بوش تردد دعوة وولفويتس إلى حرب شاملة ضد العراق وإيران وسوريا إلى جانب الفلسطينيين وحزب الله. ومن أجل تعزيز جهودهما هذه، وجها الدعوة إلى جماعة من "المحافظين الجدد" إضافة إلى عدد من "الليبراليين" للتوقيع على هذه الرسالة.

حزب الحرب – تسمية بعض الأشخاص بأسمائهم

على الرغم من أن قائمة الموقعين على دعوة بيرل – كريستول كانت تضم شخصيات من كلا الحزبين الرئيسين إضافة إلى عدد من الأشخاص المعروفين بتبنيهم فلسفة "ليبرالية"، إلا أن الجامع المشترك بينهم هو أنه غالبية هؤلاء الأشخاص هم من اليهود، أما غير اليهود من الذين وقعوا على تلك الرسالة فهم أعضاء في مجموعة يطلق عليها بات بيوكانون، وهو من منتقدي المحافظين الجدد، "زاوية إمعات إسرائيل" في واشنطن.

وفوق ذلك فإن الموقعين جميعهم، على علاقة قديمة وحميمة مع شبكة عائلة كريستول وحلفائها داخل منطقة نفوذ ريتشارد بيرل التي يعود عهدها إلى "الفريق (ب)" في السبعينيات من القرن الماضي. وهؤلاء هم بالفعل "حزب الحرب". وفيما يلي قائمة لأهم الأشخاص في حزب الحرب الإمبريالية.

غاري باور Gary Bauer: تابع قديم لإيرفنغ كريستول ولابنه وليام (وكان شريكاً مع هذا الأخير في مشروع شقق سكنية سياحية). ويعتبر باور من المؤيدين الثابتين لإسرائيل داخل حركة اليمين الأمريكي المسيحي من خلال موقعة القيادي في مجلس أبحاث الأسرة.

وليام جي بينت William J. Bennett: كانت مسيرة وليام بينت المهنية في واشنطن معتمدة على صلته بعائلة كريستول وذلك بدءا من وظيفته في رئاسة الصندوق الوطني من أجل الإنسانية إلى توليه منصب وزير التعليم في حكومة رونالد ريغان ثم رئاسته المكتب الوطني لسياسة السيطرة على المخدرات في عهد جورج هيربرت بوش (الأب). وعمل بينت مديراً مساعداً لمؤسسة إمباور أمريكا "تمكين أمريكا" وهي إحدى مؤسسات البحث التي يدعمها كريستول، وقد أنعم بينيت على وليام كريستول بأعلى منصب يحصل عليه كريستول في الحكومة الأمريكية عندما سماه كبير موظفي وزارة التعليم.

إليت كوهن Eliot Cohen: مدير مركز التعليم الإستراتيجي في معهد بول نيتز للدراسات الدولية المتقدمة (المعروف اختصارا SAIS – والذي عمل فيه نائب وزير الدفاع بول وولفويتس عميداً قبل عودته للعمل في وزارة الدفاع – ألف كوهن كتاباً مخصصاً لموضوع "ثورة أمن إسرائيل".

ميدج ديكتر Midge Decter: زوجة نورمان بودهورتز أحد رموز مجلس العلاقات الخارجية وهي بحد ذاتها من رموز الإعلام، وديكتر هي أم جون بودهورتز نائب مدير تحرير صحيفة مجلة ذي

ويكلي ستاندرد التي يتولى نشرها ويرأس تحريرها وليام كريستول.

توماس دونيلي Thomas Donnelly: المدير المساعد لمعهد نيو أمريكان سنتشري "مشروع القرن الأمريكي الجديد" الذي أسسه وليام كريستول، ومدير التحرير التنفيذي السابق لمجلة "ناشونال إنترست" وهي مجلة المحافظين الجدد التي أسسها إيرفنغ كريستول. وعمل دونيللي مراسلاً عسكرياً وتلقى تدريبه في معهد SAIS التابع لجامعة جونز هوبكنز، وكما ذكرنا آنفاً كان بوول وولفويتس عميداً لذلك المعهد.

هيليل فرادكن Hillel Fradkin: أحد الصهاينة المفوهين وباحث مقيم في معهد الأميركان إنتربرايز إنستيتيوت وأستاذ مساعد في العلوم السياسية في جامعة جورج تاون. ويعمل كذلك مديراً لمركز شالوم الإسرائيلي في واشنطن، وهو معهد يصف نفسه بأنه "مؤسسة أبحاث للأفكار الاجتماعية اليهودية والإسرائيلية". كما شغل فرادكن منصب نائب رئيس مؤسسة ليند آند هاري برادلي، وهي مؤسسة ذات نهج محافظ قدمت الملايين من الدولارات لدعم مشاريع ومجموعات مختلفة مؤيدة لإسرائيل ومعادية للعرب والمسلمين. وبالطبع ليس من المصادفة أن وليام

كريستول كان ومنذ الأيام الأولى على علاقة بهذه المؤسسة، وما زال يلعب دوراً مهماً في توجيه نشاطاتها.

فرانك غافني Frank Gaffney: وهو أحد اللاعبين القياديين في محيط بيرل – كريستول. وغافني هو المدير الصقري (المتشدد) لمركز سياسة الأمن – وهو معهد فكر في واشنطن مشهور بدعمه "لقضايا اليمين الإسرائيلي المتطرف"، ويضم ريتشارد بيرل من بين أعضاء مجلسه الاستشاري. وغافني نفسه عمل إلى جانب بيرل في طاقم موظفي السناتور هنري جاكسون عندما كان بيرل ناشطاً في تأسيس "الفريق (ب)" وفي خدمة المصالح الإسرائيلية. ويضم المجلس التنفيذي للمركز الذي يديره غافني: موريس آماتاي المدير السابق للإيباك (لجنة العلاقات العامة الأمريكية – الإسرائيلية)، إلى جانب جون ليهمان سكرتير سلاح البحرية السابق. ويتلقى مركز غافني مساعدات مالية من مؤسسة إيرفنغ موسكويتز التي دعمت سياسة مصادرة المنازل والأراضي في إسرائيل التي ينفذها رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون وبمؤسسة ليندي آند هاري التي سبقت الإشارة إليها. ويتخصص غافني في تأهيل وتدريب خريجي الجامعات من أبناء الجالية اليهودية تمهيداً لوضعهم في مناصب صنع السياسة العامة في الحكومة الأمريكية. وهو متخصص أيضاً في وضع وتشكيل الحملات الإعلامية والدعائية

المؤيدة لإسرائيل من أجل توزيعها ونشرها في دوائر الحزب الجمهوري والدوائر "المحافظة" في البلاد. وله عمود خاص في صحيفة "المحافظين الجدد" واشنطن تايمز، ويكثر الاقتباس من مقالاته على نطاق واسع.

ريول مارك غيريتشت Reuel Marc Gerecht: متخصص سابق في شؤون الشرق الأوسط في دائرة العمليات الخاصة التابعة لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية السي آي إيه. وتنشر كتابات غيريتشت في مطبوعات كريستول مثل ويكلي ستاندرد. وهو أيضاً من تلاميذ بيرل.

مايكل جويس Michael Joyce: لا يعتبر جويس من المشهورين على الساحة العامة، وهو كذلك من تلاميذ إيرفنغ كريستول. بدأ حياته المهنية في التدريس ولكنه سرعان ما ارتقى إلى مراكز القوة عن طريق انخراطه في عدد من المؤسسات المعروفة بدعمها وتبنيها للقضايا الإسرائيلية، بما فيها مؤسسة أولين – التي تموّلها مصالح الشركات الكيماوية وصناعات الذخيرة – وتدعم مؤسسة أولين حملات دعائية وإعلامية معادية للمسلمين بزعامة ستيفن إمرسون الذي يكثر الاستشهاد بأقواله بوصفه "خبيراً متخصصاً" بالإرهاب الإسلامي. وله علاقة أيضاً بمؤسسة ليند آند هاري التي سبقت الإشارة إليها أكثر من مرة حيث عمل جويس

مديراً لها لفترة طويلة. وقد كانت مؤسسة برادلي ممولاً رئيسياً لشركة ناشونال أفيرز التي تملكها أسرة كريستول وتنشر مجلات ناشونال إنترست وببلك إنترست.

دونالد كيغان Donald Kagan: مؤرخ له مؤلفات واسعة الانتشار تركز على تاريخ الحروب. وهو على نهج وليام كريستول من المنادين باستعراض العضلات الأمريكية حول العالم. ويحمل درجة بروفيسور في التاريخ في جامعة ييل.

روبرت كيغان Robert Kagan: ابن دونالد كيغان المذكور للتو. ويشغل مدير بروجكت فور ذي نيو أمريكان سنتشري التي أسسها كريستول. وزميل قديم في مؤسسة صندوق كارنيغي للسلام العالمي. وهو أيضاً محرر مشارك في الويكلي ستاندرد وكاتب في الواشنطن بوست. وتعكس كتاباته موقفه المتشدد في تأييد إسرائيل والتدخل الأمريكي في الخارج. وله أخ اسمه فريدريك، برز هو الآخر كشخصية قيادية في شبكة المحافظين الجدد.

تشارلز كروتهامر Charles Krauthammer: متحدث مشهور في برامج التلفاز، وله عمود منتظم في الصحافة ينشر في معظم صحف الولايات المتحدة. عمله الأصلي كان في الطب النفساني، ولكن يبدو أنه مهووس في تخصيص أوقات صحوته في الكتابة

والحديث عن حاجة الولايات المتحدة إلى تخصيص قواها ومواردها لحماية إسرائيل وتدمير أعداء إسرائيل. والغل الذي يظهره تجاه من ينتقد إسرائيل ليس له مثيل.

جون ليهمان John Lehman: مستشار سابق لمجلس الأمن القومي في عهد وزير الخارجية السابق هنري كيسنجر. وشغل ليهمان منصب وزير سكرتير البحرية في حكومة رونالد ريغان ونائب مدير الوكالة الأمريكية لمراقبة ونزع التسلح، حيث عمل عن قرب وبالتنسيق مع وولفويتس وبيرل. ولاحظت الصحافية البريطانية كلوديا رايت أن ليهمان قبل أن يصبح سكرتير سلاح البحرية "كان معروفاً على نطاق واسع في الدوائر العسكرية الإسرائيلية، كما أنه كان عضواً في مجلس إدارة معهد فكر في فيلادلفيا تديره جماعات مؤيدة لإسرائيل. وأدار أيضاً مؤسسة استشارية مربحة متخصصة في قضايا الدفاع وترتبط بعلاقات عمل مع مصانع السلاح الإسرائيلية." وهو عضو في المجلس الاستشاري لمركز سياسة الأمن إلى جانب بيرل وولفويتس ولفيف من عائلة كريستول. [انظر ما ذكرناه آنفاً حول فرانك غافني].

مارتن بيرتز Martin Pertz: ناشر المجلة "الليبرالية" نيو ريببلك المؤيدة لإسرائيل بشدة. كتب بيرتز في 24 سبتمبر/أيلول 2001 بعيد هجمات الحادي عشر من سبتمبر في مجلته يقول: "إننا الآن

إسرائيليون جميعاً". ويعتبر بيرتز حليفاً للمحافظين الجدد وهو شخصية مرموقة في شبكة مكونة من كبار الناشرين والإعلاميين الذين يجمعهم هدف واحد هو خدمة القضايا الإسرائيلية.

نورمان بودهورتز Norman Podhoretz: عضو في مجلس العلاقات الخارجية وناشط فعال في اللجنة اليهودية – الأمريكية فرع نيويورك والمجلة التابعة لها كومنتري (التي كانت تتبع نهجاً ليبرالياً متحرراً قبل أن تتحول إلى الخط المحافظ). وبودهورتز هو أيضاً من الأتباع السابقين لتروتسكي قبل أن يبرز كقائد بارز في حركة المحافظين الجدد المؤيدة لإسرائيل والمرتبطة بإيرفنغ كريستول. أما ابنه جون بودهورتز، فقد كان زميلاً لوليام كريستول في العمل، حيث شغل منصب نائب محرر مجلة ويكلي ستاندرد التي يموّلها روبرت مرداخ.

ستيفن جي سولارز Stephen J. Solarz: عضو قديم سابق في مجلس النواب في الكونجرس، حيث كان يعمل بتفان في خدمة المصالح الإسرائيلية. وهو الآن مستشار دولي رفيع. وقد لعب سولارز عندما كان عضواً في الكونجرس (وبالتنسيق مع وولفويتس الذي كان يعمل وقتها في حكومة ريغان) دوراً بارزاً في إزاحة الرئيس

الفلبيني السابق فيردناند ماركوس عندما حاول الزعيم الآسيوي أن يعزز استقلال بلاده.

فن ويبر Vin Webber: عضو سابق في مجلس النواب حيث كان داعماً متحمساً لإسرائيل من النواب غير اليهود. وكان شريكاً لكريستول في تأسيس إمباور أميركا. كما كان مستشاراً رفيعاً للسيناتور جون ماكين (جمهوري عن ولاية أريزونا) في حملته الانتخابية لخوض معركة الترشيح عن الحزب الجمهوري للرئاسة عام 2000. وعندما كان عضواً في مجلس النواب، بذل ويبر كل جهده لإجهاض الجهود التي دعت إلى إجراء تحقيق في الكونجرس حول الهجوم الإسرائيلي الإرهابي عام 1967 على السفينة الحربية يو أس أس ليبرتي والذي أسفر عن قتل 34 جندياً أمريكياً من سلاح البحرية وجرح وتشويه 172 آخرين. وويبر عضو هو الآخر في مجلس العلاقات الخارجية.

مارشال ويتمان Marshall Wittmann: ترأس منظمة التحالف المسيحي Christian Coalition لشؤون التشريع وذلك برغم كونه يهودياً. وهذا الاتحاد معروف بتأييده القوي لإسرائيل. وقد حظيت دعوات ويتمان لتحقيق "نهج قومي محافظ عظيم" – ويعني التدخل الخارجي للولايات المتحدة واستعراض عضلاتها نيابة عن إسرائيل – بتغطية واسعة على صفحات مجلة وليام كريستول الويكلي ستاندرد.

تمثل القائمة السابقة عينة لا بأس بها من أعضاء شبكة بيرل – كريستول. وهي لا تشكل بحال من الأحوال جميع أعضاء هذه الشبكة. ولكنها توضح مدى القوة والتأثير الذي يتمتع به كريستول ورفاقه من حزب الحرب.

حرب كريستول؟

لم يكن من المستغرب أن يتبجح وليام كريستول في افتتاحية ويكلي ستاندرد الموقعة باسمه في عدد 17 مارس 2003 – وهو اليوم الذي شنت فيه الولايات المتحدة الحرب على العراق – قائلاً "من الواضح، أننا مبتهجون اليوم لأن إستراتيجية العراق التي اقترحناها منذ وقت بعيد.... قد أصبحت السياسة التي تتبعها حكومة الولايات المتحدة"[66].

وبعد يوم واحد فقط، في 18 مارس، من ابتداء الحرب، ذكرت الواشنطن بوست قراءها بمدى تأثير كريستول، مشيرة إلى أن الصحفي السابق ريتشارد كوهن قد أعلن في السابق أن الحرب الوشيكة على العراق هي "حرب كريستول". وتابعت البوست قولها بأنه مع اقتراب قيام القوات الأمريكية بإلقاء القنابل على بغداد "فإن ذلك سيكون يوم كريستول"[67].

أما بالنسبة للشعب العراقي المحاصر والجنود الأمريكيين والبريطانيين الذين قضوا نحبهم في سبيل تحقيق أهداف حروب المحافظين الجدد – وكذلك بالنسبة لدافع الضريبة الأمريكي الذي سيتكبد الفاتورة – فلم يكن ذلك اليوم يومهم، وهو ما سيزيد من ابتهاج وفرحة كريستول وجماعته.

التخلي عن السياسة الأمريكية التقليدية

لقد رأينا كيف تمكن هذا الشكل الجديد من "التوجهات المحافظة الإمبريالية" التي تعود جذورها إلى مجموعة نخبوية من اليساريين التروتسكيين السابقين الذين تحولوا إلى "محافظين جدد في الحزب الجمهوري – من الأخذ بزمام السلطة في المراتب العليا في حكومة جورج بوش. هذه الإمبريالية المحافظة هي الأساس الذي تستند إليه الحرب الحالية ضد العراق وأي حروب إمبريالية أمريكية مستقبلية في الشرق الأوسط وغيره.

والمحافظون الجدد هم الذين يدعمون هذا النمط الجديد من الإمبريالية الحديثة – التدخل الأمريكي والهيمنة على الدول الأخرى. وما الحرب القائمة الآن في العراق إلا ثمرة جهود قديمة للمحافظين الجدد الذين يرون في الحرب خطوة أولى نحو تحقيق خطة بعيدة المدى لا تقتصر على "إعادة تشكيل العالم العربي"

وحسب بل تهدف إلى تكريس الولايات المتحدة كقوة عسكرية واقتصادية عظمى وحيدة وبدون منازع.

لقد أعادت هذه الفلسفة السياسية – المحافظة الجديدة – صياغة، بل وحلت محل، النظرة المحافظة التقليدية كما صاغها منظرو الحزب الجمهوري الوطنيون من أمثال السيناتور الراحل روبرت تافت أحد الرموز السياسيين في منتصف العشرينيات في أمريكا. فلم يكن تافت ومن سار على نهجه يعتقد في يوم من الأيام أن من واجب الولايات المتحدة أن تكون شرطي العالم، بل كان يؤمن أن الواجب الأول على الولايات المتحدة هو إيلاء الرعاية لتلبية احتياجات شعبها وليس التدخل في شؤون الأمم الأخرى.

ولم تكن صحيفة الواشنطن بوست الليبرالية التي تسير في خط الحزب الديمقراطي وهي من أقوى الصحف اليومية الأمريكية، لم تكن ذات يوم مفتتنة بالشعار المحافظ "أمريكا أولاً" الذي رفعه تافت وورثته من الساسة الوطنيين. إلا أنه وبعد أن بدأت عناصر المحافظين الجدد بالتغلغل في الحركة الأمريكية المحافظة ثم السيطرة عليها وعلى القيادة العليا في الحزب الجمهوري والدفع نحو اتباع نظرة عالمية تدخليه عدوانية، بدأت الواشنطن بوست بالعزف على ألحان المحافظين الجدد.

ففي أغسطس/آب 2001، نشرت البوست مقالة بعنوان إمبراطورية أم لا؟ نقاش هادئ حول الدور الأمريكي، وقدمتها على أنها سلسلة من المقالات تركز على "أفكار من اليمين" وجاء في افتتاحية هذه المقالة التي كانت دعاية جديدة للمحافظين الجدد:

"إن الذين يصفون الولايات المتحدة بـ"الإمبريالية" يقصدون من وراء استخدام هذا الوصف الإساءة والإهانة. إلا أنه وفي السنوات الأخيرة بدأت مجموعة من المفكرين المحافظين في مجال الدفاع بالمحاجة بأن الولايات المتحدة فعلاً تتصرف بأسلوب إمبريالي، وأن عليها أن تتبنى هذا الدور"(68).

وقالت البوست إن هذه الفكرة التي تدعو إلى فرض "سلام أمريكي" كان جزءاً من "سياسة ريغانية توسعية نشطة" تجعل من الولايات المتحدة، وعلى حد تعبير البوست "إمبراطورية من الديمقراطية والحرية". وتحت هذا النمط الجديد من الإمبريالية فإن الولايات المتحدة لا تحتل الأراضي أو تنشئ المستعمرات كما فعلت بريطانيا أو الإمبراطورية الرومانية ولكن عن طريق "الهيمنة العالمية عسكرياً واقتصادياً وثقافياً"(69).

وأشارت صحيفة البوست إلى أن أكثر المؤيدين لهذا الشكل الجديد من الإمبريالية كان توماس دونلّي نائب المدير التنفيذي

لبروجكت فور نيو أميركان سنتشري (مشروع القرن الأمريكي الجديد) وهو معهد الفكر الذي أسسه وليام كريستول.

فشل الهجوم الإمبريالي الأول

من عجيب المصادفة أن المحافظين الجدد المتشددين قد حاولوا – لكن دون جدوى – خلال فترة رئاسة جورج بوش الأب أن يطبقوا السياسات الإمبريالية ذاتها التي يتولى تطبيقها جورج دبليو بوش الابن.

فبعيد أن قرر الرئيس بوش الأول أن ينسحب من العراق في حرب الخليج الثانية (بعد تحرير الكويت) قام وزير الدفاع آنذاك دك تشيني (نائب الرئيس الآن) بتوزيع مسودة وثيقة أعدت تحت إشراف بول وولفويتس تدعو إلى هيمنة أمريكية عالمية أحادية والتخلي عن التحالفات الأمريكية التقليدية.

ومن الجدير بالملاحظة أن الوثيقة تقترح أن على الولايات المتحدة أن تضع في حسبانها إمكانية استخدام "الحرب الوقائية" من النوع الذي استخدم ضد العراق عام 2003. إلا أنه حين تسربت الوثيقة إلى وسائل الإعلام سارع بوش الأب، وعلى حد تعبير المؤلف الأمريكي مايكل ليند "بالنأي بنفسه وبحكومته عن التطرف الذي ورد في تقرير تشيني – وولفويتس"[70].

ولم يكن مستغرباً مدى اندماج تشيني في أجندة المحافظين الجدد؛ فقد كان تشيني ولعدة سنوات على ارتباط وثيق بمعهد جنسا المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي؟ الذي أسسه ستيفن براين صديق بيرل القديم والذي خضع للتحقيق بشأن تهم التجسس لحساب إسرائيل. (وسنلاحظ أن ارتباطات جنسا تلقي بظلالها أينما ذهبنا في هذا التقرير).

وقد بقي الحال كذلك إلى أن جاءت حكومة جورج دبليو بوش الابن إلى السلطة. وبوصول بوش الابن إلى البيت الأبيض يكون المحافظون الجدد قد حققوا أخيراً أملهم المنشود في السعي نحو تطبيق سياسة إمبريالية ترتكز على الدعوة إلى شن حرب على العراق.

ومع بدء الحرب الأمريكية على العراق في مارس/آذار 2003، لم يعد النقاش "الهادئ" حول الإمبريالية الذي وصفته صحيفة الواشنطن بوست هادئاً بعد ذلك اليوم.

ويتصدر وليام كريستول طرف النقاش الذي يؤيد الإمبريالية الأمريكية إلى جانب حلفائه في حكومة بوش من أمثال بول وولفويتس (الرجل الثاني في وزارة الدفاع) ودوغلاس فايث وغيرهم وجميعهم ممن دعمهم ريتشارد بيرل الذي تقلد رئاسة مجلس سياسة الدفاع في حكومة بوش.

وفي اللحظة التي بدئ فيها بتنفيذ الحرب – التي مُهد لها بعناية منذ وقت طويل – ضد العراق، أصبح مفهوم "الإمبراطورية الأمريكية" محل نقاش عام في الإعلام الأمريكي النخبوي وفي المجلات والمطبوعات الفكرية.

وكما أشار جيت هير Jeet Heer في مقالة نشرتها البوسطن غلوب في 23 مارس/آذار 2003، بعد أيام قليلة من بدء الحرب على العراق حيث قال:

"منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر / أيلول...أعاد عدد كبير من منظري السياسة الخارجية وغالبيتهم من اليمين الجمهوري وبعض الليبراليين، إحياء فكرة الإمبراطورية.

"إن أمريكا هي أكبر قوة إمبريالية نبيلة على الإطلاق" هكذا يعلن دينيش داسوزا في صحيفة الكريستيان ساينس مونتر عام 2002، أما ماكس بوت فيقول في مقال نشر في الويكلي ستاندرد بعنوان "نحو إمبراطورية أمريكية" إن أفغانستان وغيرها من المناطق المضطربة تستنجد بمثل هذا النوع من الإدارة الخارجية المستنيرة التي نادى بها في السابق إنجليز واثقون من أنفسهم".

أما المؤرخ بول جونسون فيقول في صحيفة الوول ستريت جورنال "إن علاج الإرهاب هو "الاستعمار". أما

الصحفي مارك ستاين، فيكتب في صحيفة شيكاغو صن – تايمز، قائلاً "إن الإمبريالية هي الحل".

ويقول الصحافي تشارلز كروتهامر الذي يكتب في الواشنطن بوست "لم يعد الناس يجدون حرجاً في أنفسهم من استخدام كلمة إمبراطورية" ويضيف: "والحقيقة أنه لم يسبق لدولة ما أن اجتمعت لها مثل هذه الهيمنة الثقافية والاقتصادية والتقنية والعسكرية في تاريخ العالم مثل ما اجتمع للولايات المتحدة منذ الإمبراطورية الرومانية"[71].

ومن بين الكتاب الذين سبق ذكرهم، يعتبر كل من داسوزا وبوت وجونسون وستين وكروتهامر من بين أشد المحللين الإعلاميين المتحمسين لتكريس المذهب المحافظ الجديد في العالم.

المعارضة الداخلية لفلسفة المحافظين الجدد التوسعية

على الرغم مما ذكرناه حتى الآن، تبقى هناك معارضة في الولايات المتحدة لفلسفة شبكة المحافظين الجدد.

ولعل أبرز وأشد المنتقدين والمعارضين للمحافظين الجدد الصحافي والسياسي بات بيوكانان الذي رفع شعار الوطنية الأمريكية بدلاً من الإمبريالية والدولية في برنامجه الانتخابي للرئاسة الأمريكية عام 2000 عندما ترشح عن حزب الإصلاح. وبيوكانان

الذي كان منذ بداية نشاطه السياسي عضواً في الحزب الجمهوري، اضطر إلى ترك هذا الحزب والالتحاق بحزب الإصلاح بعد أن أدرك أن جهوده لإعادة الوطنية التقليدية إلى الحزب باءت بالفشل. ويعتبر كتابه "جمهورية لا إمبراطورية" دعوة إلى معارضة شعبية لفكرة "السلام الأمريكي" أو "Pax Americana".

وبعد أن رسخت الجهود التي تدفع نحو الحرب ضد العراق في دوائر صنع السياسة في حكومة بوش وباتت الحرب أمراً محتوماً، عرض بيوكانان في مجلته أميركان كونزيرفتف (المحافظ الأمريكي) لمخاطر الإمبريالية الجديدة التي تنادي بها شبكة "المحافظين الجدد".

ومن بين المقالات اللافتة والمميزة التي نشرتها مجلة بيوكانان، ما كتبه آندرو باسيفيتش، وهو لواء متقاعد في الجيش الأمريكي ويعمل الآن أستاذاً للعلاقات الدولية في جامعة بوسطن. وقد لخص أندرو باسيفيتش في تحليل محدد ما تشكله الإمبريالية الأمريكية بقوله:

"أصدر البيت الأبيض في أواخر سبتمبر من عام 2002 تقريراً يتضمن إستراتيجية حكومة بوش للأمن القومي. ولكن هذا التقرير توارى عن الأنظار في خضم المناقشات الحادة حول "تغيير النظام" في بغداد. ويشكل هذا التقرير بياناً للطموحات

الأمريكية في الهيمنة على العالم في حقبة ما بعد الحرب الباردة. وفي هذه الإستراتيجية تعبر الحكومة بصراحة عن نيتها لتكريس الهيمنة العسكرية الأمريكية وعن استعدادها – بل وتشوقها – لاستخدام القوة في تشكيل النظام الدولي.

هذه الإستراتيجية الجديدة تضع المواجهة الوشيكة مع صدام حسين في إطار أوسع، حيث تكشف عن أن الإطاحة بالدكتاتور العراقي هي فقط الخطوة الثانية في مشروع ضخم تسعى الحكومة إلى تنفيذه تحت ستار "الحرب على الإرهاب" ولكنه يهدف في النهاية إلى إعادة تشكيل العالم وفق النموذج الأمريكي.

وبناءً على ذلك، فإن المفهوم الأساسي الثاني في إستراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة هو اعتراف صريح وتأييد لعسكرة السياسة الخارجية الأمريكية على نحو عدواني. وبصيغة أكثر صراحة، يمكن القول إن حكومة بوش لم تعد تؤمن بأن استخدام القوة هو الخيار الأخير في السياسة الأمريكية بل تعتبر أن استخدام القوة العسكرية الأمريكية هو الوسيلة الأكثر فعالية في تطبيق تلك السياسة – وهو المجال الذي تمتلك فيه الولايات المتحدة مزية لا ينافسها فيه أحد"

وتبدأ هذه الإستراتيجية بالمقدمة القائلة بأن "الهجوم هو أفضل وسائل الدفاع" ثم تشرع في توضيح كيف ينوي

الرئيس بوش استغلال هذه المزية إلى أقصى حد ممكن وذلك بعمل شيئين:

أولاً: سوف يوسع من قدرات القوة التنبؤية العالمية للولايات المتحدة، وعلى الولايات المتحدة أن تزيد من إنفاقها العسكري أكثر بكثير مما تنفقه الآن مع العلم أن نفقات الدفاع في الولايات المتحدة تساوي تقريباً ما تنفقه دول العالم مجتمعة. والهدف من هذه الزيادة ليس مواجهة خطر داهم محدد، بل إن ما تقوم به حكومة بوش هو زيادة ميزانية البنتاغون بغية تحقيق درجة غير مسبوقة من التفوق العسكري لدرجة تردع أي قوة منافسة محتملة من التفكير في الإقدام على أي مواجهة مستقبلية مع الولايات المتحدة. وبهذا تتمكن الولايات المتحدة من تأمين واستدامة مركزها كقوة عظمى منفردة. وستتلاشى اعتبارات "تتبع نوايا الدول القوية" وتنفرد دولة واحدة بتوجيه دفة القيادة.

ثانياً: إن إستراتيجية الدفاع الوطني بتبنيها مفهوم الدفاع عن النفس الوقائي، فإن الرئيس بوش يكون قد ادعى للولايات المتحدة الحق باستخدام القوة لأهداف وقائية وبمحض إرادتها المنفردة وبحسب ما تمليه عليها مصالحها. (وهذا الحق هو حق حصري للولايات المتحدة، إذ لا تسمح إستراتيجية بوش للدول الأخرى باستخدام الحرب الوقائية كذريعة للعدوان). وعلى عكس العمليات العسكرية المتلكئة

والانفعالية التي قام بها سلفه، فإن بوش سيعمل على استخدام القوة الأمريكية على نحو فعال وبدرجة تكفي لتحقيق نتائج سريعة وحاسمة. وهو ما يعني تعاظم فرص القيام بعمليات عسكرية ضد الإرهابيين وضد الدول المارقة وفاعلي الشر بكافة ألوانهم وصورهم.

ولا تتوقف إستراتيجية حكومة بوش حول الأمن القومي لتعاين ما إذا كانت قدرات وإمكانيات الأمة تكفي للوفاء بهذه "المهمة العظيمة" وإلى أي مصير ستقود البلاد. إن الادعاء بأن الهيمنة الأمريكية على العالم هي أمر ضروري وحميد وإنه يمكن الاطمئنان إلى أن واشنطن ستستخدم "مذهب بوش الوقائي" بحصافة ورشد، يسقط من الاعتبار أن هذه الإستراتيجية لا تضع في اعتبارها إمكانية أن يكون للآخرين نظرة معاكسة.

والحقيقة هي أن ما يسمى نخبة السياسة الخارجية الأمريكية وبغض النظر عن انتماءاتهم الأيديولوجية والحزبية لا يمكنهم أن يفكروا بمصطلح بديل عن "القيادة العالمية" وهو تعبيرهم المجازي المفضل بدلاً من الإمبراطورية العالمية[72].

ومع أن باسيفتش ينطلق من منطلق "محافظ" تقليدي – على عكس نظرة "المحافظين الجدد" – إلا أنه لا يقف وحيداً حيال هذه المسائل.إذ نجد أن كتاباً ليبراليين عبروا عن مخاوف مشابهة من الاندفاع الجديد نحو الإمبراطورية الأمريكية.

وفي مقال نشرته مجلة مذرجونز، ردد الكاتب تود غيتلين ما عبر عنه باسوفيستش. واستشهد غيتلين بوثيقة سياسة حكومة بوش وتابع يقول:

"إن هذه الوثيقة لم يقصد منها مجرد التخويف. إنها تعبر عن نهج إمبريالي عالمي كما كانت حال روما عندما كانت روما تهيمن على العالم. إن مدى هذه السياسة الجديدة مرعب ومخيف. لقد كان هناك أجزاء كبيرة من العالم لم تستطع روما أن تصلها، أما مذهب بوش فإنه لا يقف عند أي حد.

وأمريكا بموجب هذا المذهب تعرف متى يظهر الخطر دون أن يُطلب منها تفسير كيف عرفت ذلك، أو أن تكون مقنعة فيما تعرف. إن هذا المبدأ يشدد على كل ما هو مريح ويغفل ذكر أي خطر من الإمبراطورية – إنه يتجاهل تكلفة ومصاريف الحرب والانتشار غير المحدود للقوات العسكرية. ولا يعترف بأن الغطرسة والتهور ستساعد في تجنيد وتعبئة مزيد من الإرهابيين. ويتناسى أن الإمبراطوريات جميعها تنتهي بالزوال؛ لأنها باهظة التكلفة، وتصنع أعداءً كثرا، وتحفز قيام إمبراطوريات جديدة مناوئة. إن الإمبرياليين الجدد يعتقدون أنهم يختلفون عن البقية. والمشكلة هي أن الإمبراطوريات كلها تظن ذلك"[73].

ويختم غيتلين مقالته بالقول بأن الحكومة الأمريكية "مصرة ومصممة على الإمبراطورية وقد أعلنت عن ذلك بكل وضوح ودون أي شك"(74).

دعم الحركة الصهيونية الأمريكية للإمبريالية

على الرغم من كل هذه الانتقادات، أظهرت مصالح قوية في المسرح السياسي الأمريكي سعادتها وابتهاجها بالإمبريالية الجديدة التي تنتهجها حكومة بوش. ولا أدل على ذلك من مقالة بقلم نورمان بودهريتز نشرت في مجلة كومنتري في سبتمبر/أيلول 2002، وهي مجلة المحافظين الجدد ذات التأثير الواسع وتصدرها اللجنة الأمريكية – اليهودية في نيويورك وهي من المنظمات الصهيونية البارزة في الولايات المتحدة.

بودهورتز – كما رأينا فيما سبق – كان واحداً من الآباء المؤسسين لشبكة المحافظين الجدد. واجتمع له في النهاية سلطات قوية على مجامع الحكم داخل حكومة بوش. وهو أيضاً من مريدي إيرفنغ كريستول الأب الروحي للمحافظين الجدد، وما زال بودهورتز يعتبر من الرموز الكبيرة في حركة المحافظين الجدد.

وتأسيسا على ذلك، فإن تقدير بودهورتز للسياسات الجديدة له أهمية خاصة لأن بودهورتز يعترف صراحة أن الهدف النهائي

لسياسة بوش، إذا تم تنفيذها كاملة – سيكون إخضاع وإذلال الشرق الأوسط العربي الذي نعرفه اليوم.

وادعى بودهورتز في مقالته، وبأسلوب صوفي غامض نوعاً ما، أنه وفي أعقاب هجمات الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول المؤسفة التي هزت أمريكا، فإن ما يشبه الوحي الذي يتأجج بنار فريدة منقطعة النظير تنبعث منه، أيقظ عقل بوش وقلبه وروحه.

"وهو ما يعني"، أضاف بودهورتز متابعاً قوله عن بوش: "..أنه بعد أن كان غير متأكد لماذا تم اختياره رئيسا للولايات المتحدة، أصبح بوش يعلم الآن أن الرب الذي نذر نفسه له بوصفه مسيحياً مولوداً جديداً، قد اختار بوش إلى هذا الموقع ليقود الحرب ضد شر الإرهاب"[(75)].

وعلى ذلك، يبدو أن بودهورتز يقترح أن بوش كان مدفوعاً في حربه الإمبريالية ضد العالم العربي بنظرته الأصولية المسيحية (وربما كان بودهورتز محقاً في ذلك!).

ويعلق بودهورتز أن أول خطاب لبوش في أعقاب هجمات سبتمبر/ أيلول ربما كان "أعظم خطاب رئاسي في عصرنا الحاضر" مضيفاً أن بوش قد تخلى عن وجهة نظر أبيه.

"في تلك اللحظة"، يضيف بودهورتز "أعلِنَ أمام العالم تحوّل بوش من قائد واقعي تقليدي، وهو النهج الذي سار عليه أبوه، إلى قائد ديمقراطي "مثالي" من الطراز الريغاني"[76].

ويضيف بودهورتز معلناً تأييده لأجندة بوش ومهللاً بالنتائج النهائية لتلك السياسة كما يراها هو ورفاقه من المحافظين الجدد:

"إن الأنظمة التي تستحق أن تقلع من جذورها ويجب أن تستبدل ليست محصورة بدول محور الشر [العراق، إيران، كوريا الشمالية] وعلى الأقل يجب أن يوسع المحور ليشمل سوريا ولبنان وليبيا، إضافة إلى بعض أصدقاء أمريكا مثل العائلة الحاكمة في السعودية وحتى حسني مبارك رئيس جمهورية مصر، إضافة إلى السلطة الفلسطينية سواء كان يحكمها عرفات أم أحد أتباعه.

ولا أحد ينكر أن البديل عن هذه الأنظمة ربما يكون أسوأ، وبخاصة إذا أتى هذا البديل إلى السلطة عن طريق انتخابات ديمقراطية. فبعد كل شيء، وبحسب تقديراتنا، هناك أعداد كبيرة في العالم الإسلامي تتعاطف مع أسامة ابن لادن وستصوت لصالح مرشحين إسلاميين متطرفين من أمثاله لو أتيحت لهم الفرصة.

وعدم أخذ هذا الاحتمال بعين الاعتبار يعد من أبعد درجات السذاجة. ومع ذلك، هناك سياسة يمكن أن تسبق

تلك العملية، شريطة أن تملك الولايات المتحدة الإرادة لخوض الحرب العالمية الرابعة؟ — الحرب ضد الإسلام المسلح — إلى نتيجة ناجحة، ويشرط أن يكون لدينا أيضاً الجرأة على فرض ثقافة سياسية جديدة على الأطراف المهزومة.

إن هذا هو ما فعلناه مباشرة وبدون تعذر أو حرج في ألمانيا واليابان بعد أن انتصرنا في الحرب العالمية الثانية.. لقد كانت هناك أغنية مشهورة في أمريكا خلال الحرب العالمية الثانية تقول: "لقد فعلناها في السابق، ونقدر أن نفعلها ثانية" وما أحاول أن أقوله للمشككين والانهزاميين اليوم: نعم لقد فعلناها في السابق، ونعم وبالتأكيد سنفعلها ثانية"[77].

كون هذه العبارات تمثل نظرة عدوانية تدعو إلى الحرب هو شيء واضح للعيان. إلا أن الحقيقة الأهم من ذلك هي أن هذه العبارات تمثل وجهة نظر استطاعت أن تصل إلى أقصى درجات التأثير في أعلى مستويات الحكومة التي تحكم أقوى دولة على وجه الأرض.

مؤسسة الجيش تصطدم مع المحافظين الجدد

لم تتفق قيادة الجيش الأمريكي مع المحافظين الجدد في أن احتلال العراق سينتج عنه إما انتفاضة شعبية ضد صدام (بالتحالف مع القوات الأمريكية) أو أن بقية العالم العربي سيكون راضياً

عما يحدث ويقف مكتوف اليدين ينتظر النتائج. ولم تكن المؤسسة العسكرية الأمريكية ترغب أن تخوض تلك الحرب من البداية. وبحسب رأى قادة الجيش، لم تكن هناك أي حاجة لدخول الولايات المتحدة في نزاع مع العراق معتبرين أن مثل هذه الحرب تتناقض مع المصلحة الوطنية الأمريكية.

إن الفكرة القائلة بأن القيادة العسكرية الأمريكية كانت مؤيدة للحرب هي أسطورة نشرتها شبكة المحافظين الجدد المؤيدة لإسرائيل في واشنطن وبدعم من العناصر المؤيدة لإسرائيل في الإعلام الأمريكي.

وفي أعقاب الهجمات الإرهابية في الحادي عشر من سبتمبر/أيلول، نقلت وسائل الإعلام في عناوينها الرئيسية ووافقها في ذلك المحللون أن "البنتاغون يهيئ لاحتلال العراق بقيادة الولايات المتحدة". ورددت هذا الخبر مراراً وتكرراً بدون كلل أو ملل على الرغم من عدم وجود دليل حقيقي بتورط العراق في تلك الهجمات أو تحريضه عليها حتى يومنا الحاضر.

وفي جميع الأحوال، فإن التصور الذي ينبعث في ذهن المواطن الأمريكي العادي من فكرة أن الحرب أعدت في البنتاغون يعكس المشاهد الشائعة والمهيبة للجنرالات والقادة العسكريين

الأبطال المتمرسين في الحرب ذوي النياشين والرتب العالية الذين يحظون بثقة وإعجاب الجماهير وهم يعدون للقضاء على صدام.

إلا أن هناك مشكلة واحدة في تقارير الإعلام الأمريكي هذه، وهي أن القادة العسكريين المحترفين في البنتاغون لم يعتقدوا أن احتلال العراق كان أمراً ممكناً أو ضرورياً. بل كانوا يرون أن له عواقب وخيمة على الولايات المتحدة ستؤدي إلى وضع الولايات المتحدة (التي تقف وحدها إلى جانب إسرائيل) ضد العالم العربي والعالم الإسلامي. وتحديدا، ونظراً لمعارضة الجيش للحرب ضد العراق، بدأت شبكة المحافظين الجدد المؤيدة لإسرائيل وفي أعلى المستويات داخل حكومة بوش بتحركات مريبة بهدف التخلص من القادة العسكريين الذي أبدوا معارضة لتورط الولايات المتحدة في حرب ضد العراق. هذه الحقيقة التي غابت عن كثير من الناس كانت مدفونة في تقرير مطوّل نشرته الواشنطن بوسبت في أغسطس/أيار من عالم 2002. وقد كتب توماس ريكس الذي أعد التقرير يقول:

"في اجتماع لمجلس سياسة الدفاع، وهو مجلس استشاري للبنتاغون، عقد في العاشر من يوليو/ تموز، كان من بين الموضوعات التي نوقشت مسألة التصدي للتردد الذي يبديه القادة العسكريون في قبول الهجوم على العراق.

ونقل عن أحد خبراء الدفاع الذين شاركوا في تلك المناقشات قوله: "إن ما تم بحثه في ذلك الاجتماع هو المشكلة المتعلقة بخدمات الجيش" والنتيجة بحسب رأيه لحل المشكلة هو: "يجب أن نرى بعض الرؤوس تتطاير، وبخاصة في الجيش، لتجاوز تلك العقبة"[78].

ولم يكن من محض المصادفة أن يكون مجلس الدفاع نقطة البداية لخطة جعل بعض "الرؤوس تتطاير" داخل الجيش، وعلى الرغم من أن هذا المجلس هو في الظاهر "مستقل" إلا أن هذا المجلس كان يسيطر عليه (ومازال) ريتشارد بيرل، الذي لم يسبق له أن خدم في الجيش، ومع ذلك فقد جمع ثروة طائلة في تجارة السلاح كوسيط عن شركات السلاح الإسرائيلية. وأمضى سنوات عديدة في دعم التدخلات العسكرية الأمريكية للدفاع عن المصالح الإسرائيلية.

وفيما يخص النزاع بين المحافظين الجدد المدنيين المؤيدين لإسرائيل وبين قيادة الجيش، كتبت الواشنطن بوست وبكل صراحة في 28 أيلول 2002 تقول:

"على الرغم من تصريحات الرئيس بوش الاستفزازية المتوعدة حول العراق، فإن عدداً من كبار المسؤولين العسكريين في الولايات المتحدة يقولون بأن الرئيس صدام حسين لا يشكل خطراً حالاً على المصالح الأمريكية وأن على

الولايات المتحدة أن تواصل سياستها في الاحتواء بدلاً من احتلال العراق لتغيير النظام في بغداد.

إن دعم الجيش لسياسة الاحتواء ومخاوفه من النتائج السلبية المحتملة من مهاجمة العراق تتفق مع وجهات نظر مسؤولين كبار في وزارة الخارجية ووكالة الاستخبارات المركزية (سي آي إيه) وذلك بحسب ما ذكرته مصادر مطلعة على ما يدور داخل هذه المؤسسات من مناقشات"(79).

إلا أن البوست أشارت إلى أن "المسؤولين المدنيين الكبار في البيت الأبيض والبنتاغون لديهم وجهة نظر مخالفة. وهؤلاء المسؤولون المدنيون الذين لم تذكر البوست أسماءهم هم صقور الحرب من المحافظين الجدد مثل بيرل وأعوانه القدامى وحلفائه المقربين داخل حكومة بوش: نائب وزير الدفاع بول وولفويتس ونائبه دوغلاس فايث، وذكرت الواشنطن بوست أنه "بينما لم ينتقد قادة الجيش توجهات الرئيس بوش بشأن سياسة العراق علانية، إلا أن بعضهم يشكك في تلك السياسة في المجالس الخاصة"، وأضافت البوست تقول:

إن ضباط الجيش المتقاعدين الذين ما زالوا على اتصال مع قادة الجيش، والذين يستطيعون التحدث بما لا يمكن للقادة الموجودين على رأس عملهم التحدث بشأنه،

يجاهرون بتأييدهم لسياسة الاحتواء وينتقدون تصميم الحكومة التخلي عن تلك السياسة"[80].

وقد وقف وزير الخارجية كولن باول – الذي خدم في فيتنام – في البداية في صف المعارضين لحرب العراق من قادة الجيش. وكان من أبرز المعارضين للحرب الجنرال تومي فرانكس الذي قاد فيما بعد الحرب على العراق.

ومن جانب آخر نجد أن مجلة الواشنطن منثلي، وهي مجلة ليبرالية ذائعة، خصصت صفحة الغلاف في عددها الصادر في حزيران/ يونيو 2002 لموضوع الجماعة التي تقف وراء "ضرب العراق" وكشفت المجلة بكل صراحة عن هوية أعضاء هذه المجموعة: إن غالبية هذه المجموعة هم من "اليهود المتحمسين المؤيدين لإسرائيل وحزب الليكود"[81] بحسب اعتراف المجلة. وأشارت المجلة إلى أن "صقور المحافظين الجدد، توحدهم فكرة مشتركة" هي أن: أمريكا يجب أن لا تخشى من استخدام قوتها على نحو مبكر ومتكرر لتكريس مصالحها ومثلها"[82].

إلا أن فلسفة التلويح بالسيف واستخدام القوة وعلى نحو ما أكدته الواشنطن منثلي، تثير سخط غالبية أعضاء مؤسسات الأمن القومي في البنتاغون ووزارة الخارجية ووكالة الاستخبارات المركزية، الذين يعتقدون أن القوة العسكرية الأمريكية يجب أن

تستخدم في أضيق الحدود وكخيار أخير وبالتنسيق مع الحلفاء"[83].

ومع ذلك، فإن هذه الأقلية المندفعة نحو الحرب والعدوان قد صعدت إلى قمة السلطة في واشنطن العاصمة وأصبح تأثيرها ملموساً في كل مكان.

ومع تزايد وتيرة الدفع نحو الحرب، نشط "حراس القصر" بقيادة بول وولفويتس ورفاقه في محاولة إعادة تشكيل البنتاغون في تحرك معاكس لموقف المسؤولين العسكريين المعارضين لخوض حروب إمبريالية حول العالم لا تمليها أي ضرورة ولا علاقة لها بالدفاع عن أمريكا.

وعلى الرغم من أن غالبية الشعب الأمريكي تعتقد أن الرئيس بوش ووزير دفاعه دونالد رمسفيلد يحظيان بدعم قوي من القادة العسكريين، إلا أن الحقيقة كانت هي العكس تماماً. ومع أن الرئيس بوش قد وصل إلى البيت الأبيض بدعم كبير من أسر أفراد الجيش الأمريكي، إلا أن كبار قادة الجيش في البنتاغون كانوا غير راضين عن رمسفيلد ورفاقه من المحافظين الجدد من أمثال وولفويتس.

وقد أظهر تقرير نشرته الواشنطن بوست في السادس عشر من أكتوبر/ تشرين أول من عام 2002، بعض التفاصيل الدقيقة وغير

المعروفة عن جهود رمسفيلد وأعوانه من المحافظين الجدد والذين يطلق عليهم في الإعلام "حراس القصر" المؤيدين لإسرائيل للسيطرة على البنتاغون. وقد كتبت الصحيفة تقول في وصف البنتاغون بأنه "تسيطر عليه أجواء من التوتر"، مضيفة بكل صراحة أن:

كثيراً من المسؤولين الكبار في هيئة الأركان المشتركة وفي الفروع الأخرى من الجيش يصفون رمسفيلد بأنه متعسف ومتذبذب، ولا يثق إلا بدائرة صغيرة من مستشاريه المقربين، ولا يتوانى عن الانتقاص من قيمة الضباط الذين أمضوا عقوداً في الخدمة المتميزة في الجيش.

وتنتشر هذه المشاعر القاتمة لدرجة أن قادة أركان كل من سلاح الجو والبحرية والجيش عبروا عن إحباطهم الشديد من انعدام الاستقلالية في عملهم وأنهم يفكرون في إنهاء خدماتهم مع نهاية العام.

وقد شعر ثلاثتهم أن أعمالهم مقيدة من قبل رمسفيلد والمجموعة الصغيرة التي يطلق عليها في البنتاغون "حراس القصر"[(84)].

وبينما لم تذكر البوست أسماء "حرس القصر"، إلا أن هويتهم ليست لغزاً. فقد ذكر أحد المستشارين في وزارة الدفاع للواشنطن بوست أن "درجة عمق الجفاء بلغت حداً ملحوظاً جداً"، مضيفاً أنه وبحسب وجهة نظره، فإن "رمسفيلد هيأ الأجواء لموجة

من العصيان داخل البنتاغون". وادعت البوست أن رمسفيلد ورفاقه قد وضعوا هيئة الأركان المشتركة لقيادة الجيش وأعضاءها البالغ عددهم 1200 في بؤرة الاهتمام"[85].

فقد كان رمسفيلد وولفويتس يحاولان الحد من قدرة كبار القادة العسكريين في مخاطبة الكونغرس والمؤسسات الحكومية والإعلام وذلك عن طريق التخلص من مكتب ارتباط الكونغرس في قيادة الأركان، ومكاتب المستشار القانوني والعلاقات العامة، والتي أعطت في الماضي بعض الاستقلالية لقادة الجيش بما توفره لهم من خطوط اتصال مباشرة مع الكونغرس والحكومة والإعلام"[86].

والحقيقة هي أن ما يحاول رمسفيلد وزمرة المحافظين الجدد تحقيقه هو عزل قيادة الجيش الأمريكي عن الجمهور الأمريكي، لعلمهم أنه إذا أدرك الشعب الأمريكي أن قيادة الجيش تعارض الحرب ضد العراق، فإن جموع الشعب على الأغلب ستشارك رأي قيادة الجيش في معارضتها لتلك الحرب لثقتها بحكمة قيادة الجيش.

وفي النهاية، وكما علمنا الآن، فقد نجح "المحافظون الجدد" في تحييد وإسكات صيحات التحذير التي صدرت عن قادة

الجيش، ومما يزيد من اشمئزاز قادة الجيش أن الأحداث في العراق قد أكدت مخاوفهم السابقة.

الليكود الأمريكي: المحافظون الجدد

تعتبر قضية القوة الموجهة خلف فلسفة "المحافظين الجدد" التي تدعو إلى حلم الإمبريالية الأمريكية من أكثر الموضوعات إثارة للجدل في أمريكا اليوم – وهي قضية دور الصهيونية التي تسير على نهج الليكود الإسرائيلي المتطرف والتي تتولى صناعة وتشكيل سياسات حكومة بوش.

إن إدراك أن غالبية صانعي السياسة من المحافظين الجدد الذين يسيرون محركات القوة في واشنطن هم بالفعل من اليهود، وأنهم ينتمون إلى الجناح اليميني المتطرف من الصهيونية هو أمر ضروري لفهم ما يجري في العالم اليوم.

ويلخص الكاتب مايكل ليند – وهو من أبرز منتقدي مبادئ المحافظين الجدد – ثلاثة أهداف يسعى أتباع مذهب العالمية إلى تحقيقه: " التفرد والهيمنة الأمريكية، الحرب الوقائية، تعديل السياسة الخارجية الأمريكية بما يتوازى مع سياسة آرييل شارون الزعيم اليميني الإسرائيلي. وكل واحد من هذه العناصر التي

تكون الإستراتيجية الكبرى لجورج بوش تتعارض تعارضاً صارخاً مع السياسة الخارجية الأمريكية للحكومات السابقة"[87].

وتجدر ملاحظة ما لخصه كاتب يهودي حول الحلم الصهيوني الذي يقود سياسة بوش وخاصة فيما يتعلق بالعراق في مجلة التايم، وهي المجلة التي تحكمها مصالح مالية يهودية تدور في فلك أسرة إدغر برونفمان رئيس الكونغرس اليهودي العالمي لمدة طويلة. وفي هذه المقالة التي عنوانها "كيف التفّت إسرائيل في العراق" يكتب الصحافي جو كلاين بصراحة قائلاً:

"إن فكرة تحقيق "إسرائيل أقوى" تدخل ضمن مسوغات الحرب على العراق. وهي جزء من الحجة التي لا يجرؤ أحد على ذكرها باسمها، وهي أمنية عزيزة على قلب المحافظين الجدد في حكومة بوش وقادة الجالية الأمريكية اليهودية.

وهذه الأمنية تقوم على نظرية الدومينو. فتدمير عراق صدام سوف لا يضمن إزالة عدو قديم وحسب، ولكنه سيغير من أسس معادلة القوى في المنطقة. وسوف يرسل رسالة إلى سوريا وإيران حول مخاطر دعم الإرهاب الإسلامي.

وسوف يرسل رسالة إلى الفلسطينيين كذلك: طبقوا الديمقراطية وادخلوا في سلام وفق شروط إسرائيل، وإلا فلا تحلموا بدولة لكم. وحتى في أسوأ الاحتمالات سوف تؤدي

إلى انهيار الملكية المتصدعة في الأردن وإنشاء دولة فلسطينية في الضفة الشرقية من نهر الأردن.

ولا أحد في الحكومة يتحدث في العلن عن هذه الأشياء، ومع ذلك فإن بعض قادة الجالية اليهودية يجهرون بها، وفي العادة يتم التعبير عن هذا الحلم بألين العبارات مثل "لدي آمال واسعة بأن إزالة صدام حسين سوف تقوي من حلفائنا الذين يؤمنون ويطبقون الديمقراطية في المنطقة" هكذا صرح لي السيناتور جو ليبرمان في الأسبوع الماضي"(88).

إذن، فقد أصبحت حقيقة أن الحرب على العراق والسياسة التي تحكمها مؤسسة على فلسفة عناصر متطرفة من الليكود في إسرائيل ومن حلفائهم المحافظين الجدد في أمريكا في مواقع السلطة في حكومة بوش، أصبحت الآن محل نقاش مفتوح في الرأي العام.

وفي الوقت ذاته بدأ دعاة الحرب من المحافظين الجدد بدق إسفين بين الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين.

المحافظون الجدد يهاجمون منتقديهم في أوروبا

بدأت طلائع حركة المحافظين الجدد الموالية لإسرائيل في الولايات المتحدة بشن حملة إعلامية قاسية ومن غير خجل لتأجيج المشاعر المعادية لأوروبا في الولايات المتحدة. وهناك عدد قليل من

الشعب الأمريكي يعي القوى الجيوسياسية التي تقف وراء هذه الحملة.

لقد جاءت هذه الحملة المعادية لأوروبا تماماً في الوقت الذي أظهرت فيه الحكومات الأوروبية ومن ورائها أعداد غفيرة من المواطنين الأوروبيين معارضتها لمطالب محور الحرب الأمريكي – الإسرائيلي – البريطاني ضد العراق وأثارت بعض التساؤلات حول سياسات إسرائيل الهمجية ضد الفلسطينيين. وهو الأمر الذي أثار فزعاً شديداً في صفوف المحافظين الجدد.

وقد وصلت حدة الحملة المعادية للأوروبيين التي قادها المحافظون الجدد إلى درجة أن مجلة نيويورك رفيو أوف بوكس وهي دار نشر ليبرالية ومعروفة بتعاطفها مع إسرائيل، نشرت مقالة مفصلة توضح هجوم المحافظين الجدد على منتقدي إسرائيل في أوروبا. وفي هذه المقالة وعنوانها "النزعة المعادية لأوروبا في أمريكا" جمع الكاتب تميثي آش غارتون قائمة بأسماء الكتاب من المحافظين الجدد الذين وجهوا بنادقهم نحو أوروبا، وتصدر القائمة ريتشارد بيرل الذي ادعى بأن أوروبا قد فقدت "حسها الأخلاقي".

وحتى لا يغفل أحد عن سبب هذه العداوة الجديدة التي أظهرها المحافظون الجدد تجاه أوروبا، فإن مقالة آش توضح لنا لب المسألة بأن "الشرق الأوسط هو المصدر والحافز للمشاعر الأوروبية

المعادية لأمريكا وما يقابلها من مشاعر حديثة معادية لأوروبا في أمريكا والتي قد تتدهور إلى الأسوأ"[89].

وبعبارة أخرى، وبكل بساطة: إسرائيل وجماعات الضغط القوية المؤيدة لها هي السبب وراء هذا الصراع. ومع أن آشر لا يصرح بذلك إلا أنه كتب يقول:

"إن معاداة السامية في أوروبا والعلاقة بينها وبين الانتقادات الأوروبية لحكومة شارون، أصبحت محل أشد الانتقادات اللاذعة المعادية لأوروبا في كتابات السياسيين والمحللين الإعلاميين المحافظين في الولايات المتحدة. وبعض هؤلاء الكتاب ليسوا فقط من الموالين لإسرائيل بل هم من "الليكوديين الطبيعيين"، كما عبر عن ذلك أحد الكتاب اليهود الليبراليين...

ففي مقالة نشرت مؤخراً، كتب ستانلي هوفمان عن هؤلاء الليكوديين بأنه يظهر أنهم يعتقدون بوجود "تطابق في المصالح بين الدولة اليهودية والولايات المتحدة"[90].

وقد انضم إلى حملة "معاداة أوروبا" روبرت كيغان وهو أحد أعوان بيرل وكريستول. حيث انضم إلى جوقة النقاد الشرسين في بث وترويج العداوة ضد أوروبا على صفحات الواشنطن بوست، الصحيفة المؤثرة في العاصمة الأمريكية. وقد كان مقال كيغان في عدد 31 يناير/كانون ثاني من عام 2003، يشكل مرجعاً

للمحافظين الجدد في حملتهم المعادية لأوروبا. وقد كتب كيغان يقول:

في لندن... يجد المرء أفضل العقول البريطانية وهي تتحدث بلغة معقدة وبلهجة أكسفوردية عن نظريات المؤامرة...فيما يخص "المحافظين الجدد" (والمقصود هنا اليهود) الذين اختطفوا السياسة الخارجية الأمريكية...وفي باريس، ينصب الحديث كله على النفط و"الإمبريالية" (واليهود)، أما في مدريد، فالحديث كله يدور حول النفط والإمبريالية والدعم الأمريكي السابق لفرانكو و(اليهود).

وفي مؤتمر شاركت فيه مؤخراً في برشلونة، تساءل مفكر إسباني مرموق قائلاً إذا كانت الولايات المتحدة تريد أن تقضي على الدكتاتوريات الشريرة التي تصنع أسلحة دمار شامل، فلماذا لا تقوم باحتلال إسرائيل.

نعم، إنني أعلم أن هناك من يطرح مثل هذا التساؤل في أمريكا، ولكن ما ينبغي للأمريكان أن يفهموه هو أن هذه النزعة التآمرية المتشككة والمعادية لأمريكا في أوروبا ليست ظاهرة محصورة في أقصى اليسار أو أقصى اليمين، إنها النظرة السائدة والاتجاه العام هناك"[91].

إذن، حلفاء أمريكا التقليديون في أوروبا تحالفوا اليوم ضد الولايات المتحدة وضد المحافظين الجدد الذين تزعموا الدعوة نحو

الإمبريالية الجديدة. لقد كانت معادلة اعتقد كثير من النقاد أنها ستؤدي في النهاية إلى كارثة ليس فقط على أمريكا بل على العالم بأسرة.

التحالف بين بوش وشارون

بالإضافة إلى ضرب السياسة الخارجية الأمريكية التقليدية بعرض الحائط، هناك عامل آخر يتعلق بالأساس الذي تبنى عليه وجهة نظر المحافظين الجدد يجب أخذه بالاعتبار: الأثر الناتج عن الجانب المحدد من "العلاقة الخاصة" بين الولايات المتحدة وإسرائيل.

ليس سراً أن الحكومات الأمريكية المتعاقبة – سواء كانت بقيادة الحزب الديمقراطي أم الحزب الجمهوري – كانت منحازة نحو إسرائيل، إلا أن الحقيقة هي أن صعود المحافظين الجدد إلى قمة السلطة في حكومة بوش قد أدى إلى اندماج حكمي للسياسة الخارجية الأمريكية بوجهات نظر الجناح اليميني المتشدد في حزب الليكود بقيادة آرييل شارون.

وقد أوضح الكاتب روبرت كيزر في مقالة بعنوان "بوش وشارون متطابقان بخصوص سياسة الشرق الأوسط" نشرتها الواشنطن بوست في التاسع من فبراير/أكتوبر 2003، معالم التحالف الثابت بين حكومة بوش والجناح اليميني الإسرائيلي.

وتشكل تلك المقالة اعترافاً صريحاً بسلطة المحافظين الجدد في توجيه سياسة الحكومة تجاه إسرائيل والعالم العربي. وتضيف المقالة:

"للمرة الأولى تسعى حكومة الولايات المتحدة وحكومة الليكود في إسرائيل نحو تحقيق سياسات متطابقة، ففي السابق كانت حكومات الولايات المتحدة منذ عهد جيمي كارتر إلى بيل كلينتون تتجنب المودّة الزائدة في التعامل مع حزب الليكود وشارون، نائية بالولايات المتحدة عن الفظاظة المعهودة لحزب الليكود في تعامله مع الفلسطينيين. أما اليوم، فإن إسرائيل والولايات المتحدة تجمعهما نظرة واحدة مشتركة حول الإرهاب والسلام مع الفلسطينيين والحرب على العراق وأكثر من ذلك.

إن تحيّز حكومة بوش إلى شارون يفرح الكثيرين من أنصار الحكومة وخاصة المسيحيين الإنجيليين، وعدداً كبيراً من المنظمات اليهودية، وبحسب تصريحات قادة هذه الجماعات فإن الإرهاب الفلسطيني هو الذي دفع بوش إلى اتخاذ مثل هذا الموقف الجديد.

ونقل عن أحد المسؤولين الكبار في وزارة الدفاع قوله: "إن الليكوديين هم المسيطرون الآن" مستخدماً كلمة "ليكودنيكس" وهي المصطلح الذي يطلق على مؤيدي حزب الليكود بزعامة شارون في لغة اليديش.

ويستخدم بعض خبراء الشرق الأوسط لفظ "العصابة" على مؤيدي إسرائيل الذين لا يتفقون معهم في الرأي، على حد قول بعض الموظفين السابقين. ولا يخفي أعضاء هذه المجموعة صداقاتهم وصلاتهم أو ولاءهم في دعم إسرائيل والليكود.

ريتشارد بيرل، رئيس مجلس سياسة الدفاع، كان يرأس مجموعة باحثين قدمت توصية إلى بنيامين نتنياهو، رئيس وزراء إسرائيل من حزب الليكود بين أعوام 1996 – 1999، واقترحت التوصية وجوب التخلي عن اتفاقيات أوسلو للسلام التي تم التفاوض بشأنها عام 1993 ورفض الأساس الذي قامت عليه – وهي فكرة "الأرض مقابل السلام". وأنه يجب على إسرائيل أن تصر على اعتراف العرب بشرعية مطالبة إسرائيل بالحدود التوراتية لأرض إسرائيل، واقترح تقرير عام 1996 بضرورة ووجوب "التركيز على إزالة صدام حسين من السلطة في العراق".

وضمت مجموعة الباحثين هذه بالإضافة إلى بيرل، كلاً من: ديفيد وورمزر، ويعمل الآن مساعداً خاصاً لوكيل وزارة الخارجية جون بولتون، إضافة إلى دوغلاس فايث، ويشغل الآن منصب وكيل وزارة الدفاع لشؤون السياسة. وقد كتب فايث عدة مؤلفات وأبحاث في قضايا الصراع العربي الإسرائيلي منذ زمن طويل، محاججاً بأن لإسرائيل حقا

شرعيا في مناطق الضفة الغربية التي احتلتها عام 67 في حرب الأيام الستة مثل حقها في الأراضي التي كانت تحت وصاية الأمم المتحدة عام 1948 والتي أسست عليها دولة إسرائيل.

وقد أدى النقاش الداخلي إلى انقسام في الحكومة واستقطاب الضغط والتأثير من المنظمات اليهودية ومعاهد الفكر والإنجيليين المسيحيين وغيرها من الجماعات التي لها مصالح واهتمامات قوية في الشرق الأوسط...

وفيما يربو على عقد من الزمان، صعد مؤيدو حزب الليكود إلى مراكز القيادة في المنظمات اليهودية الأمريكية التي تقدم الدعم المالي والسياسي لإسرائيل"[92].

وبعد وقت قصير من نشر مقال كيزر في الواشنطن بوست، طالعنا الصحافي المعروف أرنولد ديبورتشغريف بمقالة نشرتها صحيفة الواشنطن تايمز ذات النزعة المحافظة الجديدة والمنافسة لصحيفة الواشنطن بوست ذات التوجهات الليبرالية – وردد ديبور تشغريف ما ذكره كيزر وأسهب في موضوع التحالف الجديد بين نظامي بوش وشارون. واستطرد يقول في تلك المقالة التي عنوانها "مذهب بوش – شارون"

لقد اندمجت المصالح الإستراتيجية للولايات المتحدة وإسرائيل في الشرق الأوسط تدريجياً إلى أن شكلت مذهباً

جديداً متماسكاً يمكننا أن نطلق عليه مذهب بوش – شارون. إلا أن هذه الحقيقة تكاد تنطمس في المناقشات الصاخبة بين المحللين الذين يلعبون دور الجنرالات الجالسين على الأرائك في الحرب القادمة لتغيير نظام الحكم في بغداد.

لقد قدم شارون الذخيرة الجيوسياسية لإقناع السيد بوش بأن الحرب على الإرهاب الفلسطيني مطابقة للحرب العالمية على الإرهاب. بعد ذلك جاءت الحملة لإقناع الرأي العام الأمريكي بأن صدام حسين وأسامة بن لادن كانا متحالفين في حربهما ضد أمريكا. وساعد في إذكاء الحملة المزاعم القائلة بأن اجتماعاً سرياً عقد في براغ بين محمد عطا – قائد هجمات سبتمبر /أيلول الانتحارية – وضابط استخبارات عراقي في نيسان/إبريل من عام 2001. ومنذ ذلك الوقت أصبحت الروايات والقصص حول العلاقة بين صدام حسين والقاعدة صناعة محلية رائجة.

ومن الواضح أن ابن لادن يأمل أن يستخدم احتلال أمريكا لدولة مسلمة حجة لتجنيد آلاف من المقاتلين الجدد في منظمته. إلا أن علاقة صدام – ابن لادن لا تكاد أن تكون سوى الخطوة الأولى في مذهب بوش – شارون. إن الهدف الإستراتيجي هو ضد استقرار الشرق الوسط.

ويلحق ذلك تقويض "الأنظمة المستبدة". وفي قاعة البولينغ العربية، فإن الكرة التي تسدد نحو صدام يقصد

منها أن تسقط معها الأنظمة الشمولية والدكتاتورية في إيران وسوريا والعربية السعودية وغيرها من إمارات ومشيخات.

ويمكن تقصي جذور هذه الإستراتيجية إلى بحث نشره عام 1996 معهد الدراسات السياسية والإستراتيجية المتقدمة، وهي مؤسسة بحث إسرائيلية. والبحث كان بعنوان "انطلاقة نظيفة: إستراتيجية جديدة لتأمين المنطقة" A Clean Break: A New Strategy for Securing the Realm وقد صمم هذا البحث ليكون مخططاً سياسياً لحكومة بنيامين نتنياهو الجديدة، ونتنياهو هو صقر من الطراز الأول في قفص السياسة الإسرائيلية.

وبحسب ما جاء في هذا التقرير، فإن بإمكان إسرائيل أن "تشكل بيئتها الإستراتيجية" بدءاً بإزالة صدام حسين وإعادة النظام الملكي الهاشمي في بغداد. ويذكر أن الملكية العراقية خلعت بانقلاب عسكري عام 1958 باغتيال الملك فيصل ابن عم الملك الراحل الحسين بن طلال.

هذه الخارطة الإستراتيجية والتي تم تنفيذها بدقة على يد السيد نتنياهو وخليفته شارون – دعت إلى التخلي عن اتفاقات أوسلو " التي تعفي إسرائيل من أي التزام إذا لم تقم منظمة التحرير الفلسطينية بالوفاء بالتزاماتها" وقد أخطأ ياسر عرفات بالتعاون مع إسرائيل على هذه الصفقة.

ويضيف البحث قائلاً "إن مطالبتنا بالأرض [الضفة الغربية] التي تشبثنا بها لأكثر من 2000 عام هو مطلب شرعي وعادل ونبيل" ويتابع البحث قوله "إن الأساس الثابت والمتين للمستقبل لن يتحقق إلا بقبول العرب غير المشروط بحقوقنا وخاصة في محيطهم الإقليمي"[93].

وما ينبغي ملاحظته هنا أن الخارطة الإستراتيجية التي أشار إليها ديبورتشغريف وكذلك كيزر لم تكن من نتاج المعهد الإسرائيلي وحده. فواضعو هذه الوثيقة كما ذكر كيزر كانوا أمريكيين، وهم بالتحديد: ريتشارد بيرل ودوغلاس فايث وجون بولتون ويديفيد ورمزر، وهم جميعاً من الشخصيات البارزة التي تتولى صنع السياسات التي توجه مسير حكومة بوش اليوم.

الرأي في إسرائيل

وفي الوقت الذي يعتبر فيه كل هذا "أخباراً جديدة" بالنسبة لقراء الواشنطن بوست والواشنطن تايمز – اللتين تختلفان فقط في مدى تعاطفهما مع مطالب اللوبي الإسرائيلي في واشنطن – فإن ما نشرته هاتان الصحيفتان لم يكن مفاجئاً لأي أحد في إسرائيل.

ونكتفي هنا بإبراز تقريرين من الإعلام الإسرائيلي نقلا تصريحات للقادة الإسرائيليين تكشف أن دوافع صانعي السياسة

من المحافظين الجدد كانت حقاً جزءاً من مخطط كبير يتطابق مع أهداف كتلة الليكود المتطرفة في إسرائيل.

... "إن دعم بوش لشارون كما هو معروف في المناطق [المحتلة]، وفي العالم العربي، وفي إسرائيل، أن الفضل فيه يعود إلى اللوبي الإسرائيلي، ويعني الأموال اليهودية، و"اليمين المسيحي".

الكاتبة الإسرائيلية آكيفا إلدر، صحيفة هآرتز 26 إبريل/نيسان 2002

"يجد شارون أن من الصعب عليه أن يظهر أي إنجازات خلال العشرين شهراً من تسلمه السلطة، ...إن الهجوم الأمريكي على العراق يشكل الرافعة التي ستنتشل إسرائيل من المستنقع الاقتصادي والأمني والاجتماعي الذي تغرق فيه"

المراسل الصحفي آلون بن، هآرتز نوفمبر/ تشرين 2002.

وعلى الرغم من ذلك كله، فإن الصحيفة الأمريكية المستقلة والوحيدة التي تجرأت مراراً على توجيه الانتقاد إلى "المحافظين الجدد" واللوبي الإسرائيلي وتركز على نشاطاتهم – الأمريكان فري برس – ربما كانت أقل تحفظاً من المطبوعات النخبوية ذات الأسماء الكبيرة مثل الواشنطن بوست والواشنطن تايمز في تلخيص التحالف الجديد بين حكومة بوش ونظام شارون.

سياسة بوش: "إسرائيل العظمى"

قبل أن تكشف الصحافة عن تحالف بوش – شارون بوقت طويل، أعلنت نشرة الأمريكان فري برس بكل صراحة ووضوح أن سياسة بوش كانت جزءاً من خطة لتحقيق الحلم الصهيوني بإقامة "إسرائيل العظمى" بحسب ما جاء في تقارير النشرة.

لقد كانت شركات النفط العملاقة تخطط للاستيلاء والسيطرة على منطقة الشرق الأوسط بالتعاون مع القوى الصهيونية المتطرفة. وتحلم شركات النفط الأمريكية – البريطانية بالتخلص من شركائها من الأسر الحاكمة الغنية التي تسيطر على حقول النفط. ويريد بارونات النفط أن يستأثروا بالنفط كله لأنفسهم، وفي الوقت ذاته، يحلم الصهاينة المتطرفون المسيحيون منهم واليهود – في تمزيق الدول العربية وتوسيع حدود إسرائيل لإقامة "إسرائيل العظمى" التي تمتد من "النيل إلى الفرات".

وأمام هذا التلاقي في المصالح، والمؤسس على خليط قاتل من الأيديولوجية والمصالح والقوة الجيوسياسية – وجدت الصهيونية وشركات النفط أساساً مشتركاً بينها. وعلى هذا النحو جاء تحركهم في هذا الوقت لتأسيس هيمنة في الشرق الأوسط على حقول النفط الغنية في العالم العربي، وما الهجمة على العراق إلا الرصاصة الأولى في هذه الحملة.

وقد كان إعلان بعض الدول العربية في الشرق الأوسط عن معارضتها لما تنوي الولايات المتحدة أن تقوم به من عمل عسكري في العراق سببا في إدراجها ضمن قائمة الدول المعادية. وأصبح الحلم الصهيوني القديم بإقامة "إسرائيل العظمى" أكثر من غطاء لتجمع شركات النفط العملاقة لكي تحقق سيطرتها المطلقة على النفط العربي بشكل نهائي، وكانت الخطوة الأولى هي التخلص من صدام حسين.

وكان العراق هو حجر الدومينو الأول الذي سيسقط، وستلحق به تباعاً بقية الدول العربية في الصف. إن الإطاحة بالأنظمة العربية الحاكمة سيشبع رغبات المتشددين في إسرائيل، وسيهيئ الفرصة لشركات النفط للسيطرة على نفط الشرق الأوسط.

وليس من المصادفة أن تكون حكومة بوش هي المحرك لتحقيق هذا الهدف. وقد كان لأسرة بوش تاريخ طويل في التواطؤ مع نخبة شركات النفط الأنجلو – أمريكية. وجورج بوش – وكما هو شأن أبيه – كان حليفاً لإسرائيل، وعندما أملت عليه الظروف وقف في معارضة الدولة الصهيونية.

وقد أشارت الأمريكان فري برس إلى كتاب "أصدقاء حقاً: نظرة داخل التحالف الأمريكي – الإسرائيلي" حيث كشف

المؤلفان الإسرائيليان دان رافيف ويوسي ميلمان بصراحة عن العداوة الإسرائيلية تجاه بوش الأب خلال فترة رئاسته الوحيدة. وهي نقطة يجهلها غالبية عامة الشعب الأمريكي بمن فيهم الجمهوريون المعجبون بأسرة بوش.

وعلى هذا النحو، فإن الإسرائيليين لا يكنون كثيرا من الثقة بأسرة بوش. إلا أن بوش الذي في البيت الأبيض يملك مفاتيح القوة العسكرية الأمريكية، وإسرائيل تقدر أن القوة العسكرية الأمريكية هي وحدها الكفيلة بتأمين بقاء إسرائيل في عالم تتزايد فيه مشاعر العداء تجاهها، وعلى ذلك فإن بوش وحلفاءه من شركات النفط وجدوا ضرورة في التحالف مع إسرائيل.

إن التأثير الصهيوني في الشؤون الأمريكية – وبخاصة في المجال الإعلامي – قد وصل إلى ذروة تأثيره. إضافة إلى ذلك، فإن "اليمين المسيحي" المؤيد لإسرائيل الذي يسيطر عليه أشخاص مثل جيري فالويل وبات روبرتسون، وتم لاهي، وغيرهم يتمتعون بتأثير ملموس في صفوف الحزب الجمهوري الأمر الذي يرسخ قاعدة بوش في الحزب الجمهوري ويجعلها في المعسكر الإسرائيلي. وفي الوقت ذاته، ومن عجيب المصادفة أن موقف إسرائيل لم يسبق له أن كان أكثر تزعزعاً.

ولكن، ومن حسن الحظ بالنسبة لإسرائيل، فإن أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر أكملت حلقة التحالف بين إسرائيل وقوى شركات النفط البلوتوقراطية. وكما يقول جورج فريدمان المحلل السابق في وكالة الاستخبارات الأمريكية وأحد مناصري إسرائيل معلقاً على أحداث الحادي عشر من أيلول في الصفحة الأولى من موقعه على الإنترنت www.stratfor.com بعد ساعات فقط من وقوع الهجمات المؤسفة: " إن المستفيد الأكبر اليوم، سواء كان ذلك عن قصد أو عن غير قصد هو إسرائيل"

فبوش الأصغر، قد زحف بالجيش الأمريكي إلى أعماق العالم العربي، بهدف إنشاء تجمع يستطيع من خلاله أن يستخدم القوة الأمريكية "لتدجين" العرب والسيطرة على نفطهم، ومن خلفه دعم كامل من القوة الإعلامية التي تسيطر عليها الصهيونية.

ويكشف الباحث الإسرائيلي الراحل إسرائيل شاهاك وهو من أبرز منتقدي الصهيونية – في كتابه "أسرار مكشوفة" عن أن سياسة إسرائيل الخارجية تشكل خطراً على السلام العالمي. ويعلن شاهاك أن من محض الخرافة القول بوجود أي اختلاف بين ما يفترض أن يكون سياسات "متعارضة" بين الكتلتين "المتنافستين" في إسرائيل: الليكود والعمل، وكلتاهما تدعمان التوسع بهدف إقامة "أرتز إسرائيل"[هكذا بالعبرية وتعني أرض إسرائيل بالعربية]

دولة إمبريالية تريد السيطرة على منطقة الشرق الأوسط. ويتابع شاهاك قائلاً إن إسرائيل دولة معسكرة: وسياساتها هي أوامر وإملاءات مجموعة من المتطرفين الأصوليين المتدينين الذين يسيطرون على النخب العسكرية والاستخباراتية في البلاد.

وإذا قامت الولايات المتحدة بتدمير صدام واحتلال العراق، تتوقع الأمريكان فري برس أن تكون إسرائيل شريكاً مهماً في هذا التحالف وذلك من خلال التأثير الإسرائيلي في واشنطن وفي الإعلام. إن احتلال العراق – وحتى تنصيب حكومة موالية – سيكون في خدمة توسيع حدود إسرائيل – وتحقيق جزء مهم من حلم "إسرائيل العظمى".

ولكن يبقى السؤال: بأي قدر من التكلفة سيكون ذلك على الشعب الأمريكي؟

"التدمير الإبداعي" للعالم العربي

في كتاب مطول عنوانه "الحرب على أسياد الإرهاب" كتب مايكل لدين – وهو أحد مؤيدي إسرائيل المتنفذين في واشنطن وصاحب الخبرة الطويلة في الاستخبارات الأمريكية، وصديق قديم لريتشارد بيرل – عما سماه "التدمير الإبداعي للعالم العربي".

يقول لدين إن هذا "التدمير الإبداعي" يتوافق تماماً مع العقلية الأمريكية والتقاليد الأمريكية" – وهو ادعاء ربما يفاجئ كثيراً من الأمريكيين. ويرى لدين أن العراق وسوريا والملكية العربية السعودية والجمهورية الإسلامية – غير العربية – إيران، يجب أن تكون جميعها هدفاً "للتدمير الإبداعي" على يد القوة العسكرية الأمريكية. إن "التدمير الإبداعي" هو عنواننا وشعارنا ، ويلاحظ هنا أن لدين يستخدم الضمير "نا" للدلالة على الشعب الأمريكي سواء اتفقوا معه في وجهة نظره الإمبريالية أم لا. ويتابع لدين قوله:

"إننا نقوم بهدم الأنظمة القديمة كل يوم، في العمل، في العلوم، في الآداب، في الفن، الزراعة، السينما، إلى السياسة والقانون.

وما انفك أعداؤنا يكرهون فينا هذه الطاقة والقدرة على الإبداع والابتكار التي تشكل تهديداً لتقاليدهم ووصمة خزي وعار عليهم لأنهم يعجزون عن اللحاق بنا. وعندما يرون أمريكا وهي تهدم المجتمعات التقليدية فإنهم يخافون لأنهم لا يرغبون في التغيير. إنهم لا يستطيعون الشعور بالأمن طالما كنا موجودين، لأن مجرد وجودنا – وجودنا وليس سياساتنا – تهدد شرعيتهم. لذلك كان عليهم أن يهاجمونا من أجل بقائهم، تماماً كما يتوجب علينا أن ندمرهم من أجل أن نحقق مهمتنا التاريخية"[94].

إن ما يروج له لدين من خلال هذه اللغة الرنانة والخطاب الطنان هو الفكرة القائلة بأن سبب كره العرب للولايات المتحدة ليس مصدره دعم هذه الأخيرة لإسرائيل، ولكنه كما يدعي بسبب وجود أمريكا ذاتها، وأن الطريقة الأمريكية في الحياة هي التي تؤجج الحقد العربي. (ويا لها من أكاذيب وترهات!)

ومع ذلك تشكل عبارات لدين الأسطوانة الدعائية التي يرددها اللوبي الإسرائيلي عبر وسائل إعلامه مؤملاً بذلك أن يصرف أنظار الشعب الأمريكي عن السبب الحقيقي وراء عداوة الرأي العام (الشارع) العربي للولايات المتحدة وهو دعمها لإسرائيل. ويذهب لدين إلى حد القول بأن أي شخص يقف في معارضة الحرب الشاملة على العالم العربي يحتاج إلى أن يزال من موقع المسؤولية، ويكتب:

"يجب على الرئيس أن يتخلص من المسؤولين الذين يفشلون في قيادة مؤسساتهم بفعالية، ومعهم أولئك الذين يعدمون الإرادة السياسية لشن حرب على "سادة الإرهاب"

إذ يجب استبدال المسؤولين الكبار في أجهزة الاستخبارات ومعهم القادة العسكريين الذين يقولون للرئيس "لا يمكننا أن نفعل ذلك، أو غير المستعدين منهم، أو الذين يقولون يجب أن نفعل شيئاً آخر أولاً، وهؤلاء يجب استبدالهم كذلك، مع موظفي جهاز الأمن القومي الذين

يصرون على أننا يجب أن نحل مسألة الصراع العربي – الإسرائيلي قبل أن نبدأ الحرب وكذلك كبار المسؤولين في مؤسسات النقل الجوي والهجرة وغيرها"[95]؟

والحقيقة هي أن جورج بوش لديه سبب شخصي قوي – إلى جانب الاعتبارات السياسية الأخرى – في الرضوخ لمطالب المتشددين من الصقور وتنفيذ مخططاتهم الإمبريالية بالنيابة عن إسرائيل.

ففي عدد 22 فبراير/شباط من عام 1992 من مجلة الواشنطن ريبورت أون ميدل إيست أفيرز (مجلة تقرير واشنطن حول شؤون الشرق الأوسط) كشف عضو مجلس النواب السابق في الكونغرس السيد بول فيندلي (جمهوري من ولاية إلينوي) أنه في عام 1991 قام فيكتور أوستروفسكي وهو ضابط سابق في الاستخبارات الإسرائيلية (الموساد) بكشف النقاب عن مؤامرة للجناح اليميني في جهاز الموساد الإسرائيلي لاغتيال الرئيس الأمريكي في ذلك الوقت جورج هيربرت واكر بوش (الأب) والذي كان ينظر إليه على أنه يشكل خطراً على إسرائيل؟.

وبعد أن قدم أوستروفسكي التفاصيل لعضو آخر في الكونغرس هو النائب بيت ماكلوسكي (جمهوري من ولاية كاليفورنيا)، قام هذا الأخير بنقل التحذير إلى جهاز الخدمات السرية الأمريكي. وقد كشف أوستروفسكي عن مزيد من

التفاصيل حول هذه الخطة في كتابه المنشور عام 1994 بعنوان "الجانب الآخر من الخديعة" وفيه: أن الموساد خططت لاغتيال بوش خلال مؤتمر دولي في مدريد.

فقد كان جهاز الموساد قد ألقى القبض على ثلاثة فلسطينيين "متشددين" وسرّب معلومات إلى الشرطة الإسبانية بأن الإرهابيين كانوا في طريقهم إلى مدريد. وكانت الخطة تقضي بقتل بوش، وإطلاق "مرتكبي عملية الاغتيال" في مسرح العملية وسط المعمعة ثم قتل الفلسطينيين على الفور. وبذلك يوجه اللوم إلى الفلسطينيين، في عملية من عمليات ما يطلق عليه في العادة "الراية الخادعة" أو المضللة false flag للموساد.

إذن، تقوم الآن حكومة جورج بوش باحتضان وتعهد حلم إسرائيل العظمى القديم. ومن أجل تحقيق ذلك الحلم، كانت العناصر الصهيونية من المحافظين الجدد التي تبوأت مقاليد السلطة في حكومة بوش قد بدأت بوضع أسس ذلك المشروع قبل سنوات عدة. وكان من بين الخطوات الأولية في تلك الخطة الإعلان عن نظرية "تحجيم من الدول المارقة"

"تحجيم الدول المارقة" جزء من الخطة

إن المعاينة الدقيقة للسياسات العدوانية المنادية بالحرب التي يتبناها المحافظون الجدد لا يمكن أن تكتمل دون التوقف عند خطة "تحجيم الدول المارقة" أو الخارجة على القانون. هذه الخطة التي صدرت عن أعلى مستويات اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة، تشهد الآن بوادر التحرك لتنفيذها.

وعبارة "الدول المارقة" هي تعبير ملتهب مثير للجدل طالما استخدمته الدعاية الإسرائيلية في كثير من المناسبات لوصف دول هي في الغالب إسلامية مثل إيران والعراق وليبيا وسورية والسودان وأفغانستان وغيرها من الدول التي ينظر إليها على أنها تشكل خطراً على إسرائيل. إلا أنه وفي ظل التهم الجديدة بأن المملكة العربية السعودية وهي الدولة المعتدلة والغنية بالنفط "تدعم الإرهاب" بطريقة أو بأخرى، فإنها تعتبر هي الأخرى "دولة مارقة" في نظر المحافظين الجدد المتعطشين إلى الحرب.

إن الحرب على "الدول المارقة" هي جزء من الجهود التي سترسخ "النظام العالمي الجديد" والذي لا يمكن لأي دولة أن تحتفظ بسيادتها الوطنية في وجه القوة العسكرية الأمريكية التي يمسك بزمامها زمرة من سماسرة الحرب "يتمحور تفكيرهم حول

إسرائيل" استطاعوا الوصول إلى أعلى مراتب السلطة في الحكومة الأمريكية وتدعمهم وسائل الإعلام.

ومن مؤيدي فكرة "تحجيم الدول المارقة" السيناتور جون ماكين الذي أعلن خلال حملته الانتخابية للرئاسة عن الحزب الجمهوري عام 2000 أنه إذا أصبح رئيساً للولايات المتحدة فإنه سيشن حملة شاملة للقضاء على "الدول المارقة".

إلا أن ماكين لم يعلن للجمهور أن سياسته كانت جزءاً من خطة طويلة الأمد وضعتها نخبة صناعة السياسة الدولية وبخاصة العناصر المتشددة في دعمها لإسرائيل.

وهذه الخطة التي تدعو إلى "تحجيم الدول المارقة" والتي بدأت باستهداف العراق وإيران، أعلن عنها أول مرة في 22 مايو/أيار من عام 1993، في خطاب سري (وقتها) ألقاه مارتن إنديك وهو مروج سابق للمصالح الإسرائيلية، في معهد واشنطن لشؤون الشرق الأدنى. وهذا المعهد هو جماعة ضغط خاصة لصالح إسرائيل. وقد كشفت صحيفة سباتلايت في ذلك الوقت ولأول مرة عن هذه الخطة العدوانية.

ومما يجعل من خطة مارتن إنديك خطة متفجرة هو أنه عندما حدد معالم تلك الخطة كان يشغل منصب مستشار "خبير" حول سياسات الشرق الأوسط للرئيس بيل كلينتون.

وإنديك الذي ولد في بريطانيا ونشأ في أستراليا، وأقام في إسرائيل، كان قد حصل على الجنسية الأمريكية بشكل فوري (دون استيفاء متطلبات الإقامة) بموجب مرسوم تنفيذي خاص أصدره الرئيس كلينتون بعد ساعات من أدائه اليمين الدستوري وتسلمه دفة الرئاسة في 20 كانون ثاني/ يناير عام 1993، وهو من أول القرارات التي اتخذها كلينتون إثر تقلده رئاسة الولايات المتحدة. (وقد عين هذا المروج الدعائي السابق للمصالح الإسرائيلية فيما بعد سفيراً للولايات المتحدة في إسرائيل رغم وجود تعارض صارخ في المصالح لديه).

وخلال عام واحد، لقيت خطة إنديك للحرب على العراق وإيران دعماً رسمياً من مجلس العلاقات الخارجية، وهو مجلس له نفوذ واسع مقره نيويورك. وفي الوقت ذاته أيضاً أعلن البيت الأبيض عن تبني تلك الخطة كسياسة رسمية لحكومة كلينتون (برغم وضعها موضع التنفيذ قبل ذلك بعام).

وقد كشف تقرير لوكالة الأسوشيتد برس نشرته الواشنطن بوست في 28 فبراير/شباط 1994، أن آنثوني ليك مستشار الأمن القومي للرئيس كلينتون قد وضع خطة "للاحتواء المزدوج" للعراق وإيران، اللتين وصفهما ليك بالدول "الخارجة على القانون".

وقد نقلت تعليقات ليك من مقالة كانت مجلة فورين أفيرز (الشؤون الخارجية) قد نشرتها في عدد إبريل/مارس — نيسان/أيار 1994. وهذه المجلة هي مجلة فصلية تصدر عن مجلس الشؤون الخارجية الذي تموله أسرة الروكفيلر، ويرتبط بالمعهد الملكي للشؤون الدولية في لندن، وهذا الأخير ممول من أسرة الروثتشايلد المشهورة بدعمها لإسرائيل.

وفي 30 أكتوبر/تشرين أول 1993، وصفت الواشنطن بوست مجلس الشؤون الخارجية بأنه "أقرب ما يكون من مؤسسة حاكمة في الولايات المتحدة" وأضافت البوست بأن أعضاء هذا المجلس هم "الأشخاص الذين يديرون وعلى مدى أكثر من نصف قرن، العلاقات الدولية وتجمع صناعة الأسلحة في الولايات المتحدة"[(96)] وأشارت البوست إلى أن 24 من كبار أعضاء حكومة كلينتون بمن فيهم كلينتون نفسه هم أعضاء في هذا المجلس.

إلا أن السياسة التي وضعها آنثني ليك كانت تختلف اختلافاً بسيطاً وهو استهداف العراق للتدمير أولاً. وإيران قد تأتي لاحقاً.

وقال آنثني ليك بأن حكومة كلينتون تدعم المعارضة العراقية في الخارج التي تسعى إلى خلع الرئيس العراقي صدام حسين. وقال ليك أيضاً بأنه على الرغم من أن إيران بحسب وصفه

هي "أكبر داعم للإرهاب والاغتيالات في العالم" إلا أن حكومة كلينتون رأت احتمالات تحسن في العلاقات مع إيران.

نوت غينغريتش وإسرائيل

في مطلع عام 1995 ألقى نوت غينغريتش رئيس مجلس النواب المنتخب حديثاً – آنذاك – من الحزب الجمهوري، والمجاهر في تأييده لإسرائيل منذ وقت طويل، ألقى خطاباً أمام تجمع من ضباط الجيش والاستخبارات في واشنطن دعا فيه إلى تبني سياسة جديدة في الشرق الأوسط تكون بحسب رأيه "مصممة لاستبدال النظام الحاكم الحالي في إيران بالقوة...وهذا هو الحل الوحيد المنطقي على المدى البعيد"

ولم يكن مفاجئاً أن يدعم نوت غينغريتش زعيم الأقلية من الحزب الجمهوري (في ذلك الوقت) تلك السياسة، فقد كانت زوجته في حينه تتقاضى مخصصات شهرية بقيمة 2.500 $ من شركة لتطوير الصادرات الإسرائيلية، وهي شركة كانت تهدف إلى إغراء الشركات الأمريكية بنقل نشاطاتها إلى تجمع صناعي عالي التقنية في إسرائيل.

وقد تعرفت زوجة غينغريتش على تلك الشركة خلال رحلة سياحية إلى إسرائيل برعاية منظمة الإيباك (لجنة العلاقات العامة

الأمريكية – الإسرائيلية) وهي جماعة ضغط مسجلة لصالح إسرائيل.

كما أن آرني كريستنسن الذي سبق أن شغل منصباً رفيعاً في الإيباك، عمل كمستشار أول لغينغريتش. وقد كان كريستنسن هذا قبل التحاقه للعمل في الإيباك قد عمل ضمن طاقم موظفي السيناتور السابق فن ويبر (جمهوري من ولاية مينيسوتا) وهو من رفاق غينغريتش المقربين، وهو أيضاً عضو في مجلس العلاقات الخارجية، وأحد الأعضاء البارزين في معهد الفكر الذي أسسه وليام كريستول إمباور أمريكا.

ثم ظهر ويبر فيما بعد كمستشار رفيع للسيناتور جون ماكين خلال حملته الانتخابية للرئاسة. والسيناتور ماكين هو أيضاً عضو في مجلس العلاقات الخارجية. واكتمال الحلقة على هذا النحو يسهل علينا فهم دعم ماكين للاتجاه القائل بوجوب اتخاذ الولايات المتحدة تدابير استفزازية ضد الدول "المارقة". إلا أن الروابط الإسرائيلية هي المعول عليها أولا وأخيرا....

جون ماكين – الناطق الرسمي باسم المحافظين الجدد

كشفت صحيفة الواشنطن بوست في عددها الصادر في 25 فبراير/شباط من عام 2000، أن ماكين قد عين من بين أقرب

مستشاريه ثلاثة (محللين) من أبرز مؤيدي إسرائيل الذين ينتمون إلى "اليمين اليهودي" — وهم من الشخصيات المعروفة في شبكة المحافظين الجدد وهم: وليام سافاير الصحافي المشهور في النيويورك تايمز والصحافي تشارلز كروتهامر إضافة إلى ويليام كريستول الموجود في كل مكان وفي كل وقت، والذي يعمل لدى بارون الإعلام روبرت مرداخ المتعصب في دعمه لإسرئيل وأحد أتباع أسرة الروتتشايلد، وقد أيدت صحيفة النيويورك بوست التي يمتلكها مرداخ ترشيح ماكين للرئاسة عام 2000.

وماكين نفسه قد أعلن عن ولائه لإسرائيل إلى ما يتجاوز مصالح الولايات المتحدة. وفي 14 مارس /آذار من عام 1999، وفي خطاب ألقاه أمام مجلس شبيبة إسرائيل، قال ماكين:

> **"...لقد اخترنا، كأمة، أن نتدخل عسكريا في الخارج للدفاع عن القيم الأخلاقية التي تقع في مركز ضميرنا الوطني حتى وإن لم يكن لهذا التدخل أية أهمية للمصالح القومية الأمريكية. إنني أشير إلى هذه النقطة لأنها تقع في صميم موقف الولايات المتحدة من إسرائيل. إن بقاء إسرائيل هو أحد أهم الالتزامات الأخلاقية المهمة التي تقع على عاتق الولايات المتحدة.**

وباختصار، فإن ماكين لا يتردد في إلزام الولايات المتحدة على خوض حرب دفاعاً عن إسرائيل، "حتى ولو لم يكن لهذه

الحرب بالضرورة أي علاقة بمصالح الولايات المتحدة". وما دعم ماكين للهجوم على الدول "المارقة" الإسلامية إلا جزءاً من هذه السياسة التي يصعب أن يقال عنها إنها تضع مصالح الولايات المتحدة أولاً.

وقد قال ماكين بأنه مدفوع "بالمبادئ الويلسونية" – وهي الفلسفة التي تنادي باستخدام الشوكة العسكرية الأمريكية في فرض المبادئ العالمية كما تراها الولايات المتحدة.

والحقيقة أن ملف ماكين السياسي يظهر انه كان جزءا من مجموعة نخبوية تؤازر القيام بعمل عسكري دفاعاً عن إسرائيل. وفي تقرير نشرته مجلة جويش كرونكل (الدورية اليهودية) اللندنية في عدد 2 أغسطس/ حزيران من عام 1996، كان ماكين عضواً في لجنة صغيرة غير مشهورة تطلق على نفسها (لجنة الأمن القومي الأمريكي) وكانت هذه اللجنة قد نشرت تقريراً وضعت فيه إسرائيل على رأس المصالح الأمريكية وجاء فيه أنه حري بالولايات المتحدة أن "تنفق الكنوز الكثيرة والدم الغالي من أجلها" – وهي نتيجة لا يتفق معها كثير من الأمريكان.

وصنف هذا التقرير "بقاء إسرائيل بنفس المستوى الذي ترقى إليه حماية الولايات المتحدة من هجوم نووي أو بيولوجي بوصفه مصلحة أمريكية جوهرية". ولخصت الكرونكل ذلك التقرير

واضعة عبارة المجموعة في العنوان الرئيسي: "يجب على الأمريكان أن يخوضوا الحرب دفاعاً عن إسرائيل".

وازن بين هذه النظرة وبين نتائج استطلاعات الرأي التي أجراها مركز أبحاث بيو للشعب والصحافة Pew Research Center for the People and the Press والذي نشر في عدد 28، 1998 من الواشنطن بوست) وقد وجد في ذلك الوقت أن 45٪ من الشعب الأمريكي يمكن أن تؤيد تدخلاً أمريكياً في حالة قيام قوات عربية باحتلال إسرائيل، وبمقارنة هذه النتائج بنتائج "آراء النخبة" التي تؤيد التزام الولايات المتحدة بإرسال قوات عسكرية للدفاع عن إسرائيل في حالة حدوث مثل هذا النزاع. وهذا يظهر أنه لا اعتبار للرأي العام الأمريكي في تفكير هذه الجماعات.

إن الحرب ضد الدول "المارقة" والاستعداد للتدخل العسكري الأمريكي لحماية إسرائيل كانت وما زالت من السياسات التي يتابعها ويتعقبها عن كثب اللوبي الإسرائيلي، ويبدو واضحاً أنها تقع على رأس أولويات أجندة النخبة.

المحافظون الجدد يوسعون أهدافهم

نشرت الواشنطن بوست في مقالة ظهرت في عدد 29 نوفمبر/ 1998 بقلم هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي السابق،

والعضو البارز في مجلس العلاقات الخارجية والمناضل القديم في سبيل القضايا الصهيونية، في مقالة عنوانها "أطيحوا بصدام Bring Saddam Down. وحتى وقت قريب، بدأ مؤيدو إسرائيل بتوسيع أهدافهم.

ففي العدد الثاني من مارس/شباط 2000، كتب الصحافي جم هوغلاند في صحيفة واشنطن بوست "يجب أن يكون لدينا إستراتيجية سياسية وعسكرية واسعة في منطقة الخليج الفارسي...مبنية حول دعم فاعل من الولايات المتحدة للديمقراطية التمثيلية ليس فقط في العراق وإيران، بل وفي الملكات العربية المحافظة في المنطقة. إنه لا يمكن عزل هاتين الدولتين المارقتين وحدهما فقط (إيران والعراق) كمرشحتين للتغير دون غيرهما..."

وبعبارة أخرى، فإن دولاً عربية مثل المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والكويت وغيرها قد تواجه الآن نقمة نخبة المحافظين الجدد الإمبريالية، الذين يستخدمون القوة العسكرية الأمريكية لتحقيق أهدافهم.

وأضاف هوغلاند أن "سياسة الولايات المتحدة في العراق هي موضوع مناسب للطرح في مناظرات الحملات الانتخابية [وأن]...المرشح الذي يستطيع أن يقنعنا بتقديم إستراتيجية سياسية وعسكرية متكاملة للتعامل مع التحديات المتعددة للأمن القومي

في الخليج فإن هذا المرشح يستحق من الناخبين الأمريكيين أن ينظروا إليه بعين الاعتبار"

وفي النهاية، ومع أن جون ماكين الذي كان يؤيد بشده مبدأ "تحجيم الدول المارقة" لم يحالفه الحظ ليكون مرشح الحزب الجمهوري لانتخابات الرئاسة، إلا أن منافسه جورج بوش قد حظي بترشيح الحزب. وخلال فترة حكم الرئيس الجمهوري الجديد بدأت الحرب على العراق مؤتية ثمار خطة قديمة وضعتها زمرة "المحافظين الجدد" الذين خططوا لمثل هذه الخطوة منذ قرابة الجيل من خلال شبكة متماسكة الأركان محكمة النسج ووافرة التمويل.

محور الشر الآخر

هناك عنصر آخر مهم في الدفع نحو الاستعلاء الأمريكي كما تراه كتلة قوى "المحافظين الجدد"، وهذا العنصر هو "محور الشر" بين المحافظين الجدد (والذين تنتمي غالبيتهم إلى جناح متشدد من صقور اليهود المتحالفين مع حكومة شارون كما تبين لنا سابقا) وبين ما يسمى "اليمين المسيحي" في أمريكا.

وعلى الرغم من سخرية الصحافي لي أندرسون مما سماه "الإدعاءات غير العادية" والغريبة لنائب رئيس الوزراء العراقي

السابق طارق عزيز حين قال بأن "مجموعة صغيرة من اليهود والمسيحيين ولوبي شركات النفط، وتجمع مصانع السلاح قد اختطفت أمريكا"[97] إلا أن تلك الإدعاءات كانت على حق.

وبينما نجد أنه لا اليهود الأمريكان جميعهم ولا المسيحيون كلهم يؤيدون أجندة المحافظين الجدد والأصوليين المسيحيين في دعمهم لفكرة إسرائيل العظمى، فإن طارق عزيز كان مصيباً عندما استخدم عبارة "مجموعة صغيرة" برغم تأثيرها الواسع.

واليمين المسيحي في حقيقة الواقع، لا يشكل سوى جزء من الحركة الأصولية المسيحية الأمريكية، وهي حركة كبيرة بلا شك. إلا انه بسبب بروز اليمين المسيحي كقاعدة انتخابية قوية لدعم حملة جورج بوش والحزب الجمهوري، فإن تأثيرها نيابة عن المحافظين الجدد وحلم إسرائيل العظمى هو خارج نطاق الشك.

ويعتقد الكاتب مايكل ليند مؤرخ حياة جورج بوش أن سبب اندفاع بوش نحو قبول مذهب المحافظين الجدد يعود إلى تخليه عن المعتقدات المسيحية التقليدية الدارجة التي نشأت عليها أسرته، وتبنيه بدلاً منها طرازاً جديداً من الأصولية المسيحية الذي يمارسه المتشددون من اليمين المسيحي المؤيد لإسرائيل.

ويضيف ليند: "هناك قليل من الشك في أن الرابطة بين جورج بوش وآرييل شارون قائمة على المعتقد لا على المنفعة. وكبقية

المسيحيين الصهاينة في الحزب الجمهوري، فإن جورج بوش ينتمي إلى الأصوليين المسيحيين المتدينين"[98].

العلاقة مع آشكروفت

رغم قيام جورج بوش بتعيين عدد كبير من المحافظين الجدد في مواقع مهمة في صناعة السياسية الخارجية، فإن من الإهمال عدم التعرض لتعيين جون آشكروفت في منصب المدعي العام الفيدرالي. وآشكروفت هو سيناتور سابق عن ولاية ميزوري وينتمي إلى طائفة مسيحية مشهورة بتعصبها لإسرائيل تعرف بطائفة "البينتوكوستل". وبحكم وجوده في هذا المنصب، يكون آشكروفت مسؤولا عن نظام العدالة الأمريكي الفدرالي برمته ومشرفاً على عمل مكتب التحقيقات الفيدرالي (إف بي آي) وهو الجهاز الذي يتولى فرض القانون على مستوى الولايات المتحدة.

وفي الوقت الذي أعربت فيه الجماعات والتكتلات السياسية الأمريكية الليبرالية المهتمة بالحقوق المدنية عن مخاوفها من وضع آشكروفت في هذا المنصب، كانت جماعات السود وحقوق المرأة والحقوق المدنية وغيرها ترتعش خوفاً من إمكاني وضع آشكروفت في منصب المدعي العام الفيدرالي، باستثناء جماعة واحدة – هي اللوبي المؤيد لإسرائيل – والتي أعربت عن دعمها مقدما لهذا التعيين.

وظهرت أول علامات الحب الإسرائيلي لآشكروفت عندما نقلت وسائل الإعلام أن آبي فوكسمان المدير العام لمنظمة مناهضة التشهير والمعروفة اختصاراً ADL وهي إحدى المنظمات القوية في اللوبي الإسرائيلي – أعلن أنه يتوقع أن يكون آشكروفت رجلاً "منصفاً". وفي تلك الأثناء، اطلع قراء مجلة نيو ريبيلك وهي مجلة تعبر عن رأي اللوبي الإسرائيلي، على سر هذه الحفاوة والتهليل لآشكروفت من مصدر رئيسي؛ فقد كتب تيفي تروي الذي شغل منصب مدير السياسة في مكتب آشكروفت لفترة طويلة، وهو يهودي أرثوذوكسي سبق أن استخدم علناً كلمة goyyim (غوييم) ؟ وهي مصطلح عنصري للتعبير عن غير اليهود – ويشغل الآن منصب ضابط اتصال حكومة بوش مع الجالية اليهودية، كتب مقالة يمتدح فيها آشكروفت في عدد 29 يناير/كانون ثاني 2001، قال فيها إن آشكروفت هو أكثر من متسامح؛ إنه محب للسامية، وتابع تروي مقاله:

"لقد ولد آشكروفت لأسرة غير يهودية في حي تسكنه غالبية يهودية. وكانت أمه تعمل) شغالة) لدى اليهود أيام السبت، تشعل الأفران وتطفئها بحسب الحاجة. حتى إن أباه اصطحب مع أسرته ميز وزاه [شعار ديني يهودي] عندما رحل من شيكاغو إلى سبرينغفيلد في ميزوري، حيث ثبته على مدخل منزله حتى وفاته عام 1995. إنني أقول إن آشكروفت

يعرف عن اليهودية أكثر من نصف الأعضاء اليهود في مجلس الشيوخ"[99].

وفيما نرى السيناتور اليهودي الليبرالي عن ولاية نيويورك تشارلز شومر وهو يحاول إرضاء الليبراليين في دائرته الانتخابية عن طريق معارضته العلنية لآشكروفت، فإن شومر ذاته يعلم مثله مثل بقية (المطلعين على الأمور من الداخل) علماً يقيناً بأن آشكروفت كان شريكاً له في تقديم مشاريع قوانين في الأعوام السابقة تهدف إلى تعزيز المصالح الإسرائيلية، وإلى جانب أمور أخرى، عمل كل من شومر وآشكروفت معا في المشاريع التالية:

- دعم إجراءات وقوانين على نمط الدول البوليسية فيما يسمى بالإجراءات "المضادة للإرهاب" — بدعم قوي من منظمات اللوبي الإسرائيلي — وقد نجحت الحركات الشعبية الوطنية في التآزر ضد إقرار تلك القوانين. وهذا طبعاً كان قبل هجمات الحادي عشر من سبتمبر بعدة سنوات.

- قادا جهوداً في الكونغرس بهدف نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس.

- دعما جهوداً لإلزام الولايات المتحدة بمعارضة أي إعلان عن قيام دولة فلسطينية.

وقد أثنى معهد العلاقات العامة لاتحاد طوائف اليهود الأرثوذكس في أمريكا على آشكروفت بحكم "تاريخه ونضاله الطويل في دعم دولة إسرائيل وأمنها وسلامتها"

التحالف بين اليهود والمسيحيين المتشددين

كان آشكروفت ومنذ تقلده مهام المدعي العام الفدرالي، صوتاً داعماً لسياسات المحافظين الجدد ذات النمط الليكودي التي انتهجتها الحكومة لحماية المصالح الإسرائيلية بكل تفان. في حين قام حلفاء آشكروفت من المحافظين الجدد في أجهزة السياسة الخارجية بتشكيل تحالف قوي مع كتلة اليمين المسيحي. وقد وصف المحللان السابقان في وكالة الاستخبارات الأمريكية (سي آي إيه) بيل وكاثلين كريستيسون هذه الظاهرة في كلمات لاذعة:

"لقد أضاف ذوو الولاء المزدوج في حكومة بوش دفعاً لنمو الأصولية المسيحية التي تحالفت مع إسرائيل وذلك للتحضير لما يسمى نهاية العالم. ويرى هؤلاء الأصوليون المجانين أن هيمنة إسرائيل على فلسطين بكاملها هي خطوة ضرورية لتحقيق الألفية الإنجيلية، ويعتبرون أن أي تنازل إسرائيلي عن أي أراض في فلسطين من المحرمات، وينظرون إلى أي حرب بين اليهود والعرب على أنها مقدمات إلهية نحو معركة هرمجدون.

ويتمتع هؤلاء المتطرفون من الجناح اليميني المسيحي بتأثير عميق على بوش وحكومته، وبانشغال الأصوليين اليهود في إدامة الهيمنة الإسرائيلية في فلسطين، وانهماك الأصوليين المسيحيين في العمل نحو الألفية، فإن كل فئة، بالمحصلة النهائية، تدعم وتؤازر سياسات الفئة الأخرى في الحكومة.

وهرمجدون التي ما انفك المسيحيون الصهاينة يروجون لها بفعالية إضافة إلى الدعم التكتيكي الذي يقدمه لهم أولياء إسرائيل داخل الحكومة الأمريكية تحمل في ثناياها بوادر مخيفة وفظيعة ولكنها حقيقية لحرب مسيحية – إسلامية مدمرة.

ويبدو أن المحافظين الجدد غير مبالين، كما أن تصريحات بوش شبه الرسمية ضد الذين يلومون الإسلام كله على أخطاء المتشددين الإسلاميين لا تفعل شيئا للتقليل من فرص وقوع تلك الاحتمالات.

لقد اندمج هذان الصنفان من اليهود والمسيحيين الأصوليين واتحدوا على هدف واحد هو تحقيق مشروع إمبريالي لإعادة هيكلة الشرق الأوسط، ووجد هذا المشروع دعماً إضافياً بالمصادفة السعيدة بوجود مخزون نفطي كبير في المنطقة ورئيس أمريكي ونائبه مرتبطين ارتباطاً عميقاً بالاستثمارات والمصالح النفطية.

وهذه العوامل كلها – الولاء المزدوج لشبكة صانعي السياسة المتحالفين مع إسرائيل إضافة إلى تأثير الجناح المتطرف للأصوليين المسيحيين إلى جانب النفط – أثرت بدرجات متقاربة في حسابات الحكومة بشأن الوضع الفلسطيني – الإسرائيلي والحرب على العراق.

إلا أن العامل الأكثر أهمية وخطورة في توجيه سياسة الولايات المتحدة يكمن في مجموعة الموالين لإسرائيل: فلا دعم الأصوليين المسيحيين لإسرائيل، ولا الحسابات النفطية يمكن أن يكون لهما ذلك الوزن داخل مجالس الحكومة بدون مساهمة هؤلاء الموالين لإسرائيل الذين يجيدون العزف على أنغام الأصوليين المتطرفين، وهم بدون شك يدركون أن خبزهم وخبز إسرائيل مغمس بالمصالح النفطية لأشخاص مثل بوش وتشيني.

ومن هنا يأتي ولاء المسؤولين في الحكومة الأمريكية لإسرائيل يصبغ ويؤثر في صناعة السياسة الأمريكية بأساليب خطيرة جداً(100).

تاريخ التحالف...

كشف بنجامين غينزبيرغ أحد المؤرخين اليهود الأمريكيين في دراسة له عنوانها: المعانقة القاتلة: اليهود والدولة، عن دور التحالف بين اليمين المسيحي والمحافظين الجدد، وقال موضحاً:

"لقد بدأت العلاقات الحميمة بين إسرائيل والأصوليين المسيحيين في التطور عقب وصول كتلة الليكود إلى السلطة في إسرائيل عام 1977، وقويت تلك العلاقة بعد فوز رونالد ريغان رونالد ريغان بالرئاسة عام 1980.

فبعد تقلد ريغان مقاليد الحكم تسلم برقية من القس جيري فالويل وغيره من قادة الأصوليين المسيحيين البارزين يحثونه على تقديم دعمه الكامل لإسرائيل، التي تمثل، بحسب قولهم، "من الناحية الدينية والأخلاقية والإستراتيجية "آمالنا في الأمن والسلام في الشرق الأوسط".

وقد قامت حكومة مناحيم بيغن بتقليد فالويل وسام زابوتنسكي مكافأة على خدمته لإسرائيل، كما قامت بتنظيم زيارات دورية له ولعدد من قادة اليمين المسيحي إلى إسرائيل كضيوف شرف. ويدعم فالويل بشدة ضم المناطق المحتلة إلى إسرائيل ونقل العاصمة الإسرائيلية إلى القدس. ويعلن فالويل "ليس هناك أدنى شك أن يهودا والسامرة يجب أن تكون جزءاً من إسرائيل" ويضيف أيضاً "إنني أؤمن أن مرتفعات الجولان يجب ضمها كجزء حيوي ومهم من دولة إسرائيل"[101].

ويقترح الكاتب مايكل ليند أن فالويل ربما يكون بالفعل "أكثر أعضاء لوبي حزب الليكود أهمية في الولايات المتحدة"[102] إضافة إلى ذلك يقول المؤلف اليهودي الأمريكي كين سيلفرستاين

ومايكل شيرر، لقد أحب بيغن فالويل لدرجة أنه قدم له طائرة خاصة هدية نيابة عن إسرائيل تقديراً لجهوده[103].

المحافظون الجدد وعلاقاتهم بالأصوليين

عملت حكومات الليكود المتعاقبة على تشييد علاقات متينة مع الإنجيليين الأمريكان منذ عهد مناحيم بيغن. ويذكر الكاتبان سيلفرستين وشيرر بهذا الصدد ما يلي:

"يقدم المسيحيون المحافظون لإسرائيل وتحديداً لحزب الليكود المتشدد برئاسة آرييل شارون – أهم دعم سياسي في الولايات المتحدة. وهم يعارضون أي تنازل من إسرائيل إلى الفلسطينيين ويضغطون على حكومة بوش من أجل غلق مكاتب الفلسطينيين في الولايات المتحدة. وهم أيضاً يتمتعون بعلاقات وثيقة مع زعماء الحزب الجمهوري في الكونغرس ومع مجموعة من الصقور في مناصب عليا في وزارة الدفاع (البنتاغون) – بقيادة وولفويتس نائب وزير الدفاع – والذين يطلق عليهم بعض المقربين في العاصمة واشنطن لقب "عصابة الكوشر"

وهم متفانون في دعم إسرائيل. ومن عجائب المصادفة أنهم يفعلون ذلك لاعتقادهم أن دعم إسرائيل سيؤدي في النهاية إلى انتصار المسيحية. فبحسب اعتقادهم أن الكتاب المقدس قد تنبأ بحدوث الصراع المستمر في الشرق الأوسط:

بعد أن يستعيد اليهود سيطرتهم على الأرض المقدسة، سوف يفنى غير المؤمنين _ بمن فيهم اليهود والمسلمون، في معركة هرمجدون، وسوف يعود عيسى بوصفه المسيح ليقود أتباعه إلى الجنة.

وبالفعل، لم يسبق لسياسة الولايات المتحدة أن كانت متطابقة إلى هذه الدرجة مع سياسة إسرائيل كما هي عليه الآن في ظل حكومة بوش، والفضل في ذلك يعود إلى جهود الإنجيليين المسيحيين على المستوى الشعبي وارتباطاتهم بالمستويات العليا لصنع القرار في حكومة جورج بوش.."[104].

ويكن المسيحيون الإنجيليون مشاعر همجية قاسية ضد العرب والمسلمين. فهم يعتقدون بأن "العرب والمسلمين يعودون في أصلهم إلى إسماعيل، الابن غير المرغوب لإبراهيم، وقد وعد الرب إسماعيل أن يغدق عليه الأراضي والأموال ولكنه لم يكن قنوعاً بما لديه. ومهما أغدق الرب على العرب من الثروات والخيرات فإنهم لن يعرفوا أبداً الأمن الروحي"[105]. هذه هي صورة المسلمين في نظر هؤلاء المتعصبين المسيحيين. (ويجب الإشارة إلى أن هذه النظرة لا تعكس نظرة المسيحي الأمريكي العادي، كما سنشاهد).

وفي إشارتهما إلى أحد الصقور في حكومة بوش وهو دوغلاس فايث الذي كان يعمل وينسق عن قرب مع اليمين المسيحي، ويشغل الآن منصب نائب بول وولفويتس نائب وزير الدفاع

الأمريكي – ينقل سيلفرستين وشيرر ما قاله فرانك غرافني أحد شركاء فايث في مركز سياسة الدفاع، "إنك تشاهد كيف تتأثر سياسة الحكومة الأمريكية إلى حد بعيد بالاعتقادات التي تجمع بين الدافعين من الخارج [والمقصود هنا الإنجيليون المسيحيون] والأشخاص الموجودين في الداخل [أي المحافظين الجدد من اليهود]"[106].

وفي معرض ملاحظته للقبول المتحمس من قبل الليكود الإسرائيلي للأصوليين المسيحيين، يعلق مايكل ليند قائلاً "إن الدعم المحموم الذي يقدمه الأصوليون البروتستانت...كان محل استثارة واستغلال على مدى ربع قرن من الزمان من قبل الساسة الإسرائيليين من الجناح اليميني وحلفائهم المحافظين الجدد"[107].

ومن العجيب أنه حتى الجماعات اليهودية الأمريكية الليبرالية التي تؤيد إسرائيل، والتي تدعو علناً إلى تسوية سلمية عن طريق التفاوض مع الفلسطينيين، تدرك الخطر القادم من هذا التحالف غير المقدس بين المسيحيين الإنجيليين والمحافظين الجدد اليهود.

فقد نقل عن الحاخام إري يوفاي رئيس اتحاد طوائف العبرانيين الأمريكيين، قوله بأن التحالف بين الإنجيليين والمحافظين الجدد يرى "أن أي تنازل عن الأراضي يشكل خطراً

يهدد إسرائيل، وهم بهذا يشدون عضد المتشددين في إسرائيل والولايات المتحدة"[108].

المتعصبون في الكونغرس

يوجد في الكونغرس الأمريكي عدد من المشرعين على ارتباط وثيق بالأصوليين المسيحيين وحلفائهم من صقور الحرب الصهاينة. ومن أبرز هؤلاء زعيم الغالبية في الحزب الجمهوري في مجلس النواب توم ديلي من ولاية تكساس والذي يتفق مع الصقور الإسرائيليين بأن الضفة الغربية ومرتفعات الجولان هي جزء من إسرائيل وليست أراضي محتلة"[109].

وفي مجلس الشيوخ، يتصدر السيناتور سام برونباك (جمهوري من ولاية كانزاس) قائمة أبرز المؤيدين لإسرائيل من الصقور المسيحيين. أما السيناتور الأكثر تطرفاً وتشدداً في تصريحاته ودعمه الليكوديين المتشددين سواء كانوا من اليهود أو من المسيحيين فهو السيناتور جيمس إنهوف ممثل ولاية أوكلاهوما من الحزب الجمهوري.

مع أن توم بروكو مقدم الأخبار في محطة إن بي سي وصف السيناتور إنهوف عشية انتخابات عام 2000 بأنه "خبير في السياسية

الخارجية"، إلا أن سجل خبرة إنهوف تبدو أكثر ارتباطاً بالتطرف الديني لتوجهات الأصوليين من المسيحيين الصهاينة.

فعلى سبيل المثال، وفي الرابع من مارس/آذار من عام 2002، قال إنهوف في خطاب له في مجلس الشيوخ بأن الرب قد سمح للإرهابيين أن يهاجموا الولايات المتحدة في الحادي عشر من سبتمبر 2001 من أجل أن يعاقب أمريكا على تشددها في تعاملها مع إسرائيل. وفي خطابه الذي دان فيه الرئيس بوش رفيقه في الحزب لأنه – بحسب رأيه – يمارس ضغطاً شديداً على إسرائيل، وصرح إنهوف بعبارات لا يكتنفها أي غموض قائلاً:

> **"إن أحد الأسباب – في اعتقادي – التي أدت إلى فتح باب السماء والسماح بالهجوم على الولايات المتحدة هو أن سياسة حكومتنا كان ديدنها الطلب من الإسرائيليين والضغط عليهم بعدم الثأر ضد الهجمات الإرهابية التي كانت توجه ضدهم"**[110].

وعلى الرغم من أن الإعلام الأمريكي قد هاجم في السابق الذين صرحوا بطريقة أو بأخرى في العالم الإسلامي بأن هجمات الحادي عشر من سبتمبر على الولايات المتحدة كانت بمشيئة الإله، إلا أننا لم نلحظ أي ذكر لتعليقات إنهوف الملتهبة في الإعلام الأمريكي.

ولم يكن إنهوف الوحيد من بين الأصوليين المسيحيين الأمريكيين ليصرح بمثل هذه التصريحات. ففي الحادي عشر من أكتوبر/ تشرين من عام 2002، تحدثت جويس ماير أمام المؤتمر الوطني للتجمع المسيحي قائلة بأن الشعب الأمريكي يستأهل هجمات الحادي عشر من سبتمبر لأنه فشل في الوقوف والثبات بحزم مع الرب في صف إسرائيل، وأعلنت أيضاً: "إننا إذا لم نطع الرب، فإن حماية الرب سترفع عنا"[111]. ومرة أخرى تجاهل الإعلام نقل هذا الجنون المؤيد لإسرائيل.

وسعى إنهوف إلى توضيح أن الشعب الفلسطيني لم يكن له في يوم من الأيام أي حق تاريخي في فلسطين، وأنهم بوجودهم في تلك الأرض لم يقدموا أي إنجاز يذكر للمنطقة.

فعلى سبيل المثال، وفي خطاب آخر أمام مجلس الشيوخ اقتبس إنهوف عبارات عن الفيلسوف الفرنسي فولتير الذي عاش في القرن الثامن عشر والتي وصف فيها فلسطين في ذلك الوقت بأنها "مكان مهمل كئيب". إلا أن إنهوف وبسبب تعصبه للمحتلين اليهود في فلسطين قد أغفل ما ذكره فولتير في مناسبة أخرى بأنه: "بينما نجد أن العرب يتميزون بالشجاعة والكرم والإنسانية، فإن اليهود يتميزون بالجبن والعهر والأثرة والبخل."

ويرى عضو مجلس الشيوخ من أوكلاهوما أن فلسطين كانت أرضاً مهجورة لم يرغب فيها أحد. "أين كانت هذه الأمة الفلسطينية؟" يتساءل إنهوف، "إنها لم تكن أبداً موجودة. لم تكن هناك. الفلسطينيون لم يكونوا هناك". إن أي شخص عادي ملم بالحد الأدنى من المعرفة بتاريخ فلسطين يدرك أن ادعاءات إنهوف ما هي إلا نتاج تصورات محمومة. والحقيقة المؤسفة أن كثيراً من أفراد الشعب الأمريكي يؤمنون بتلك الأفكار المثيرة والحقودة.

الإعلام الموالي للصهيونية يدعم طائفة الأصوليين

لقد ساعد الإعلام الأمريكي المحابي لإسرائيل منذ زمن بعيد) في دفع ودعم أفكار اليمين المسيحي وأتباعه المؤمنين بالمصير المحتوم لنهاية العالم والذين يتبنون قضايا المحافظين الجدد في الولايات المتحدة وحلفائهم في إسرائيل.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك أن مجلة تايم الأسبوعية، التي تصدرها الشركة الإعلامية الاحتكارية العملاقة تايم – ورنر، ظهرت مؤخراً كأبرز المروجين لفلسفة "الأيام الأخيرة ونهاية العالم" المنسوبة إلى المسيحيين الإنجيليين (الذين يبثون برامجهم الدينية الإنجيلية عبر قنوات التلفزة والكيبل والأقمار الصناعية) المتحالفين مع زمرة المحافظين الجدد الحاكمة داخل إدارة بوش.

وعلى صفحة الغلاف الرئيسي من عدد يوليو/ حزيران 2002، وبعنوان رئيسي منمق يقول" الكتاب المقدس وسفر الرؤيا – لماذا تتزايد أعداد الأمريكان الذين يقرؤون ويتحدثون عن نهاية العالم" وقدمت مجلة التايم ثلاث عشرة صفحة كاملة من الدعاية لمروجي "نهاية العالم" – وبالتحديد لليمين المسيحي المحافظ تم ليهي البطل غير المتوقع لمجلة تصف نفسها بأنها تعبر عن التوجهات الليبرالية.

ولماذا يقوم البلوتوقراطيون الأغنياء الذين يسيطرون على شركة أي أو أل – تايم ورنر ومنهم الملياردير إدغر بروفمان بارون صناعة الويسكي، ورئيس المؤتمر اليهودي العالمي – باستخدام منافذهم الإعلامية للترويج لصنف معين من الإيديولوجية المسيحية، وهو سؤال بدأ يطرحه الأمريكيون المسيحيون الذين لا يؤمنون بفلسفة النهاية المحتومة للعالم في هرمجدون.

وتعرض الصفحات الثلاث عشرة في المجلة التي تسيطر عليها عائلة بروفمان لثلاث عشرة مقالة توضيحية. ويبدو أنه قد تم بذل جهد كبير من أجل الترويج لتم ليهي:

في الفقرة الافتتاحية، أثنت المقالة الأولى على أحدث كتاب أصدره ليهي حول نهاية العالم وهو بعنوان "البقية الباقية" The Remnant ووصفته بأنه أشهر كتاب صدر في الصيف، وعرضت غلاف الكتاب بشكل بارز ومنمق. ونجد على رؤوس الصفحات

التي تتخلل المقالة مربعات مكبرة "للحقائق" تذكر أن 36٪ من الذين تم استطلاع آرائهم من الذين يؤيدون إسرائيل يقولون إنهم يفعلون ذلك لأنهم يؤمنون بالنبوءات التوراتية القائلة بأن اليهود يجب أن يسيطروا على أرض إسرائيل قبل مجيء المسيح" ومثل "42٪ يقولون إنهم يؤيدون إسرائيل لأن اليهود هم شعب الله المختار".

وقد ركزت أربع صفحات من المقالة على ليهي نفسه. مع تخصيص صفحتين منمقتين وبالألوان لصورة ليهي مأخوذة من الأسفل لكي يبدو كالبرج العالي مصحوبة بعنوان يقول "تعرف على الرسول". وأظهرت صورة أخرى ليهي متبسماً وهو يرتدي ملابس عادية إلى جانب زوجته ومعاونته بيفرلي، مصحوبة بتعليق يقول "زوجان قويان... تجمعهما حماسة إنجيلية"

وعلى جانب الصفحة التي احتوت مقال ليهي، عرضت التايم صوراً ملونة له بأوضاع مختلفة للترويج لسلسلة رواياته "المتروك" وقصص الأطفال التي ألفها والأقراص المضغوطة لمحاضراته التي تقول التايم إنها "تضم النسخة الصوتية لكتابات ليهي مصحوبة بالموسيقى"؛ هذا بالإضافة إلى صورة من محصلة فيلم ليهي "المتروك" Left Behind الذي يعتمد على الرواية التي تحمل ذات العنوان. وذكرت التايم قراءها لكي لا تفوتهم الفرصة بأن فيلم ليهي الجديد من المقرر أن يصدر في شهر نوفمبر.

وقليل من الناس يحظون بمثل هذا الاهتمام الإعلامي! ومن الواضح أن هذه الدعاية القيمة السابقة كانت ستكلف ليهي ملايين الدولارات للحصول عليها. ولكن هناك المزيد.

ففي المقالة الرئيسية في تلك السلسلة، بسط محرر التايم صورة ملونة كبيرة مصحوبة بملخص لسلسلة روايات ليهي "المتروك". بالإضافة إلى صورة ثانية لرواية ليهي الأحدث بعنوان "البقية الباقية" والتي تم الترويج لها في الفقرة الأولى من المقالة.

وتحت كل صورة من تلك الروايات والملخص الذي يصاحبها، أوردت التايم نصوص الإنجيل التي تستند إليها كل واحدة من تلك الروايات، إلى جانب عناوين بالخط العريض "7 ملايين نسخة تم بيعها حتى الآن" (أو الرقم ذي العلاقة بكل كتاب).

وطرحت مقالة أخرى السؤال المتعلق بوجهة نظر ليهي الحتمية لنهاية العالم (من منظور أسرة بروفمان): "هل وجهة النظر هذه مفيدة لإسرائيل؟" ويبدو أن الجواب "نعم".

ومع أن التايم ذكرت أن بعض علماء اللاهوت اليهود منزعجون من حقيقة أن ليهي وبقية الحتميين الذين يرون أن "نهاية العالم" هي الفترة التي يجب على اليهود أن يؤمنوا بأن عيسى هو المسيح المخلص، إلا أن التايم تركت الحكم النهائي بيد قادة اللوبي الإسرائيلي.

وعلى حد قول التايم: "عندما يتعرض الناس للهجوم والخطر، فإنهم يستعينون بكل صديق يجدونه، هذا ما قاله أبراهام فوكسمان، المدير العام لمنظمة آنتي دفيميشن ليغ" ونقلت التايم كلمات فوكسمان حرفياً: "إنني لا أعتقد أن من مسؤوليتنا أن نكشف عن قلوب ونفوس وميتافيزيقيا الناس لنعرف السبب الذي يدفعهم لدعم إسرائيل. فبعضهم يدعم إسرائيل بدافع المصالحة الوطنية، وبعضهم بدافع أخلاقي بحت، وبعضهم يدعم إسرائيل بدوافع العقيدة الدينية. ونحن لا نضع مقاييس أو شروطا لقبول الدعم."

إذن، اليمين المسيحي هو الساعد الأيمن لإسرائيل.

الإعلام الموالي للصهيونية يهاجم الفاتيكان

وفي الجهة المقابلة، لم تأل وسائل الإعلام الأمريكية جهداً في إدانة رجال الدين المسيحي وبعض الطوائف المسيحية التي تجرأت وعبرت عن بعض الشكوك حول حزب الحرب من المحافظين الجدد وأتباعه من اليمين المسيحي.

وعلى سبيل المثال، قام صن مايونغ موون زعيم نحلة كورية مسيحية وناشر صحيفة الواشنطن تايمز التي تتبنى نهج المحافظين الجدد، قام بتوجيه نيران صحيفته على الكنيسة الكاثوليكية

والبابا يوحنا بولص الثاني في الفاتيكان، الأمر الذي يؤكد بقوة التهم التي وجهتها صحيفة يؤيدها الفاتيكان من أن عداء الصحافة الأمريكية للكنيسة الكاثوليكية هو بسبب معارضة هذه الأخيرة للعدوان الأمريكي على العراق، ووابل المقالات والآراء التي أطلقتها صحيفة موون ضد الكنيسة هو بالتحديد يندرج تحت ذلك السبب.

في 22 يناير/كانون ثاني 2003، اشتكت الواشنطن تايمز من أن "التاريخ الحديث يقترح أن يأخذ المرء حيطته وحذره عندما يستمع لتحذيرات الكنيسة الكاثوليكية فيما يخص بالعمليات العسكرية الأمريكية ضد العراق"[112].

وأشارت الصحيفة بعد أن سجلت ملاحظتها بأن الفاتيكان وقادة الكاثوليك في الولايات المتحدة قد "ميزوا أنفسهم في الأشهر الأخيرة بوصفهم أبرز المعارضين للهجوم الأمريكي المحتمل على العراق، وأعادت الصحيفة إلى الأذهان الأحداث التي سبقت حرب الخليج الثانية عام 1991 وأن "البابا أصدر عدة تصريحات تشكك بالحكمة من وراء تلك الحرب."

إن قيام صحيفة من الصحف اليومية الدارجة بالمجازفة ونشر مثل تلك المقالات قد يبدو للمراقب بأنه يدخل في نطاق التعصب الديني وذلك بالنظر إلى أن الذين تجرأوا وقالوا بأن "التأثير

اليهودي" كان قوة دافعة رئيسية في تشجيع التدخل الأمريكي في العراق قد وجهت إليهم تهمة "تأجيج نار الحقد الديني". إلا أنه يبدو أن صحيفة موون ليس لديها مشكلة في مهاجمة الكنسية الكاثوليكية وقيادتها حين يتخذون موقفاً سياسياً يختلف عن موقف القس موون وعملاء إسرائيل الذين يحددون سياسة التحرير العليا في الواشنطن تايمز.

لذلك فإن الهجوم الذي شنه موون على الفاتيكان لم يكن مفاجئاً للذين اطلعوا على ما نشرته صحيفة سيفيلتا كاتوليكا في عدد يونيو/حزيران 2002، حيث وجهت تلك الصحيفة التي تحظى بدعم الفاتيكان ولها تأثير في الأوساط الكاثوليكية هجمة معاكسة على الصحافة الأمريكية متهمة هذه الأخيرة بهوسها في نقل فضائح الاعتداءات الجنسية للكنسية الكاثوليكية. وادعت صحيفة سيفيلتا كاتوليكا أن هذا الهوس نابع – في جزء منه على الأقل – بسبب رفض الكنسية الكاثوليكية دعم الحرب التي روّج لها الإعلام عام 1991 ضد صدام حسين، وأن المتحكمين في الإعلام الأمريكي يحملون في نفوسهم ضغينة على الكنيسة.

لذلك، وكما يشير سجل الأحداث، فإن اهتمام الإعلام المفاجئ والمكثف بمشكلات الكنيسة قد تفجر بشكل أكبر في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول. ومن اللافت

للنظر ملاحظة أن صحيفة سيفيلتا كاتوليكا قد استشهدت هي الأخرى بالتطورات التي أعقبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر في تحليلها للهجوم الإعلامي على الكنيسة الكاثوليكية.

فقد اقترحت الصحيفة أن مناشدة الكنيسة الكاثوليكية بعدم القيام "بأعمال انتقامية" ضد العالمين العربي والإسلامي قد أزعجت وسائل الإعلام التي كانت منهمكة بشدة في الترويج لأجندة معادية للعرب والمسلمين مستشهدة بما يسمى "خبراء" الإرهاب والشرق الأوسط والذين هم في الغالب عملاء للسياسات الإسرائيلية ويرتبطون بأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية.

والآن تطلع علينا الواشنطن تايمز وكأنها تؤكد الاتهامات التي ذكرتها الصحيفة المدعومة من الفاتيكان.

ليبرمان للرئاسة؟

كما امتدحت صحيفة واشنطن تايمز في افتتاحية عدد 13 أغسطس/آب 2001 بعنوان "ديمقراطي على نهج سكوب جاكسون" دور ليبرمان القيادي في الجهود الحالية التي تدفع باتجاه احتلال أمريكي للعراق. وتابعت افتتاحية التايمز تقول:

عندما يأتي الوقت لاستيعاب أهم قضايا السياسية الخارجية في الوقت الحاضر – وبالتحديد، الحاجة لتوضيح

صحة قرار الرئيس بوش في المضي قدماً في خطته للإطاحة بالرئيس العراقي صدام حسين للرأي العام الأمريكي – فإن السيد ليبرمان يقدم نمط القيادة المطلوبة في مثل هذا الموقف"(113).

وادعت التايمز أنه "ليس من المبالغة القول بأن موقف السيد ليبرمان من قضايا السياسة الخارجية يشابه إلى حد بعيد موقف السيناتور الراحل هنري "سكوب" جاكسون من واشنطن خلال الحرب الباردة"(114).

وربما لم تأت هذه الموازنة بين ليبرمان وجاكسون من فراغ وذلك بالنظر إلى حقيقة أن "العقل" الحقيقي الذي كان خلف مواقف جاكسون المتشددة والمؤيدة لإسرائيل لم يكن سوى ريتشارد بيرل، أحد المنظرين البارزين ضمن شبكة صقور "المحافظين الجدد" الذين نسقوا لجهود الحرب ضد العراق. وقد كان بيرل يعمل مستشاراً رفيعاً لجاكسون من خلف الكواليس، حيث عمل على توجيه السيناتور "الليبرالي" باتجاه مواقف متشددة ضد الاتحاد السوفييتي بحجة أن الكرملين في ذلك الوقت كان متهماً باتخاذ مواقف"معادية للصهيونية".

ويعيد تأييد التايمز لليبرمان إلى الأذهان الإطراء غير المعهود الذي كاله القس جيري فالويل – وهو الآخر من المتعصبين

لإسرائيل في الحزب الجمهوري – لليبرمان خلال حملة الانتخابات الرئاسية عام 2000 عندما كان ليبرمان مرشحاً لمنصب نائب الرئيس في حملة آل غور للرئاسة عن الحزب الديمقراطي.

ورغم كونه شخصية غريبة، فإن موون ناشر صحيفة التايمز كان منذ وقت بعيد مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالمحافظين الجدد المتشددين في اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة. وبالنتيجة فإن قيام صحيفة موون بالترويج لدعوة ليبرمان إلى شن حرب على العراق ودعمها لحملته الانتخابية وقيامها في الوقت ذاته بالتهجم على الفاتيكان بسبب معارضته للحرب ليس بالأمر المفاجئ.

النقاد المسيحيون للتعصب الأعمى للصهيونية

وعلى الجانب الإيجابي، ينبغي ملاحظة أن هناك ردة فعل في أمريكا ضد مروجي "نهاية العالم" المؤيدين لإسرائيل والمتحالفين مع "المحافظين الجدد". ففي الوقت الذي نجد فيه دائماً جماعات أصولية مسيحية تعارض علناً وتشكك بذات المفاهيم "الحتمية لنهاية العالم"، وتختلف مع مؤيدي إسرائيل حول فكرة أن دولة إسرائيل الحديثة هي نفسها إسرائيل المذكورة في الكتاب المقدس – وهي أطروحة مرفوضة في نظرهم – هذه الجماعات بقيت تعمل بهدوء خشية أن تصيبها نقمة الإعلام الأمريكي التي سرعان ما تدمغ منتقدي إسرائيل بتهمة "معاداة السامية".

إلا أن هناك قساً إنجيلياً معروفاً في واشنطن العاصمة اسمه ديل كرولي وله برنامج إذاعي يبث ستة أيام في الأسبوع على موجة WFAX-AM 1220 يتصدى فيه للوبي الإسرائيلي وعملائه من المحافظين الجدد وأعيان اليمين المسيحي المتحالفين معهم.

وقد كتب كرولي مؤخرا "رسالة مفتوحة إلى جيري فالويل" نشرتها الصحيفة الأسبوعية أمريكان فري برس، ودانت تلك الرسالة بشدة جيري فالويل ورفاقه في اليمين المسيحي على دعمهم للعدوان الإسرائيلي ضد الفلسطينيين المسلمين منهم والمسيحيين.

وكثيراً ما واجه كرولي الذي يتبع النهج المسيحي الأصولي التقليدي غضب منظمة الأنتي دفيميشن ليغ ADL بسبب مجاهرته بآرائه، وبقي مع ذلك غير هائب.

ويوجد ناشط مسيحي آخر في واشنطن العاصمة هو ستانلي ريتنهاوس، وهو يشكل تحدياً لفالويل والعناصر المؤيدة للصهيونية. وقد نظم ريتنهاوس مظاهرة احتجاجية أمام كنيسة فالويل على أمل أن يقنع أتباع فالويل بأخطار التحالف الأعمى مع الصهيونية والإمبريالية الإسرائيلية وما ستجره على أمريكا والتقاليد المسيحية.

ويقدم الكتاب الذي ألفه ريتنهاوس وعنوانه "بسبب الخوف من اليهود" تحليلاً جيداً لهذه المسألة بشكل واف.

ومن أبرز منتقدي التحالف الإنجيلي الصهيوني على المستوى الوطني القس ثيودور وينستون "تد" بايك من ولاية أوريغون. وقد أخرج تد بايك بالتعاون مع زوجته ألين عدة أشرطة فيديو من بينها إسرائيل الأخرى، ولماذا ينزف الشرق الأوسط والصهيونية والمسيحية: التحالف غير المقدس، ويناقش كل واحد من هذه الأشرطة عدة جوانب من أزمة الشرق الأوسط، وأنصح بمشاهدتها.

إضافة إلى ذلك هناك عدد متزايد من الطوائف المسيحية الأخرى – تعمل باستقلالية عن الكنائس المنظمة – والتي ترفض فكرة "النهاية المحتومة للعالم" وتنتقد القادة المتصدرين في الكنيسة الإنجيلية من أمثال فالويل وبات روبرتسون وتم ليهي وغيرهم. ويطلق على هذه المجموعة "البيوترست" وتجادل هذه المجموعة (بناءً على حقائق تاريخية راسخة) أن العقيدة الحتمية حول نهاية العالم في معركة هرمجدون التي ظهرت في العصر الحديث هي عقيدة يصعب اعتبارها من التعاليم المسيحية التقليدية؛ فهي مؤسسة على نظرية اشتهرت في القرن العشرين على يد سايرس سكوفيلد. ويدعي البيوترست أن نظرية سكوفيلد حول حتمية نهاية العالم قد روج لها وقدم لها الدعم المالي أسرة الروثتشايلد في أوروبا بهدف دعم وتعزيز الحركة الصهيونية ولزرع بذرة الدفع نحو نظام عالمي إمبريالي يشابه إلى حد بعيد السياسات

التي يسعى إلى تنفيذها عناصر "المحافظين الجدد" داخل حكومة بوش بالتحالف مع اليمين المسيحي في هذا الوقت.

ومن بين أبرز رموز البيوترست شخصيات مثل دون كي برستون وجون أندرسون اللذين أنتجا قطاعاً عريضاً من المؤلفات وأشرطة الفيديو تدحض أفكار ودعاية مروجي عقيدة "نهاية العالم". ومنهم أيضاً عالم اللاهوت المسيحي روبرت بودي، وهو سوري المولد ويحمل الآن الجنسية الأمريكية، ولا يكتفي روبرت بودي بالتصدي لمروجي عقيدة "نهاية العالم" بل ينتقد النزعة المحابية لإسرائيل والمعادية للعرب في الحكومة الأمريكية.

وقد نجحت جهود البيوترست في الوصول إلى المسيحيين في أمريكا لدرجة دفعت قادة حركة "نهاية العالم" من أمثال تم ليهي إلى العمل بنشاط لمواجهة هذه الرسالة ذات التأثير المتزايد.

إذن، فبينما يقبع اليمين المسيحي وحلفاؤهم من المحافظين الجدد الليكوديين في موقع السلطة، هناك جموح متزايد في صفوف المسيحيين المخلصين الذين لا يؤيدون الحرب والدمار الموجه ضد العالمين العربي والإسلامي نيابة عن الصهيونية الإمبريالية تحت أي قناع قد تختفي تحته.

صناعة الإرهاب الأمريكية – الإسرائيلية

لا يكتفي الإعلام الأمريكي بمؤازرة التحالف المسيحي اليهودي الذي يدعم شبكة المحافظين الجدد وحسب، بل إن هذا الإعلام يسخر طاقاته لجهود المحافظين الجدد الرامية إلى تأليب أمريكا ضد العالمين العربي والإسلامي.

فعلى مر السنين وقبل هجمات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول الإرهابية بوقت طويل، دأبت وسائل الإعلام الأمريكية على بث الخوف والرعب من الإرهاب. والرسالة واضحة: العرب إرهابيون ومتعاطفون مع الإرهابيين، أو في أحسن الأحوال "لديهم القابلية والجاهزية ليكونوا إرهابيين".

وفي الواقع، وكما تشير الممارسة اليومية، فإن وسائل الإعلام الأمريكية عندما تلجأ إلى "الخبراء" لتقديم مزيد من المعلومات حول الإرهاب، فإنها في الغالب تتوجه إلى مصادر مقربة وعلى صلة وثيقة بإسرائيل واللوبي الإسرائيلي.

وقد نشرت بانثيون بوكس كتاباً عام 1989 لم يلق اهتماماً يذكر رغم أنه قدم نظرة ثاقبة وكاشفة حول تطور ونمو ما أطلق عليه المؤلفان مصطلح "صناعة الإرهاب".

في هذا الكتاب المعنون "صناعة الإرهاب: الخبراء والمؤسسات التي تشكل نظرتنا حول الإرهاب" قدم الأستاذ إدوارد هيرمان من جامعة بنسلفينيا وشريكه في التأليف غاري أوسيليفيان، قدما مراجعة شاملة ودراسة أكاديمية حول الطريقة التي عملت فيها المصالح الخاصة (المحلية والأجنبية) بالتنسيق مع المؤسسات والهيئات الحكومية في الولايات المتحدة وعلى المستوى العالمي من أجل التأثير على نظرة العالم وانطباعاته عن هذه الظاهرة الحديثة "الإرهاب".

وعلى الرغم من أن المؤلفين لم يركزا على دور إسرائيل واللوبي الإسرائيلي في أمريكا بالتحديد في "صناعة الإرهاب" إلا أنه من الواضح ومن خلال الحقائق الموثقة فيه أن إسرائيل تشكل بالفعل لاعباً رئيسياً منذ البداية.

روابط كريستول مرة أخرى

وبحسب ما ذكره المؤلفان فإن: "كثيراً من المعاهد ومراكز الأبحاث التي تعتبر عناصر مهمة في صناعة الإرهاب قد بدأت أو تسارعت في النمو كجزء من حملة مؤسسية كاسحة في السبعينيات"[115].

ويشير المؤلفان إلى أن أحد المنظمين الرئيسيين وجامعي التبرعات في هذه الحملة المؤسسية – شخصية قوية في العلاقات العامة – هو إيرفنغ كريستول الذي "نجح في تحريك وجلب قطاع عريض من الأشخاص الأثرياء والشركات والمؤسسات إلى جهود التبرعات" وكريستول هو طبعاً والد وليام كريستول الناشر والمروج الرئيسي لمعتقدات شبكة "المحافظين الجدد."

وقد كان كريستول الكبير الذي استخدم نفوذه في مختلف الطبقات النخبوية، المحرك الرئيسي خلف ارتفاع عدد المعاهد التي سخرت مواردها لدراسة "الإرهاب" على الأقل وفق التعريف الذي وضعه كريستول ورفاقه.

إذن، "الحرب على الإرهاب" كانت جزءاً من خطة ونظرة "المحافظين الجدد" بعيدة المدى قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر بوقت طويل.

الروابط الإسرائيلية مرة أخرى

أشار كل من هيرمان وأوسيليفان في كتاب "صناعة الإرهاب" إلى الروابط الإسرائيلية بعدد من المعاهد البارزة المعروفة بنشاطها الفعال في تحليل وشرح ودراسة ظاهرة "الإرهاب" ومنها:

• هيريتج فاونديشن (مؤسسة التراث) التابعة للمحافظين الجدد. ساعدت ومولت وشاركت في نشاطات مشتركة مع معاهد في بريطانيا وإسرائيل.

• المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي (جنسا). أسسها وأشرف على أعمالها أشخاص على علاقة وثيقة باللوبي الإسرائيلي، ويمكن اعتبارها بحكم الوكيل عن الحكومة الإسرائيلية."

• مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية التابع لجامعة جورج تاون. ويضم بعض "الخبراء" المشهورين في مجال الإرهاب والذين تستشهد وسائل الإعلام بأقوالهم بكثرة من أمثال: مايكل لدين، وولتر لاكوار، وإدوارد لتوك الذي "له علاقة وثيقة الصلة بإسرائيل والموساد"

• معهد دراسات الإرهاب الدولي التابع لستيت يونيفرستي أوف نيويورك. وله علاقات دولية قوية مع الشرطة العسكرية وأجهزة الاستخبارات بالإضافة إلى الولايات المتحدة وأوروبا واليمين الإسرائيلي وهو ما يعكس الارتباطات الشخصية لمؤسس المعهد يوناه ألكسندر."

الإعلام يعزز صناعة الإرهاب ويروج لها

مع وجود تلك المؤسسات والمعاهد وغيرها التي تغذي "الحقائق" حول الإرهاب، يأتي دور وسائل الإعلام ليكمل المهمة؛ وبحسب رأي هيرمان وأوسيليفان فإن وسائل الإعلام تتلقى الإرهاب المصنع وتنقله على علاته دون معاينة أو فحص أو استفسار حول صحة تلك المعلومات (أو بالأحرى المعلومات المضللة):

"لقد أنتجت صناعة الإرهاب "طرازاً" غريباً من الإرهاب، واختارت "حقائق" مناسبة لتدعيمه، وتقوم وسائل الإعلام بنشر تلك المنتجات إلى العامة. وعملية النقل تتم بكل سلاسة ويسر، حيث تقوم وسائل الإعلام بنقل الرسائل المصنعة والجاهزة دون أن تبذل أي جهد أو عناء في تشكيلها، فهي ليست إلا واسطة نقل.

"إن وسائل الإعلام الأمريكية لم توجه أي أسئلة حول أطروحات أجندة صناعة الإرهاب، وفشلت بشكل عام في تصفية أو تصحيح الأخطاء الحرفية".

ويقدم هيرمان وأوسيلفيان مثالاً على ذلك بسلسة من أربع حلقات نشرتها النيويورك تايمز في الثاني والثالث والرابع والخامس من ديسمبر/كانون أول من عام 1984، حول "مجابهة الإرهاب". وأشار المؤلفان إلى أن التايمز اعتمدت على المسؤولين الإسرائيليين

والخبراء في أكثر من 20٪ من المعلومات المقدمة. أما بقية من تمت مقابلتهم فكانوا في الغالب مسؤولين حكوميين أمريكيين و"خبراء" آخرين. ولكن المؤلفين لم يذكرا ما إذا كان الخبراء والمسؤولون الحكوميون الأمريكيون الذين اعتمدت عليهم التايمز على علاقة بإسرائيل واللوبي الإسرائيلي أم لا.

الإرهاب المدعوم من الدولة لتحقيق أهداف سياسية

أشار المؤلفان تأسيساً على النتائج التي توصلا إليها في البحث إلى أن هناك أسباباً وجيهة للاعتقاد بأن بعض العمليات "الإرهابية" هي في الحقيقة أعمال استفزازية متعمدة ترتكب من أجل تدعيم أجندة الذين يحاربون الإرهاب. يقول المؤلفان:

"إن عملاء الدولة إضافة إلى أفراد الجماعات الخاصة لا يكتفون بتوريط إرهابيين من داخل المنظمات الإرهابية وحسب، بل قد يحثونهم ويحرضونهم على ارتكاب أعمال إرهابية من أجل تسويغ قمع تلك الجماعات. وقد يقوم هؤلاء العملاء أنفسهم بارتكاب وتدبير الأعمال الإرهابية ومن ثم نسبتها إلى جماعة معينة بهدف التضليل الإعلامي. إننا نعتقد أن هذه الأعمال على قدر كبير من الأهمية رغم أنها لا تلقى ما تستحقه من اهتمام.

إذ إنه ليس من الصعب على عملاء أجهزة الاستخبارات أن يقوموا بتفجير قنبلة أو قتل مجموعة من الأفراد أو تشجيع آخرين أو استخدامهم للقيام بتلك الأعمال، ثم ليتبعوها مباشرة بمكالمة هاتفيه بادعاء المسؤولية نيابة عن شبكة حمراء أو منظمة فلسطينية. وهذه طريقة سهلة لخلق المسوغات الأخلاقية لقمع الجماعات المستهدفة. وهناك أدلة كثيرة تشهد بأن الدول ارتكبت مثل هذه الأفعال.

فقد قامت الحكومة الإسرائيلية بعدد من التفجيرات الإرهابية ضد منشآت أمريكية في القاهرة بين عامي 1955 – 1956 على أمل أن تؤدي تلك التفجيرات إلى تدهور العلاقات بين مصر والولايات المتحدة. وفي الولايات المتحدة، قام مكتب التحقيقات الفيدرالي (إف بي آي) منذ زمن طويل بارتكاب مثل هذه الأعمال الاستفزازية عن طريق عملائه، وذلك بالحض والتحريض على أعمال العنف في الجماعات المعارضة المخترقة، والقيام بأعمال عنف، ثم نسبتها إلى الأفراد والمنظمات المعارضة المستهدفة."

إن هناك الكثير في صناعة الإرهاب أكثر مما يمكن للعين أن تشاهده. وكما أشار هيرمان وأوسيليفيان، فإن على الشعب الأمريكي لهذا السبب أن يحذر من التقارير الإعلامية حول الإرهاب، وأن يتفحص بدقة الأشخاص الذين يقفون خلف تلك التقارير.

ستيفن إمرسون – اختصاصي التضليل الإعلامي

هناك خبير متخصص بالإرهاب تشير إليه وسائل الإعلام باستمرار يستحق بعض الدراسة. إنه ستيفن إمرسون – وهو كما يقال يهودي، رغم أنه لا يعترف بذلك، على الأقل في العلن – وتكثر وسائل الإعلام من استضافته للتعليق على الأخبار أو لإبداء الرأي حول الإرهاب.

أطلق عليه النقاد لقب "مبغض للعرب والمسلمين بتعصب"، وهو كما هو واضح يستحق هذا اللقب. وقد لخص لنا الصحافي جون سوغ نشاطات إمرسون، مشيراً إلى علاقاته الإسرائيلية:

"إن نظرة قريبة ومتأملة لمهنة إمرسون تشير إلى أن أولوياته واهتماماته ليست الأخبار بقدر ما هي الهجوم المستمر على العرب والمسلمين..... وقد نال إمرسون شهرته في مطلع التسعينيات. ألف كتباً، وكتب مقالات، وأخرج فلماً وثائقياً، ونال عدة جوائز، وكثر الاستشهاد بآرائه. فأولاه الإعلام والساسة والباحثون أذناً صاغية...

وبتنامي شهرة إمرسون، تنامت معها الانتقادات. فكتابه "سقوط بان آم 103" لقي توبيخاً ونقداً لاذعاً من مجلة كولومبيا للصحافة التي لاحظت في يوليو 1990 أن عدة صفحات منه "تظهر تشابهاً حاداً في الموضوع والأسلوب" بتقرير نشر في بوست ستاندرد سيركوس. وقد ذكر عدد

من مراسلي صحيفة سيركوس لمؤلف هذا الكتاب أنهم واجهوا إمرسون في مؤتمر حول صحافة الاستقصاء وأجبروا إمرسون على تقديم اعتذار.

وفي مراجعة لكتابه "الإرهاب" في صحيفة النيويورك تايمز (1991/5/19) ذكرت الصحيفة أن الكتاب "مشوه بكثرة الأخطاء الموضوعية....والنزعة البارزة المعادية للعرب والفلسطينيين" أما فيلمه الوثائقي بعنوان الجهاد في أمريكا الذي بثته محطة بي بي أس (1994/11) فقد عيب عليه التعصب الديني وتشويه الحقائق – واتهم الصحافي المخضرم روبرت فريدمان في مقالة نشرها في صحيفة ذي نيشن (95/5/15) بـ"خلق هستيريا عارمة ضد العرب الأمريكيين"....وعندما سئل الكاتب الاستقصائي سيمون هيرش عن رأي زملائه الصحفيين بإمرسون فقال "إنه سم قاتل"...

وقد حصل إمرسون على تقدير متميز في بيتسبيرغ تريبيون ريفيو في نوفمبر تشرين الثاني من عام 1996 والتي يملكها ريتشارد ميلون سكيف وهو من اليمين المحافظ ومنتقدي كلينتون وساهم أيضاً في تمويل فيلم إمرسون الجهاد في أمريكا.

وبالنظر إلى دعم سيكف لأمريسون، فإنه ليس من المستغرب أن يعلن إمرسون أن المتعاطفين مع الإرهاب

الإسلامي يلقون الحفاوة والترحيب في البيت الأبيض. وكان إمرسون قد كتب مقالة قبل ذلك بثلاثة أشهر في الوول ستريت جورنال (1996/8/5) وهي أيضاً من المنافذ التي تنشر مقالاته.

ومع تنامي مسؤولياته، عمد إمرسون إلى تفويض بعض مهماته إلى أشخاص أقل شهرة منه من أمثال أوليفر "بك" ريفيل وستيف بوميراتنز الذي يدير شركة خدمات أمنية. وظهر لهذين الشخصين مقالة تعكس أفكار إمرسون نشرتها الواشنطن بوست في 31 أكتوبر يحذران فيها من المؤامرات والمنظمات "الواجهة"؟.

وأثنى ريفل على عضو آخر من المجموعة هو ييغال كارمون وهو ضابط استخبارات إسرائيلي ينتمي إلى الجناح اليميني من الليكود ويؤيد استخدام التعذيب (واشنطن بوست 1995/5/4) وكارمون هذا حل ضيفاً على إمرسون حيث أقام في شقته في واشنطن خلال رحلة له بهدف الضغط على الكونغرس ضد مبادرات سلام الشرق الأوسط (ذي نيشن 1995/5/15).

وعلى حد قول بنيس كانيسترارو مستشار محطة الإي بي سي وضابط متقاعد من وكالة الاستخبارات المركزية متخصص في الاستخبارات المضادة للإرهاب، فإنه يقول عن حلفاء إمرسون: بوميرانتز وكارمون "إنهم يتلقون دعمهم

المالي من إسرائيل" كيف أعرف ذلك؟ "لأنهم حاولوا تجنيدي في صفوفهم". وقد نفى ريفل ما ذكره كاينسترواررو إلا أنه رفض التعليق والحديث عن تمويل المجموعة.

كما أن تمويل إمرسون يشوبه الغموض كذلك، فقد تلقى دعماً مالياً من سكيف. ويرى بعض نقاد إمرسون بأن إسرائيل تقدم له دعماً مالياً. وقد أشارت الجير وسالم بوست 1994/9/17) إلى أن إمرسون "على علاقة مقربة من الاستخبارات الإسرائيلية".

ويقول الصحافي الاستقصائي روبرت باري عن إمرسون "إنه يحمل الكرة نيابة عن الليكود" قاصداً الحزب اليميني الحاكم في إسرائيل.

أما فيكتور أوستروفسكي، وهو ضابط الاستخبارات الإسرائيلي الذي انشق عن جهاز الموساد ولجأ إلى كندا وألف عدة كتب حول عمليات الموساد، فيطلق على إمرسون لقب "البوق" لأنه يردد ادعاءات الموساد"(116).

جد التعصب ضد العرب

لم يكن إمرسون الشخص الوحيد المحبوب في وسائل الإعلام الذي يقدم على أنه "خبير" في الإرهاب والعالم العربي. فالشخصية

الأكثر شهرة من إمرسون والأوسع احتراماً في المفهوم التقليدي، هو برنارد لويس الأستاذ المسن في جامعة برنستون.

وعلى الرغم من أن لويس يهودي، وعلى الرغم من أن ابنه من الناشطين في منظمة الإيباك (اللوبي الإسرائيلي في واشنطن)، إلا أن هاتين المعلومتين ندر، إن لم نقل لم يسبق، أن تعرضت لهما وسائل الإعلام التي تتلقاه بالحفاوة والتبجيل وتروج لمؤلفاته ومحاضراته، بما في ذلك، أحدث كتاب له بعنوان: ما الخطأ الذي جدث، What Went Wrong وهو عبارة عن هجوم شرس على تاريخ العرب والشعوب المسلمة. والحقيقة هي أن لويس يعتبر الصوت المسموع لحركة المحافظين الجدد بصرف النظر عن مدى تحيزه.

وفي تحليله لكتابات لويس يلخص الكاتب أنس شوفاني ما سماه "عالم برنارد لويس الملتوي" ونظرة لويس العالمية في الحقد على العرب والمسلمين:

"إن لويس هو الذي وضع المصطلح البغيض "صراع الحضارات"؟، في مقالة متعالية نشرتها مجلة أتلانتك منثلي في عدد سبتمبر 1990، بعنوان "جذور غيظ المسلمين" وظهرت هذه المقالة في أعقاب سقوط جدار برلين تمهيداً لتحديد العدو الجديد.

ورفض لويس في تلك المقالة كل التفسيرات الواضحة – فشل السياسة الأمريكية على سبيل المثال – وراح يبحث عن "شيء أعمق" يجعل من كل مشكلة غير قابلة للحل"، دون أن يحدد هذا الشيء الأعمق. فهو يطرح جانباً الإمبريالية كسبب من أسباب "الغيظ" و"الإذلال"، موحياً أن المشاعر المعادية لأمريكا لها مضامين دينية إسلامية.

وفي كتبه التالية: العرب في التاريخ (1950)، ظهور تركيا الحديثة (1961) الساميون ومعادو الساميين (1986)، يهود الإسلام (1984) والإسلام والغرب (1993) قام لويس بتصنيف ما يرى انه الأمراض غير القابلة للشفاء للعالم الإسلامي في حالة الإذلال المعلقة التي يعاني منها[117].

ويشير شوفاني إلى أن من المفارقات العجيبة وبرغم السمعة الأكاديمية الواسعة للويس، إلا أن أطروحاته ونظرياته مبنية على قواعد رقيقة ومحدودة من البداية:

"بدأ لويس تحليله للخطأ الذي حدث من بداية الهزائم العسكرية العثمانية في القرن السادس عشر وما تلاه. وترتكز تفسيرات لويس للإسلام بكثرة على الدولة العثمانية، متجاهلاً جنوب آسيا، وجنوب شرق آسيا ووسط آسيا وإيران وشمال إفريقية، ومع ذلك فهو يستقرى من نظرته تلك نتائج يعممها على العالم الإسلامي كله وفي كل مراحله التاريخية"[118].

ويستنتج شوفاني بعد أن يسجل ملاحظته على نزعة لويس الذاتية في نبذ التاريخ والإنجازات الرائعة للعالمين العربي والإسلامي، فيضيف قائلاً:

"لقد كان هذا الكتاب هو النموذج الذي هيأ فيه الرأي العام الأمريكي لهجوم كاسح ونهائي ضد أولئك الذين كانوا على درجة من السفاهة جعلتهم يظنون أن هناك بديلاً عن النموذج الأمريكي.

إن المحاولات السابقة كلها التي حاولت أن تمدن العالم الإسلامي كانت نتيجتها الوحيدة تقوية وتكريس دولة القهر؛ والنتيجة هي أنه يجب علينا أن نسلبهم قوتهم ونتركهم في حالة فقر مدقع"[119].

وعلى الرغم من تعصب وتحيز لويس الواضحين، بل ربما بسبب هذا التعصب والتحيز، أصبح لويس شخصية مهمة تعمل خلف الكواليس على دعم سياسات حكومة بوش التي أفضت إلى شن الحرب على العراق. وفي 5 إبريل من عام 2003، وصفت صحيفة نيويورك تايمز كتاب لويس المثير ما الخطأ الذي حدث، بأنه كان من المؤثرات المهمة في تفكير حكومة بوش، وبخاصة في تأثيره على نائب الرئيس دك تشيني.

برنارد لويس والحلم الإمبريالي

وكشفت التايمز كذلك أنه حتى قبل هجمات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول كان لويس مشاركاً مهماً في دراسة لم يعلن عن تفصيلاتها، تمت بمبادرة من وزير الدفاع دونالد رمسفيلد ونائبه بول وولفويتس تهدف إلى دراسة الإمبراطوريات القديمة من أجل "فهم كيف استطاعت المحافظة على تفوقها وهيمنتها"[120].

ويلاحظ أن التايمز لم تكلف نفسها عناء التوضيح لقرائها ما الذي يجعل المسؤولين في الحكومة _ التي تواجه كماً كبيراً من المشكلات الداخلية بداية من الأمية والبطالة في سوق العمل وتردي البنية التحتية إلى تفشي الفقر والأمراض _ مهتمين بدراسة تاريخ المكائد اليومية للإمبراطوريات القديمة.

ومع ذلك فإن دعوة لويس إلى تقديم النصح والمشورة في هذا الموضوع يوضح لنا الوجهة التي يقصدها المحافظون الجدد من هذه الدراسة وذلك قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي جاءت في توقيت مناسب جداً لتعطيهم الذريعة لتنفيذ خطتهم.

وحتى لا يكون هناك شك من أن وجهة نظر لويس كانت هي النظرة الوحيدة الموضوعة على الطاولة في حكومة بوش، لنستمع إلى كبير منظري المحافظين الجدد في حكومة بوش بول

وولفويتس وهو يطري لويس عبر إحدى الفضائيات في إسرائيل وهو يقول:

"لقد وضع برينارد لويس بذكاء بارع قضايا الشرق الأوسط في إطارها الأكبر، بأفكار هي حقاً وكما عودنا دائماً موضوعية وأصيلة ومستقلة. لقد علمنا برنارد كيف نفهم تاريخ الشرق الأوسط المعقد والمهم لكي نهتدي به في توجهنا نحو بناء عالم أفضل لأجيال قادمة"[121].

وتقدم لنا الصحافية المخضرمة لاميس أندوني التي غطت الشرق الأوسط لأكثر من عشرين عاماً في عدد من المطبوعات، تقويماً لسجل لويس بوصفه مناصراً للإمبريالية الجديدة. وتلاحظ السيدة آندوني أن "لويس لم يقدم فقط المسوغات التاريخية لحرب واشنطون على الإرهاب، بل ظهر كأحد أبرز منظري إعادة استعمار العالم العربي من خلال الاحتلال الأمريكي للعراق"[122]. وتلخص السيدة آندوني مساهمات لويس المشبوهة للتعاون والصداقة الدوليين بالآتي:

"إن أعمال لويس، وبالتحديد كتابه الجديد ما الخطأ الذي حدث: تأثير الغرب وردة فعل الشرق الأوسط، كان المصدر والمرجع الرئيسي لدعاة التدخل العسكري الأمريكي "لتحقيق الديمقراطية في الشرق الأوسط". وذلك بالإعلان أن شعوب الشرق الأوسط، والمعني هنا العرب والإيرانيون، قد

فشلوا في اللحاق بالمدنية الحديثة فسقطوا في منحدر لولبي متهاو من الحقد والغيظ"، وقد برأ لويس السياسات الإمبريالية الأمريكية وقدم المسوغات الأخلاقية لمذهبي "الهجمات الوقائية" و"تغيير النظام" اللذين تبناهما جورج بوش.

والحقيقة أن لويس ويحسب ما جاء في تصريحاته وما نشر في تقارير عدة، كان منهمكاً في جهود جماعات الضغط (اللوبي) في تشكيل ودعم سياسات حكومة بوش التي تدعم إسرائيل ضد الفلسطينيين وكذلك تلك التي تدعم الاستخدام العدواني للقوة العسكرية الأمريكية في المنطقة.

ولم يكن تأثيره نتيجة موقعه الأكاديمي وكثرة مؤلفاته عن الإسلام، بل جاءت نتيجة عضويته في تحالف المحافظين الجدد والمتشددين الصهاينة الذين وصلوا إلى أعلى مراكز السلطة في حكومة جورج بوش.

وفي 19 فبراير من عام 1998، وقع ممثلون عن هذا التحالف بمن فيهم لويس ودونالد رمسفيلد [الذي أصبح فيما بعد وزيراً للدفاع] وبول وولفويتس [الذي أصبح فيما بعد نائب وزير الدفاع في حكومة بوش] وغيرهم، وقعوا على رسالة يحضون فيها الرئيس بل كلينتون على شن هجوم عسكري يشمل ضربات شاملة بالقنابل بهدف تغيير النظام في العراق.

وقدم لويس تغطية "أكاديمية" لجماعة ضغط كانت تنادي وتجاهر بدعوتها إلى إعادة تشكيل خارطة الشرق الأوسط للقضاء على "التهديد العربي لإسرائيل". بالإضافة إلى ذلك، يعتبر لويس أن إسرائيل وتركيا هما الدولتان الوحيدتان في المنطقة اللتان تشكلان الأمة الدولة على الوجه الحقيقي، وما برح يتنبأ بزوال وتلاشي الدول العربية منذ حرب الخليج. إن لويس الذي عمل لدى الاستخبارات البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية، لا يتوق إلى أيام الماضي الغابر وحسب، بل لقد نذر نفسه لخدمة الإمبراطورية الأمريكية الجديدة، مؤملاً أن تكمل من حيث انتهى البريطانيون والفرنسيون من عهد الاستعمار[123].

إن المواطن الأمريكي العادي الذي يشاهد شخصاً مثل لويس الذي تبجله وسائل الإعلام ليس لديه أدنى فكرة أن هذا "الرجل المسن المحترم" الذي يشبه الجد الوقور، هو في الحقيقة أحد أبرز النشطين والمحرضين وراء أشنع أصناف العنصرية العرقية والحقد الديني التي يمكن تصورها. ولا نتوقع من وسائل الإعلام أن تكشف هذه الحقيقة، ليس في أمريكا على الأقل.

قضية جارد تيلور الغريبة

انضمت عناصر معينة إلى نخبة المحافظين الجدد في حملتها لبث مشاعر الكراهية والعداوة ضد العرب والمسلمين، ولكن

على مستوى أدنى مما شاهدناه في الفصول السابقة وبتغطية إعلامية أضيق نطاقاً.

وبينما نجد أن غالبية المنتمين إلى "اليمين المتشدد في الولايات المتحدة – مع ملاحظة عدم الخلط بين اليمين المتشدد وحركة المحافظين الجدد التي تحيط بريتشارد بيرل ووليام كريستول وحلفائهم من أمثال ستيف إمرسون وبرنارد لويس – يحملون في العادة مشاعر معادية للصهيونية ومناهضة لليهود، ولكن هناك عدد محدود من المنظمات اليمينية التي تشاطر المحافظين الجدد في عداوتهم وكراهيتهم للعرب والمسلمين. ومن الأمثلة على ذلك، شخص بارز طالما نعتته وسائل الإعلام "بالعنصرية" إلا أن هذا الشخص يتجنب دائماً انتقاد إسرائيل ويجاهر بمعاداة العرب ويعارض هجرة المسلمين إلى أمريكا. وهذا الشخص هو جاريد تايلور.

يتولى جاريد تايلور تحرير مطبوعة بعنوان أمريكان رينسانس (الصحوة الأمريكية) وهناك اعتقاد شائع لدى منتقديه بأنه من عملاء وكالة الاستخبارات الأمريكية. ويشير النقاد بأن تايلور ليس فقط من خريجي جامعة ييل، وهي محطة قديمة لتجنيد العملاء الجدد في الوكالة، ولكنه كان نشطاً وناجحاً في التجارة والتمويل في منطقة الشرق الأقصى. إضافة إلى ذلك، فإن كتابه

"مرصوف بالنوايا الحسنة" Paved With Good Intentions – ويدعي فيه أن الأمريكان السود هم دون الجنس الأبيض – قد نال مديحاً وإطراءً في صحيفة كومنتري التي تعبر عن صوت المحافظين الجدد في اللجنة اليهودية الأمريكية، والتي يحررها نورمان بودهورتز الذي كان هو نفسه على صلة بنشاطات مولتها وكالة الاستخبارات الأمريكية يعود تاريخها إلى الخمسينيات من القرن الماضي.

وبهذا يتضح لنا أن روابط وصلات تايلور بشبكة المحافظين الجدد ونخبة نيويورك هي متينة بالفعل. وبالنظر إلى تأثير تايلور على دوائر معينة في الجناح اليميني الأمريكي التي تبدو مستقلة عن نخبة المحافظين الجدد – مثل ما يسمى "مجلس المواطنين المحافظين" الذي يترأسه تايلور نفسه – يبيت من الواضح أن صوت تايلور مسموع وله تأثير.

وفي إحدى المناسبات عرض مجلس المواطنين المحافظين على صفحات موقعه في الإنترنت موضوعاً يتحدث عن "العرب والمسلمين القذرين والمتنتنين". ويشير سجل تايلور إلى تاريخ حافل ومديد في التهجم على العرب والمسلمين. وقبل حوالي عقد من الزمان، وبالتحديد في نوفمبر من عام 1993 وقبل تأجج المشاعر المعادية للإسلام في الولايات المتحدة التي تضاعفت في أعقاب أحداث

الحادي عشر من سبتمبر 2001 والتغذية الإعلامية المستمرة لها، نشرت مجلة الصحوة الأمريكية (أمريكان رينسانس) التي يحررها تايلور مقالة بعنوان "صعود الإسلام في أمريكا" ادعت فيه أن الإسلام يقع على تقاطع محوري الهجرة والعرقية (الإثنية)، وتابعت المقالة القول:

"إن الإسلام بأشكاله وصوره المختلفة، يقف اليوم على تقاطع محورين هما من أكثر محاور السياسات الأمريكية المشحونة بالأيديولوجية والمدمرة ذاتياً: الهجرة والعلاقات العرقية. وقد كان من الحماقة إلى حد بعيد السماح باستيراد أعداد غفيرة من المتعصبين ذوي البشرة الداكنة الذين لديهم الاستعداد لقتل بعضهم بعضاً – وقتلنا نحن كذلك – من أجل صراعات غامضة في الشرق الأوسط. ألم يلاحظ أحد أن الشرق أوسطيين يقاتلون بعضهم بعضاً من أجل تصفية عداواتهم ليس فقط في بلادهم بل حتى في أوروبا؟ إن استقدام هؤلاء المتعصبين الذين يعبدون ذات الإله الذي يعبده المسلمون السود هو براعة في الحماقة"[124].

أما أجندة تايلور الخفية فقد فضحها مهرجان للتهجم على المسلمين أقامه تايلور في واشنطن العاصمة في 22 فبراير/شباط 2002، وقد نقلت صحيفة الأمريكان فري برس التي تصدر في واشنطن تقريراً حول هذا المهرجان جاء فيه:

"لو قدر لك حضور المؤتمر الذي عقده جاريد تايلور من الأمريكان رينسانس لظننت أنك في تظاهرة مؤيدة لإسرائيل: فقد كانت الخطابات المعادية للمسلمين هي المسيطرة على أجواء الحفل. وقد عكس أسلوب تايلور الشخصي فكرة الدعاية الإسرائيلية الجارية بأن الدين الإسلامي هو المصدر المسبب للأحداث المؤسفة في الحادي عشر من سبتمبر – وليس سياسات الولايات المتحدة المؤيدة لإسرائيل.

وقد وصف بل وايت وهو أحد الشبان الذين حضروا اجتماعات تايلور، وصف تلك الاجتماعات في موقعه على الإنترنت www.overthrow.com. بينما يرى وايت أن الاجتماعات كانت مثيرة، إلا أن أكثر ما أثار انزعاجه هو "التحيز الواضح والمشاعر المعادية للسود والمسلمين لذلك المؤتمر".

ويضيف وايت بأن "التركيز كله" كان على "الإسلام والسود، وكيف يشكلون خطراً على أمريكا، ولم يتفوه أحد بكلمة واحدة عن اليهود وتأثيرهم في السياسة الأمريكية. كما لم يتطرق أحد من المتحدثين إلى القضية الإسرائيلية الصهيونية، وإن تطرق أحد إلى هذا الموضوع فيكون بأسلوب إطرائي محب للساميةأحد وبعبارات مخالفة للحقيقة بشكل صارخ. وبحسب رأي وايت فإن المتحدثين جميعهم في

مؤتمر تايلور ما عدا شخص واحد كانوا معادين للسود ومعادين للمسلمين"[125].

وتمشياً مع موقفه الحازم في معاداة المسلمين، استضاف تايلور في مؤتمراته السابقة حاخاماً متشدداً مؤيداً للصهيونية من مدينة نيويورك اسمه ماير شيللر كمتحدث رئيسي. ونقلت صحيفة فوروارد، وهي صحيفة يهودية أمريكية، عن شيللر قوله بأن تأثيره على تايلور قد ساعد في خلق مشاعر إيجابية حول اليهود الأمريكيين لدى تايلور شخصياً، الأمر الذي ساهم في حفز أتباعه إلى اتخاذ موقف مشابه لموقف زعيمهم.

وبعد أن تلقى عدة انتقادات من رفاقه على موقفه ذلك، قام تايلور بتعديل موقفه بعض الشيء مقترحاً أن سياسة الولايات المتحدة تجاه إسرائيل والعالم العربي ربما كانت حافزاً لهجمات الحادي عشر من سبتمبر الإرهابية، ومع ذلك فإن تايلور لا يهدأ في تهجمه على المهاجرين المسلمين وهو ما يجعله ألعوبة في يد الصهاينة.

ومن عجيب المفارقة أن تايلور الذي لا يألو جهداً ولا وقتاً في التهجم على المسلمين، له رفيق قديم وصديق مقرب اسمه مارك وييبر يحاول دائماً خطب ود المسلمين في الوقت الذي يظهر نفسه فيه

على أنه "معارض للصهيونية"، وهو الأمر الذي دفع بعض الأشخاص إلى التساؤل حول الأجندة الحقيقية لكل من تايلور – ويبر.

وأشهر ما يعرف به ويبر هذه الأيام هو أنه من ضمن مجموعة صغيرة تعمل تحت إشراف أحد عملاء وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية القدامى وهو آندرو آلن الذي دبر القضاء على صحيفة سباتلايت، والتي كانت في وقتها صحيفة أمريكية مستقلة تفردت دائماً بإثارة مسألة عدم توازن السياسة الخارجية الأمريكية تجاه إسرائيل والعالمين العربي والإسلامي.

وعلى هذا فإن تايلور ورفاقه يشكلون جزءاً من جهود واسعة وخبيثة للإساءة إلى سمعة العرب والمسلمين، والحقيقة هي أن تأثيرهما جاء في وقت مهم يرى فيه اللوبي الصهيوني الحاجة إلى زرع "عملائه" حتى في أصغر الجماعات في أمريكا.

ومثل هؤلاء الأشخاص يستخدمون نطاق نفوذهم – مهما كان هذا النطاق ضيقاً – للتأثير على الأمريكيين وغيرهم في الغرب لصالح إسرائيل عن طريق مهاجمة العرب والمسلمين بالتعاون مع موجهي السياسة الخارجية الأمريكية من المحافظين الجدد، وهذه مسألة ثبتت أهميتها بالنسبة للأهداف الإمبريالية الإسرائيلية.

هل كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر "بيرل هاربر" الجديدة؟

يصف الصحافي جون بيلجر في مقالة نشرتها مجلة نيو ستيتمان في 12 ديسمبر/كانون أول 2002، وبعبارات تبعث على الانزعاج كيف توصل ويليام كريستول في بروجكت فور ذي نيو أمريكان سنتشري إلى أن أمريكا تحتاج إلى ""بيرل هاربر جديدة" كذريعة لبدء حملة للهيمنة العالمية؟. والتصور الذي وضعه كريستول ورفاقه كان يقضي بأنه في حالة وقوع مثل تلك الكارثة فأن ذلك سيهيئ لأمريكا الفرصة لبناء قوتها العسكرية.

وفي 3 يونيو/حزيران من عام 1997 – أي قبل ثلاثة أعوام من تولي جورج دبليو بوش رئاسة الولايات المتحدة ووضعه المحافظين الجدد في مواقع السيطرة – قام عدد من المحافظين الجدد من ضمنهم دونالد رمسفيلد، ودك تشيني وبول وولفويتس بتوقيع أسمائهم على وثيقة "إعلان مبادئ" صدرت عن منظمة كريستول.

وقد وضعت هذه الوثيقة هدفاً لبناء وتدعيم القوة العسكرية الأمريكية كي يصبح بمقدور الولايات المتحدة تحقيق مسعاها في الهيمنة العالمية، دون أن تخشى أي أمة أو أمم قد تتجرأ على مقاومة أجندة النخبة الحاكمة في أمريكا – وهذا بدون شك يشكل إعلاناً لأهداف إمبريالية.

وفي تصميم لاحق يعود تاريخه إلى سبتمبر من عام 2000، وصادر عن منظمة كريستول بروجكت فور ذي نيو أمريكان سنتشري PNAC، عنوانه "إعادة بناء الدفاعات الأمريكية: الاستراتيجيات والمصادر والقوى في القرن الجديد"، وتم الكشف في هذه الوثيقة عن خطة تقضي بقيام الولايات المتحدة بعمل عسكري للسيطرة على منطقة الخليج العربي سواء بقي صدام حسين في الحكم أم لم يبق. وقد أفصحت الخطة بصراحة عن أن حاجة أمريكا للتواجد في منطقة الخليج الفارسي تسمو على مسألة ما إذا بقي صدام حسين في الحكم أم لم يبق.

ومن أجل تحقيق ذلك الحلم، يقول كريستول ورفاقه، بأن على الولايات المتحدة أن تكون جاهزة للقيام بعمليات عسكرية في أكثر من مكان في وقت واحد حول العالم. ومن أجل تحقيق تلك القدرة، أعلنت الوثيقة أنه يجب على أمريكا أن تحدث تحولات جوهرية في مؤسساتها العسكرية مصحوبة بزيادة كبيرة في عتادها العسكري. ألا أن الوثيقة انتهت إلى القول بأن "عملية التحول هذه قد تأخذ زمناً طويلاً في ظل غياب حدث كارثي مدمر – مثل بيرل هاربر جديدة."

وبالأخذ بالاعتبار أن الأحداث المؤسفة في الحادي عشر من سبتمبر 2001 قد أحدثت بالفعل "بيرل هاربر جديدة" وكانت

الشرارة التي أشعلت تعبئة عسكرية شاملة مصحوبة بإعلان "الحرب على الإرهاب" التي تحولت – ومن خلال تأثير المحافظين الجدد – إلى حرب إمبريالية، استهدفت العراق أولاً وبعد ذلك بقية العالمين العربي والإسلامي. وهناك كثير من الأمريكان وغيرهم ممن يشكون بأن هجمات الحادي عشر من سبتمبر كانت إما مفتعلة أو مدعومة من قبل الولايات المتحدة وإسرائيل سواء بعملية مشتركة أم بعمل منفرد كل على حدة. وكل من يثير هذه الاحتمال يتهم فوراً بأنه من المعتقدين بـ"نظرية المؤامرة" أو بأنه "محرض على الكراهية" وذلك على الرغم من كل الحقائق التي تثير تلك التساؤلات المشروعة.

ويحتوي التقرير الخاص الذي نشرته أميركان فري برس بعنوان "خمسون سؤالاً لم يجب عنها حول الحادي عشر من سبتمبر" على كم هائل من المعلومات مع ملاحظة أن وسائل الإعلام السائدة تجاهلتها كلياً. ويعتبر عمل المراسل الدولي للأميريكان فري برس كريستوفر بولين من أقوى منتقدي الراوية الرسمية للأحداث التي وقعت في ذلك اليوم المؤسف.

أحد السيناريوهات لخلق الإرهاب...

يشير كثير من الأمريكان الذي يشكون في السيناريو الذي قدمته الحكومة لأحداث الحادي عشر من سبتمبر إلى أن هناك

دليلاً يشير إلى أن مسؤولين حكوميين قد تأملوا جدياً في احتمال القيام بعمليات إرهابية على الأراضي الأمريكية. ومن أكثر الكتب التي يستشهد بها في هذا المقام الكتاب الذي ألفه الصحفي القديم جيمس بامفورد وعنوانه "مجموعة أسرار" والذي نشر عام 2001 قبيل هجمات الحادي عشر من سبتمبر.

ويكشف بامفورد في ذلك الكتاب عن أن كبار صانعي السياسة في الولايات المتحدة في يناير/كانون ثاني من عام 1961 قد بحثوا خطة مرعبة في شن هجوم إرهابي على مواطنين أمريكيين واتهام الشيوعي فيديل كاسترو بتدبيرها.

ومع أن كتاب بامفورد قد لقي بعض الاهتمام الإعلامي المحدود، إلا أن ما ورد فيه حول تلك الحملة الإرهابية الفظيعة التي اقترحها رئيس هيئة الأركان المشتركة في ذلك الوقت الفريق ليمان ليمنيتزر قد أخمدت تماماً.

وليمنتزر هذا – يقال بأنه يهودي – ظهر فيما بعد كعضو في لجنة المحافظين الجدد حول الخطر الحال، وهي المجموعة الضاغطة التي روجت للسياسات التي اقترحها الفريق (ب) الذي شكله ريتشارد بيرل والتي سبقت الإشارة إليه في هذا الكتاب. وعلى أية حال، إليكم ما كتبه بامفورد:

بحسب ما جاء في الوثائق التي حصلنا عليها في أثناء تأليف هذا الكتاب، فإن ليمنتزر وهيئة الأركان قد اقترحوا سراً أن يتم افتعال هجوم على قاعدة بحرية أمريكية في خليج غوانتانمو التابع لأمريكا في كوبا، ومن ثم توجيه اللوم بالمسؤولية عن هذا العمل الإرهابي إلى كاسترو. ولن يتردد الشعب الأمريكي المقتنع بأن كوبا هي التي شنت هذا الهجوم غير المبرر على الولايات المتحدة في تقديم دعم كامل لشن حرب دموية في الخليج الكاريبي. وبعد كل ذلك، من سيصدق نفي كاسترو مقابل ما توصلت إليه القيادة العسكرية العليا في البنتاغون؟ لقد اقترحت القيادة العسكرية العليا في البلاد القيام بحرب كانت ستحصد عدداً كبيراً من الجنود تأسيساً على أكاذيب مختلقة. وفي 19 يناير/كانون أول، وقبيل ساعات من انتهاء فترة ولاية الرئيس الأمريكي آنذاك دوايت إيزنهاور، أصدر ليمنتزر موافقته على الخطة. وكما تتابعت الأحداث، فإن الخطة كانت تشكل فقط قمة جبل الجليد المخفي تحت الماء[126].

وقد احتفظ ليمنتزر الذي يصف نفسه بأنه "مخطط خيالي" بتلك الخطة في مكان آمن. إلا أنه وبعد وبعد النكسة التي تعرضت لها حكومة كيندي إثر فشل عملية خليج الخنازير والتي قوّت من شوكة كاسترو أكثر من أي وقت مضى، أعاد ليمنتزر

إحياء خطته القديمة تحت عنوان" عملية نورثوودز". ويعلق بامفورد قائلا":

إن الخطة التي حظيت بموافقة رئيس هيئة الأركان المشتركة وأعضاء الهيئة، دعت إلى: قتل مواطنين أبرياء في شوارع أمريكية؛ وإلى إغراق قوارب تحمل لاجئين كوبيين في أعالي البحار؛ وإلى موجة من الإرهاب العنيف في واشنطن العاصمة ومدينة ميامي وغيرها. وتلفيق التهم بالقيام بتفجيرات إلى أشخاص أبرياء لم يرتكبوها؛ وإلى اختطاف طائرات. وعن طريق استخدام أدلة ملفقة، يتم توجيه اللوم إلى كاسترو، والنتيجة هي إضفاء الشرعية وتقديم المبرر والدعم المحلي والدولي اللازم إلى عصابة ليمنتزر لشن الحرب[127].

ومما يجعل هذا الأمر أكثر إرباكاً هو أن هذه الخطة الوحشية لم تكن من بنات أفكار "جندي مجنون" داخل الجيش. وبحسب تقديرات بامفورد، "فإن الفكرة تعود في أصلها إلى الرئيس آيزنهاور في آخر أيام ولايته"[128].

ويذكر بامفورد أن آيزنهاور كان مصمماً على احتلال كوبا وأنه إذا لم يقدم كاسترو المسوّغ للقيام بذلك قبل تنصيب الرئيس المنتخب حديثاً الرئيس جون كيندي، فإن أيزنهاور يقترح أن

تفكر الولايات المتحدة "باختلاق شيء ما يمكن أن يكون مسوغاً مقبولاً"[129].

ويكتب بامفورد أن ما اقترحه أيزنهاور كان "القيام بهجوم أو تفجير بالقنابل، أو عمل تخريبي تقوم به الولايات المتحدة سراً ضد أهداف أمريكية. والهدف منه هو تقديم المسوّغ لشن حرب على كوبا. وقد كان اقتراحاً خطيراً من رئيس يائس"[130] كما كان ليمنتزر التابع لأيزنهاور مستعداً لتنفيذ تلك الخطة.

لقد كان ليمنتزر يضع في حسبانه احتمال القيام بأعمال إرهابية على الأراضي الأمريكية من قبل أمريكيين ضد مواطنين أمريكيين – واتهام كاسترو بها. إن هذه المؤامرة الإرهابية ضد المواطنين الأمريكيين اقترحها ليمنتزر ومستشاروه الذين اقترحوا الآتي:

يمكننا تطوير حملة إرهابية شيوعية كوبية في مناطق ميامي وغيرها من مدن فلوريدا وحتى في واشنطن. ويمكن أن تستهدف الحملة الإرهابية اللاجئين الكوبيين الذين يقصدون الولايات المتحدة كملاذ آمن... ويمكننا أن نغرق قارباً محملاً باللاجئين وهو في عرض البحر...ويمكننا أيضاً استهداف حياة بعض اللاجئين في الولايات المتحدة وإشاعتها على نطاق واسع في وسائل الإعلام[131].

ويتابع بامفورد بأنه قد تم اقتراح القيام بالتفجيرات، ولعل الأبرز من بين المقترحات هو اختطاف طائرات. وسواء وصلت مقترحات ليمنتزر إلى الرئيس كيندي أم لم تصل هو أمر غير معلوم، إلا أنه من الواضح أن الرئيس كيندي لم يكن معجباً بالجنرال المتعطش للحرب بدليل أنه لم يجدد له رئاسة هيئة الأركان المشتركة.

ومع ذلك، فقد استمر "المفكرون" الذين يشابهون في تفكيرهم تفكير ليمنتزر في وزارة الدفاع استمروا في وضع الخطط التي تقدم إلى القيادة العسكرية والمصممة لشن حرب من خلال هجمات إرهابية مفتعلة. وفي النهاية، فإنه يبدو أن تلك الخطط لم تتعد مرحلة التخطيط، على الأقل فيما يخص المسألة الكوبية.

وقد برز التساؤل من جديد فيما إذا كان ما حدث في 11 سبتمبر/أيلول كان مثالاً على خطة شيطانية أخرى كعملية نورثوودز تم تنفيذها بالكامل. وسيبقى كثير من أفراد الشعب الأمريكي يتساءلون عما إذا كان ذلك هو ما حدث بالفعل وبخاصة أمام تزايد الأدلة التي تظهر تباعاً وتشير إلى أن ذلك هو ما حدث فعلاً.

اللعبة هي أكبر بكثير مما هو ظاهر للعيان

كان كبار صانعي السياسة الأمريكية من أمثال هنري كيسنجر يعاينون الحرب في الشرق الأوسط كوسيلة يمكن من خلالها وضع حجر الأساس لهيمنة إمبريالية عالمية. وفي الواقع أن السيناريو يشير إلى أن الصراع العربي الإسرائيلي حول فلسطين قد تم افتعاله من البداية بهدف إشعال فتيل حرب عالمية.

وقد كشف عن هذا السيناريو المدهش في الفقرة الأخيرة في كتاب صدر عام 1975 وتوارى في طي النسيان، والكتاب هو: العرب: تاريخهم، أهداف وتحديات للعالم الصناعي :The Arabs Their History, Aims and Challenge to the Industrial World وهو من تأليف الكاتب الأمريكي المؤيد للصهيونية توماس كايرنان.

وعلى الرغم من أن كايرنان لم يذكر اسم صانع السياسة الكبير الذي وضع هذه الخطة الجيوسياسية المذهلة، إلا أنه وصف هذا الشخص بأنه "موظف كبير في وزارة الخارجية الأمريكية لعب دوراً رئيساً في جهود وساطة هنري كيسنجر في العامين السابقين".

وهذا الوصف، بالطبع، يمكن أن يشمل كيسنجر، وإذا قدر للحقيقة أن تظهر، فإن من المرجح أن يكون المتحدث هو

كيسنجر نفسه. وإذا لم يكن الأمر كذلك، فإن المتحدث يعكس تفكير كيسنجر في الخطط والمكائد العالمية.

وفي الإجابة عن سؤال وجهه كايرنان حول ما إذا كان صراع الشرق الأوسط يمكن حله بدون حرب، أجاب المتحدث (وهو ربما كيسنجر) مؤكداً:

"إن تطور الأحداث في الشرق الأوسط في هذا القرن يمكن تشبيهها ببناء هرم معكوس، إن استطعت أن تتصور ذلك. وقمة الهرم في مثل حالة هذا الهرم ستكون قاعدته، قد تشكلت من الصراع الحتمي بين احتياجات وطموحات "الصهيونية" الأجنبية من جهة، وبين عزة وطموح السكان العرب المحليين من جهة أخرى[132].

لاحظ أن المتحدث يعترف بأن الصراع الناشئ عن زرع الدولة الصهيونية في الأراضي العربية في فلسطين كان "حتمياً". وقد وجد من قال منذ أجيال سابقة بأن هذا هو الهدف من وراء تأسيس إسرائيل منذ البداية. ويتابع المتحدث قوله:

"وبينما يتزايد حجم الهرم، فإن اللبنات التي ستوضع في أطره المتوسعة ستضيف إليه عناصر جديدة – عواطف وأحاسيس مصالح أجنبية أخرى، إضافة إلى عواطف وطموحات المجموعات الوطنية الأخرى في العالم العربي. وكل إطار متتابع سيجذب إليه مزيداً من العالم. والآن ومع

اكتمال الهرم، فإنه يقف ثابتاً على رأسه بتوازن متنافر على زواياه. وتمتد أطرافه الأربعة إلى كل زاوية من زوايا العالم[133].

وبعبارة آخرى، فإن الأزمة في الشرق الأوسط قد بدأت في استقطاب بقية أمم العالم – فيما يشبه، بالتحديد ما يجري الآن من صراع بين الولايات المتحدة وحلفائها التقليديين مثل فرنسا وألمانيا، مع عدم إغفال ذكر معارضة روسيا والصين، حول قضية الحرب مع العراق – التي هي امتداد للصراع العربي الإسرائيلي نفسه. ويستمر وصف السيناريو:

"إننا جميعا نعلم أنه من المستحيل على الهرم أن يقف حراً وهو في وضع معكوس. وحتى الآن، فقد استطاع الوقوف على رأسه بسبب دعم بقية العالم له.

وعلى الرغم من تأرجح هذا الهرم من وقت لآخر، إلا أنه استطاع البقاء لدرجة ما صامداً. إلا أن جهود إبقائه منتصباً رأساً على عقب قد فرضت توتراً كبيراً ومتزايداً على من يدعمونه.

والتوتر كما يقول علماء النفس (السيكولوجي)، يمكن علاجه بإحدى طريقتين:

الأولى عن طريق الانفجار، والثانية هي التراجع والانسحاب.

> إن آلية المواجهة والقتال أو الهرب والانكفاء يشكلان جزءاً من نظام الاستجابة لدى كل إنسان. والآن، أنت تقول لي، هل ستحل سلمياً؟ أم أن الأمر سيستدعي حرباً عالمية للوصول إلى النهاية؟
>
> إذا كان تحليلي صحيحاً، فإنه ليس هناك أدنى شك حول المحصلة النهائية[134].

بعبارة أخرى، فإن حرباً عالمية يجب أن تحدث كنتيجة للصراع العربي الإسرائيلي. ويستمر السيناريو:

> وبطريقة أو بأخرى – وسواء أرخى هذا الطرف أو ذاك دعمه لهذا الهرم وانسحب، أو سواء اختار أحد الأطراف أن ينهي توتره بالهيجان والانفجار – فإن الهرم سيفقد توازنه ويسقط إلى الأرض.
>
> وفي جميع الأحوال، فإن نتيجة الموقف ستظهر من خلال الغبار والدمار الذي نتج عن انهيار الهرم. وسيتوارى الصراع العربي الإسرائيلي الذي بدأ هذا كله في طي النسيان[135].

مرة أخرى، لاحظ الإشارة إلى أن الصراع العربي الإسرائيلي هو بالفعل محور الحرب العالمية الموصوفة في هذا الملخص المرعب. وينتهي السيناريو بالمشهد التالي:

وسيترك الشرق والغرب لمعاينة ما تبقى من آثار الدمار، تماماً كالعقبان التي تأكل الجيفة. هذا إذا بقي هناك شرق وغرب[136].

لاحظ الكلمات الختامية "إذا بقي هناك شرق وغرب" ما هي الدول التي ستتحالف لتكون "الشرق" وتلك التي ستكون "الغرب"؟

هل سيظهر استقطاب جديد يحل محل القطبين التقليديين في الحرب الباردة "الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفييتي"؟

هل العالم العربي – وإلى جانبه بقية البشر – هم أحجار شطرنج في لعبة أكبر يشكل المحافظون الجدد فيها أداة؟

ويبقى أمامنا أن ننتظر لنشاهد المحصلة النهائية لجهود تحقيق الإمبراطورية العالمية – كما تمليها القوة العسكرية الأمريكية في يد حفنة قليلة هم الزمرة النخبوية من المحافظين الجدد صقور الحرب المتشددين " كهنة الحرب الكبار". إلا أنه وبناء على ما شاهدناه حتى الآن، فإن مزيداً من الدماء ستسفك وسيستمر النزيف.

إن المغامرة الأمريكية في العراق هي فقط البداية – ونحن في بداية البداية. ومنذ أن أعلن الرئيس بوش "النصر" في العراق والأمور تسير من سيئ إلى أسوأ. فقط تحول النصر الأمريكي قصير الأمد

إلى مستنقع فيتنامي جديد – ويتوالى وصول النعوش المحملة بالجنود القتلى يومياً.

كما أن أسطورة المحافظين الجدد حول "أسلحة الدمار الشامل" التي بحوزة صدام حسين قد أعلن أنها كذبة كان يعلمها من البداية هؤلاء الأشخاص المستنيرون والمطلعون. وقد بدأت أعداد كبيرة من أفراد الشعب الأمريكي إدراك أن الحجج والذرائع التي سيقت لتسويغ الحرب على العراق لم تكن سوى أكاذيب قديمة ودعاية إعلامية.

والحقيقة هي: أن رئيس الولايات المتحدة قد كذب على الشعب الأمريكي وكذب على العالم بأسره. لقد كان تحت تأثير مستشاريه من المحافظين الجدد – وكلهم كذابون – قد مهدوا الأمر لموت المزيد والمزيد من الأمريكيين وغيرهم من شعوب العالم في مختلف أرجاء المعمورة. وقد تكون النتيجة النهائية هي بالفعل صراعا محتدما حول العالم.

بالتأكيد ليس هناك أي شيء "أمريكي" أو "وطني" حول الدوافع الأيديولوجية أو الدينية أو الجيوسياسية لكهنة الحرب الكبار من المحافظين الجدد، وذلك على الرغم من أنهم يدّعون هذه الأيام بأنهم هم الوطنيون الحقيقيون، وأنهم القادة الحقيقيون،

وأنهم المقاتلون الحقيقيون بحسب التقاليد الأمريكية. ولا شيء يمكن أن يكون أبعد عن الحقيقة من تلك الإدعاءات.

إن مصلحة أمريكا – والعالم كذلك – لن تتحقق سوى بالعزم الراسخ والحازم على التخلص من هؤلاء القتلة المفترسين قطعياً ونهائياً.

لقد حان وقت ذلك حقاً. ويجب فعل شيء ما.

كلمة أخيرة:

من سيحكم أمريكا... عندما تحكم أمريكا النظام العالمي الجديد؟

معاينة للأجندة السرية وراء أجندة" كهنة الحرب الكبار.

يمكن اعتبار الأمم المتحدة من الناحية الفعلية شبحاً من الماضي. لقد تم تحييد الأمم المتحدة وتهميش دورها لكي تلقى في النهاية فوق كومة القمامة، ولو بشكل مؤقت، على يد الذين كانوا يرون في المنظمة الدولية الأداة التي ستحقق الهيمنة العالمية. أما اليوم، فإن الإمبرياليين قد اختاروا رسمياً تنصيب العم سام [الولايات المتحدة] بمهمة شرطي العالم، أو إذا شئنا أن نستخدم مصطلحهم الأكثر أكاديمية "مركز المنظومة الدولية الجديد"[137] والهدف هو تحقيق "عالم يظهر بمظهر أمريكا، وبذلك فإن هذا العالم سيكون آمناً بالنسبة للجميع".

إلا أنه وبرغم لغة الخطاب هذه التي قد تحلو لكثير من الوطنيين (أو الذين يتصورن أنهم وطنيون) من الشعب الأمريكي، فإن الأمر ليس بتلك السهولة. إن هذه الأجندة تحمل في طياتها أكثر مما هو باد للعيان.

إن ما يمكن وصفه بالخطة الكبرى للنظام العالمي الجديد في ظل الدور الأمريكي الإمبريالي الجديد، قد ظهرت بشكل

صريح في ورقة سياسة نشرتها Journal of International Security Affairs مجلة شؤون الأمن الدولي، وهي مجلة تصدر عن المعهد اليهودي لسياسة الأمن القومي جنسا، والذي كثرت الإشارة إليه في ثنايا هذا الكتاب.

وهذا المعهد الذي لم يكن معروفاً سوى على نطاق ضيق، أصبح الآن مشهوراً عنه أنه أكبر قوة محددة تقف وراء السياسة الخارجية في حكومة بوش اليوم. لذلك فإن أي شيء يظهر في منشورات جنسا فاعلم أن له وزنا ثقيلا.

كاتب تلك الورقة هو ألكسندر جويف، وهو أكاديمي مؤيد لإسرائيل، نشر العديد من الأبحاث والمقالات في مطبوعات جنسا، وبكونه قد أعطي الكثير من المتسع لشرح نظرياته، فإن ذلك يعكس مدى القبول والتقدير التي تتمتع بها وجهات نظره.

وكان عنوان ورقة جويف التي تألفت من جزأين هو "الإمبراطورية التي لا تجرؤ على ذكر اسمها" ويعترف جويف في دراسته بصراحة أن "أمريكا إمبراطورية" ويعلن بالإيجاب بأن هذا شيء حسن جداً.

ويقول جويف بأنه عندما تجرأت الأمم المتحدة على تحدي الصهيونية، كانت تلك اللحظة نقطة زوال الأمم المتحدة من عقول الدوليين internationalist (المؤمنين بالمذهب الدولي). ويتابع جويف:

"إن نهاية الجمعية العامة كجهاز ذي اعتبار من أجهزة المنظمة يمكن إرجاعه إلى القرار المشئوم الذي صدر عن الجمعية عام 1975 وساوى بين "الصهيونية والعنصرية". ويدعي مؤلف الجنسا بأنه يجب على العالم أن يكون ممتناً لأن الأمم المتحدة قد "حيدت، وتحولت إلى مهزلة لكي تنتهي إلى الشلل" وهو بالطبع يشير إلى موقف الأمم المتحدة والذي يراه الصهاينة وحلفاؤهم في حركة الإمبراطورية العالمية موقفاً مؤذياً.

ونتيجة لوضع الأمم المتحدة على الرف كأداة لحكم العالم، يكتب جوفي، "نحن الآن نمتلك الفرصة، والمسؤولية، لنبدأ من جديد" إلا أنه يحذر من ظهور الاتحاد الأوروبي كمصدر خطر يهدد حلم الإمبراطورية العالمية.

ويدعي كاتب الجنسا أن الاتحاد الأوروبي يشكل "النظرة البديلة عن المجتمع الدولي" هذا الاتحاد على حسب قوله هو "النظرة المضادة والمعاكسة للإمبراطورية الأمريكية". وبحسب رأي الكاتب الصهيوني فإن المشكلة الكبرى مع أوروبا والاتحاد الأوروبي هي أن "الثقافة تبقى جوهر المشكلات الأوروبية". فالوطنية مذهب ولد في أوروبا وكذلك كل ما تفرع عنه من مذاهب فتاكة كالفاشية والشيوعية"

(ملاحظة: يبدو أن الكاتب جويف وهو من غلاة المناصرين للوطنية الإسرائيلية يعجز عن رؤية انعدام المنطق في تهجمه على وطنية الآخرين – ولكن مرة أخرى، يبدو أن الاستقامة والشرف لا تعد جزءا مهماً من وجهة النظر الصهيونية)

ويشكو جويف من أنه وبرغم "أن الإمبراطورية الأوروبية هي من الناحية النظرية إمبراطورية متعددة الثقافات.. إلا أنها في الحقيقة تهيمن عليها سياسياً وثقافياً فرنسا واقتصادياً ألمانيا" إن أوروبا اليوم "مدفوعة بنوع من الشعور بالذنب وتأنيب الضمير فيما بعد عهد الاستعمار فقامت بفتح الباب على مصراعيه أمام جميع الأفكار. وفي المستويات المشئومة سمحت بل وأسبغت الشرعية على مجموعة كبيرة من الأفكار والتصرفات المشوشة، وتحديداً معاداة السامية ومعاداة الولايات المتحدة، وقطاعاً عريضاً من نظريات المؤامرة."

(إن ما يسمى "نظريات المؤامرة" التي أثارت حفيظة المنظر الصهيوني هي تلك التي تتجرأ على تحدي "الرواية الرسمية" لما حدث في الحادي عشر من سبتمبر 2001. وهو مشتعل حنقاً لأن هناك ملايين من الناس في أوروبا وفي العالم الإسلامي – عدا عن الموجودين في أمريكا – يطرحون تساؤلات حول علم إسرائيل المسبق و/ أو مشاركتها في تلك الأحداث)

وعلى آية حال، فإن ما وصفه جوي في "النوع الآخر من الدوليين الليبراليين" هو ما تفضله الحركة الصهيونية ويحددها جوي في بقوله:

"إن الإمبراطورية الأمريكية لا يوجد لها من الناحية العملية أي منافسين. وهدف الإمبراطورية الأمريكية في القرن الحادي والعشرين ليس هو السيطرة الإقليمية أو استغلال الثروات الطبيعية، بل هو القيادة السياسية والاقتصادية التي تعزز وتحمي المصالح الأمريكية، والتي تكرس تقدم ورفاهية كل الأمم. وبالنظر إلى تاريخنا ومبادئنا وقيمنا، فإن هذا المستقبل يكمن في الإمبراطورية الأمريكية بطريقة تجعل منها مركز نظام ديمقراطي دولي.

وفي المحصلة النهائية سيكون الحل الوحيد لتحقيق الاستقرار والازدهار في العالم هو إيجاد نظام عالمي مؤسس من الناحيتين الهيكلية والأخلاقية على نمط الاتحاد الأمريكي – ولايات (دول) شبه مستقلة تتمتع بحكم ذاتي غير كامل محكومة ومرتبطة بنظام علماني (لا ديني) ليبرالي ديمقراطي: بحيث يكون للدول الخاضعة له حقوق ويترتب عليها مسؤوليات والتزامات في إطار شبكة ليبرالية ديمقراطية علمانية (لا دينية) بحيث تتمتع هذه المنظومة بمؤسسات للمراقبة والمساءلة وحفظ التوازن على أن يكون

هذا النظام مؤسسا على حكم القانون ومتسامحاً مع القيم التعددية.

وفي الجزء الثاني من مقالته التي نشرت في شتاء 2004 من مجلة جنسا، تابع جوفي عرض أفكاره متوسعاً في دعوته لما وصفه بـ"الإمبراطورية التي تشبه أمريكا"(138).

ومن الغريب حقاً أن جوفي يتحدث بمنتهى الصراحة حول قيام الولايات المتحدة بحملات عسكرية توسعية في إفريقية بعد أن تكون قد فرغت من احتلال الشرق الأوسط والعالم العربي، وإليك ما يقول:

"إن الشروط التي يمكن بموجبها للولايات المتحدة وحلفائها التدخل في الدول الإفريقية لإعادة النظام والاستقرار هي شروط ليست واضحة تماماً. ما هو الحد الأدنى لشرط التدخل العسكري؟ ما هي الإجراءات والنتائج؟ من سيقاتل ومن سيدفع الفاتورة؟ إن إعادة تعمير إفريقية يتطلب التزامات طويلة الأمد وتكاليف باهظة هي من النوع الذي لا يمكن لأحد أن يتكفل به سوى إفريقية نفسها. وهذا يعني، أن الأمر ربما يتطلب سيطرة اقتصادية أمريكية إلى جانب السيطرة السياسية والثقافية. إن الاستعمار دائماً يتطلب أن تدفع مصاريفه بما يوازي كل مرحلة من مراحله، وهذا غير جيد. والسؤال هو هل تستطيع

> إفريقية أن تدفع الثمن (أم أنها لا تتحمل أن لا تدفع الثمن) وهل تملك الولايات المتحدة العزيمة للقيام بتلك المهمة."

وطبعاً لم تكن إفريقية الهدف الوحيد في خطط جوفي ومن يفكر على طريقته (وهذه هي حقيقتهم بالضبط، بغض النظر عما إذا كان ذلك فيه بعض المبالغة لدى بعض الناس). والحقيقة أن جوفي يتحدث عن أجندة عالمية واسعة تتجاوز حدود القارة الأمريكية.

وفي النهاية، يكشف لنا جوفي عن النوايا الحقيقية لأولئك الذين يستخدمون القوة العسكرية الأمريكية كأداة لتنفيذ أجندة أكبر. فيقول: "يجب إحداث ترتيبات جديدة تحت القيادة الأمريكية لتقديم بديل للدول التي أبدت استعدادها للقبول بالحقوق وتحمل الالتزامات" ويحلم جوفي بأمم متحدة أعيد تشكيلها تحت القوة الإمبريالية الأمريكية. ويتوقع في النهاية احتمال قيام حكومة عالمية، فيكتب:

> وبعد فترة من الفوضى والغضب التي من شأنها أن تزيد من حدة الوضع الراهن، فإن من المحتمل، في جميع الأحوال، أن تجبر الدول والمؤسسات القائمة حالياً على التغيير.

وبدلاً من النادي الذي يفتح أبواب عضويته أمام كل من هب ودب، فإن الأمم المتحدة في القرن الحادي والعشرين يمكن في يوم من الأيام وبطريقة أو بأخرى، أن يعاد تشكيلها لكي تصبح مجموعة حصرية تقتصر العضوية فيها فقط على الأشخاص الذين توجه إليهم الدعوة بالدخول من بين الدول الديمقراطية الحرة التي تتبنى قيماً متشابهة. أو تلك التي تستبدل بدول من ذلك النوع. وهذا اليوم المنشود ربما يستغرق عقوداً لتحققه.

وحتى لا يكون هناك أدنى شك في أنه يتحدث عن حكومة عالمية، يختتم جوفي بحثه بالقول:

إن أفضل طريقة للحفاظ على الإمبراطورية الأمريكية هو عن طريق التخلي عنها. إن تمهيد السبيل أمام حكم عالمي لن يتحقق إلا بقيادة أمريكية وبمؤسسات تقودها أمريكا من النوع الذي تم بسطه في هذا البحث.

إذن، وعلى الرغم من لغة الخطاب الرنانة حول "الديمقراطية"، فإن المحصلة النهائية على حد تعبير المنظر الموالي لإسرائيل هو استخدام القوة العسكرية الأمريكية من أجل تحقيق أجندة (سرية) أخرى مختلفة تماماً. وقد يجد كثير من الوطنيين المخلصين من بين أفراد الشعب الأمريكي والذين يعشقون التلويح

بالعلم الأمريكي ويؤيدون فكرة الإمبراطورية الأمريكية، هذه المفاهيم التي يتحدث عنها جوي تختلف كثيراً عما يتصورونه.

ولكن هنا، وعلى صفحات مجلة موالية للصهيونية، فإننا نكتشف حقيقة "القصة خلف القصة". فهي لا تمت إلى "أمريكا قوية" ولا حتى إلى أمريكا نفسها.

إن الولايات المتحدة – على قوتها – هي في حقيقة الأمر مجرد "جندي" في اللعبة، يتم تحريكها بطريقة همجية هنا وهناك ضمن خطة للسيطرة على العالم على يد نخبة قليلة تعمل خلف الكواليس.

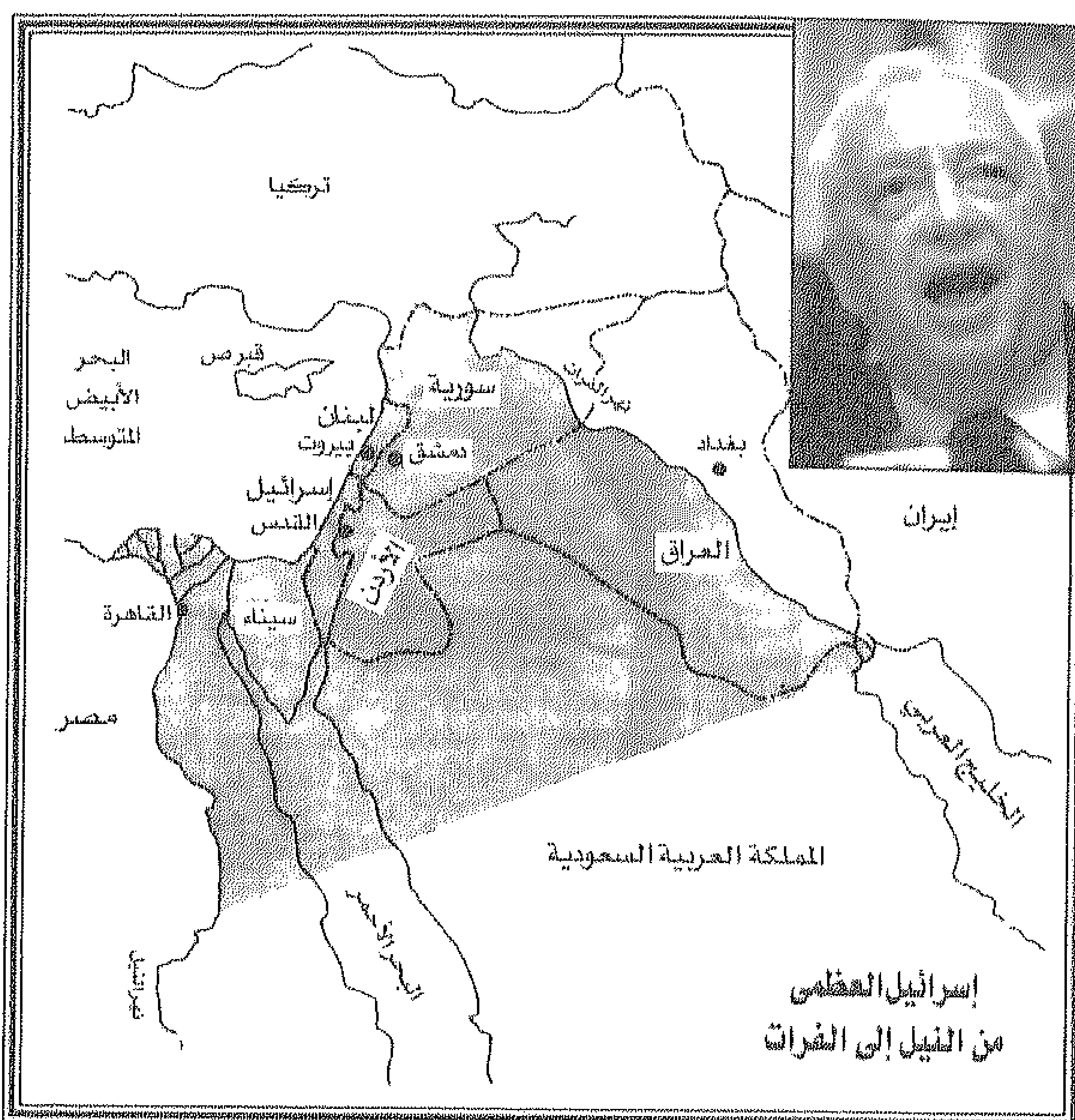
وفي النهاية، فإن هذا يكشف لنا عن حقيقة كهنة الحرب الكبار وعن حقيقة أجندتهم، وليس في الأمر لغز.

وما بقي أن يتحدد هو: ما الذي سيفعله الشعب الأمريكي وبقية الوطنيين المخلصين من الأمم حول المعمورة.

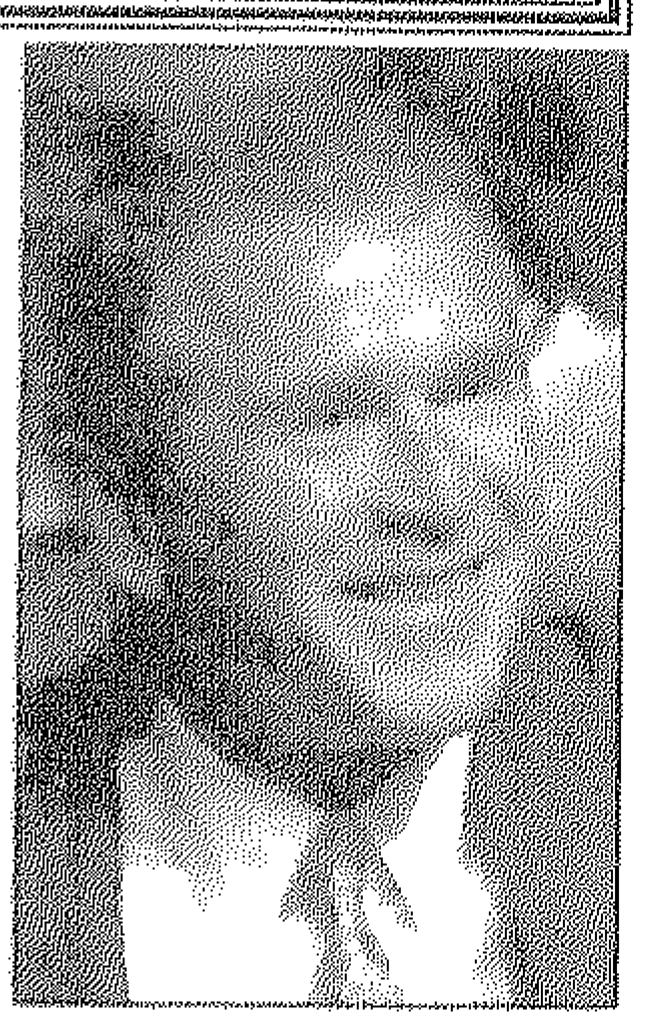
والسؤال هو: هل سيقرر العالم أخيراً أنه قد حان الأوان لإعلان الحرب على كهنة الحرب الكبار؟

مايكل كولينز بايبر

ملحق الصور

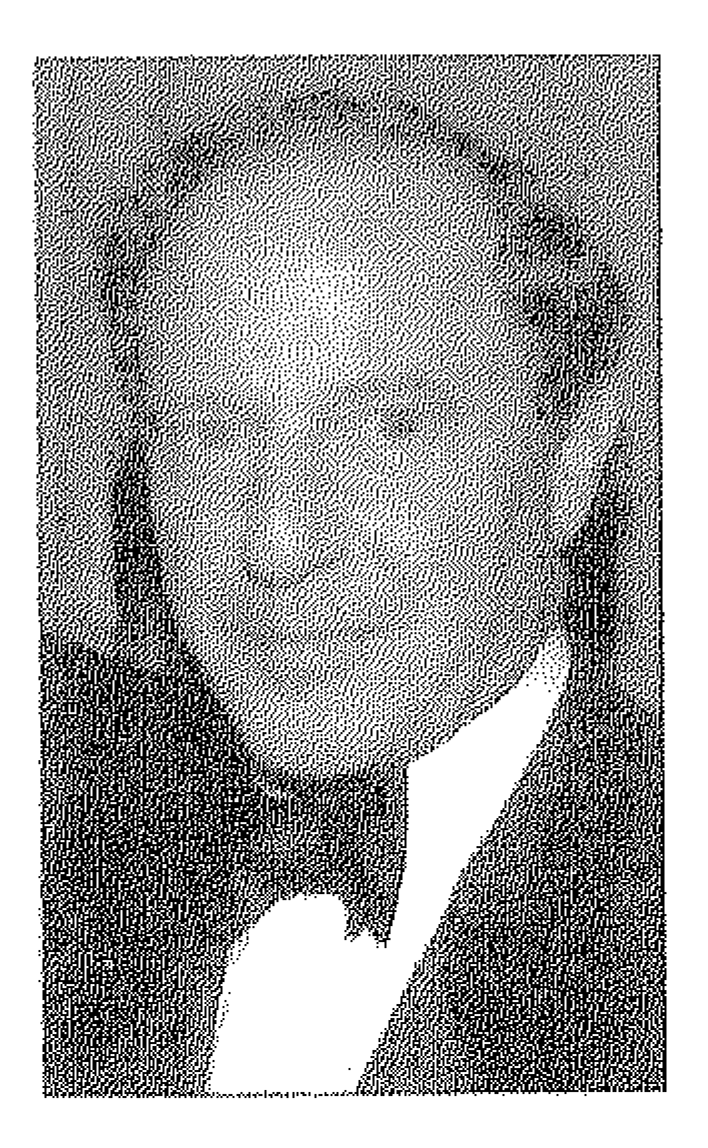


تمثل هذه الخريطة الحدود النهائية لما يعرف بـ"إسرائيل العظمى" بحسب ما يتصوره المتشددون من المحافظين الجدد الأمريكيين وحلفائهم في إسرائيل. وعلى الرغم من أن المحافظين الجدد ينفون أن هذا هو هدفهم، إلا ان الحقيقة هي أن عدداً كبيراً من زعماء الحركة الصهيونية قد أعلنوا بكل صراحة ودون تحفظ وعلى مر السنين عن هدفهم في تحقيق حلم "إسرائيل العظمى". لاحظ أن حدود إسرائيل العظمى تضم مناطق هي في نظر غالبية الشعوب من غير اليهود تنتمي إلى دول أخرى. والواقع أن غالبية الناس (حتى المثقفين منهم) ليس لديهم أي فكرة عن أن مفهوم "إسرائيل العظمى" يشكل جزءاً محورياً في وجهة نظر المحافظين الجدد، وأن الحرب الأمريكية ضد العراق هي الخطوة الأولى في مساعي تحقيق هدف إقامة "إسرائيل العظمى". إن السياسات التي وضعتها زمرة المحافظين الجدد التي تسيطر على حكومة الرئيس بوش (أسفل الخارطة) تتوازى أيديولوجيا وجيوسياسياً مع سياسات اليمين الإسرائيلي المتطرف لحزب الليكود بزعامة "السفاح" آرييل شارون. (أعلى يمين الصفحة السابقة).

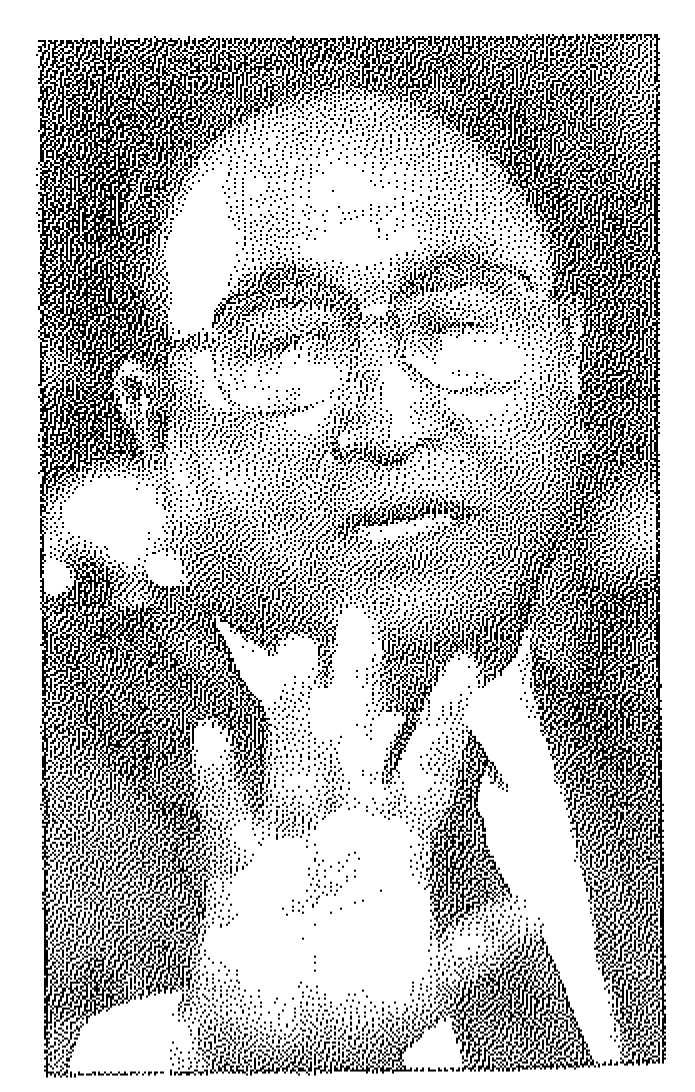


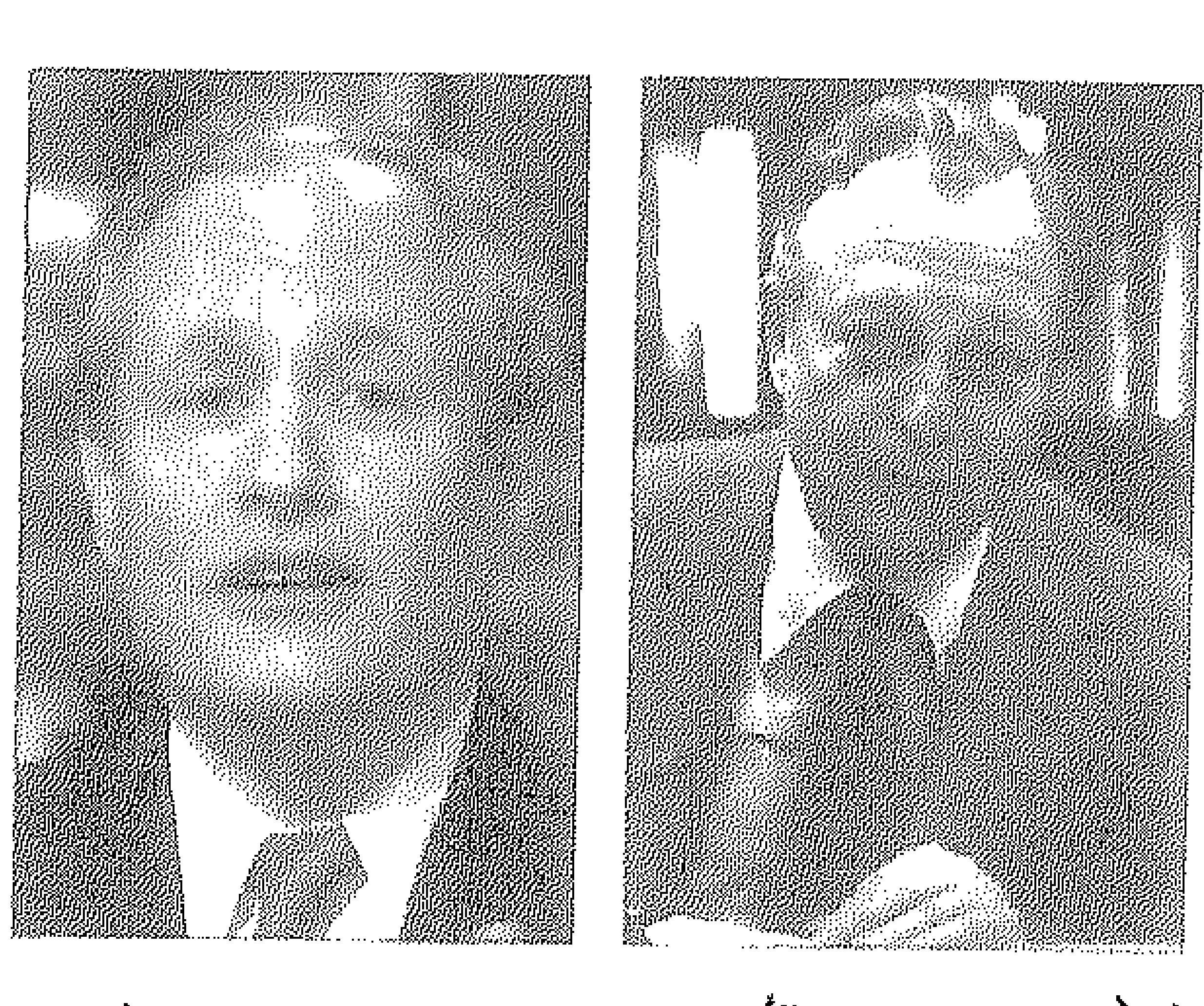


تعتبر الموارد الإعلامية التي يقدمها القطب الإعلامي روبرت مرداخ (أعلى اليسار) قوة رئيسية وراء الحملات الإعلامية لشبكة المحافظين الجدد المؤيدة لإسرائيل. وتشكل مطبوعاته مثل النيويورك بوست، والويكلي ستاندرد منافذ إعلامية مهمة للمصالح الإسرائيلية. ويدعى منتقدو مرداخ بأنه ليس إلا "واجهة أمامية" يعمل لحساب كل من الملياردير الإسرائيلي إدغر برونفمان (أعلى الوسط) الذي ترأس الكونغرس اليهودي العالمي لمدة طويلة، واللورد جيكوب روثتشايلد (أعلى اليمين) من الأسرة اليهودية التي تملك الإمبراطورية المصرفية المشهورة في أوروبا. ويكمل عمل آلة مرداخ الإعلامية ناشرون موالون لإسرائيل مثل مورتمر زاكرمان (أسفل يسار الصفحة) الذي يرأس مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية والذي يملك: يو أس نيوز آند وورلد ريبورت، وذي آتلانتك، ونيويورك ديلي نيوز. أما مارتين بيرتز (أسفل وسط الصفحة) فهو ناشر المجلة المؤثرة نيو ريببلك، وفي (أسفل يمين الصفحة) صن مايونغ موون زعيم ملة كورية مسيحية. وهو صنيعة جهاز الاستخبارات الكوري الذي تسيطر عليه السي آي إيه. وتعتبر صحيفة واشنطن تايمز التي ينشرها موون جهازاً داخلياً من أجهزة الحزب الجمهوري وتعد قراءتها من المستلزمات اليومية للمحافظين الجدد في واشنطن العاصمة.

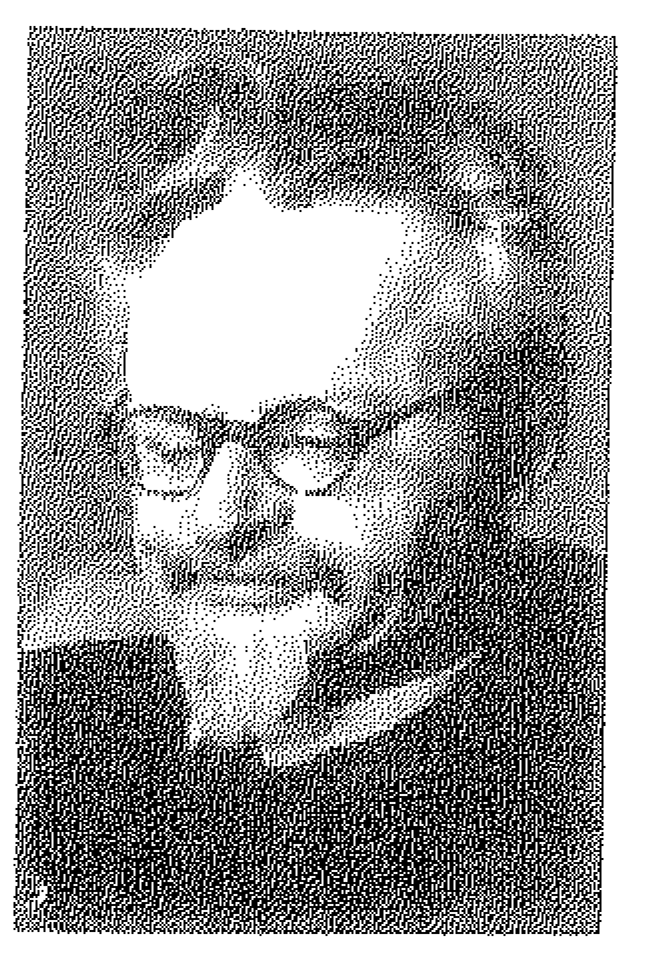


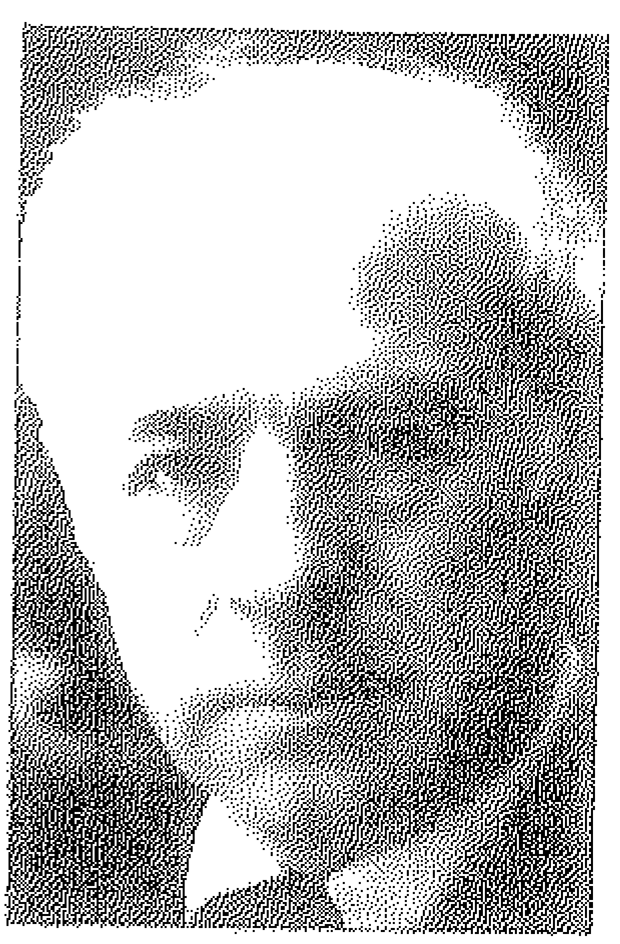


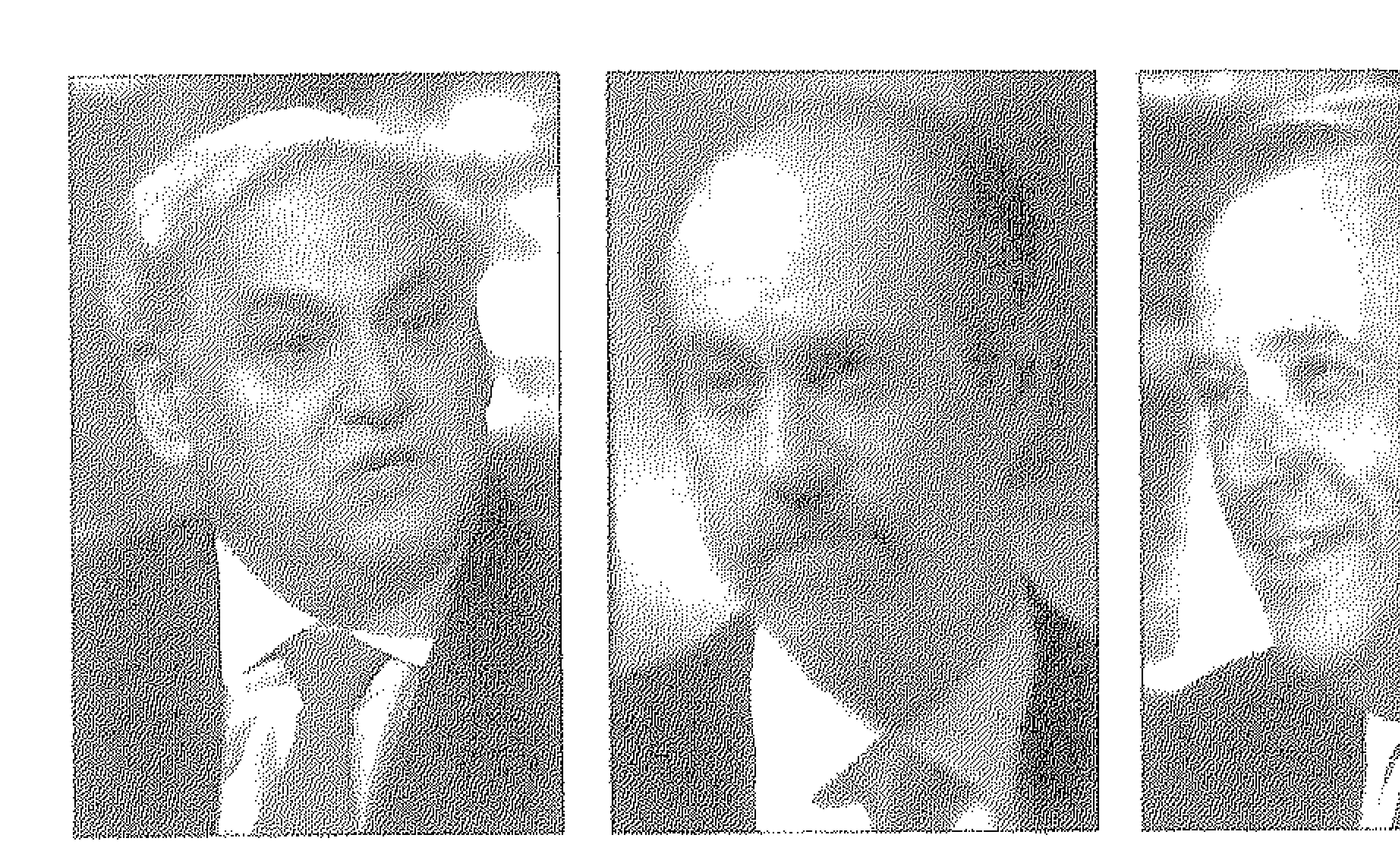




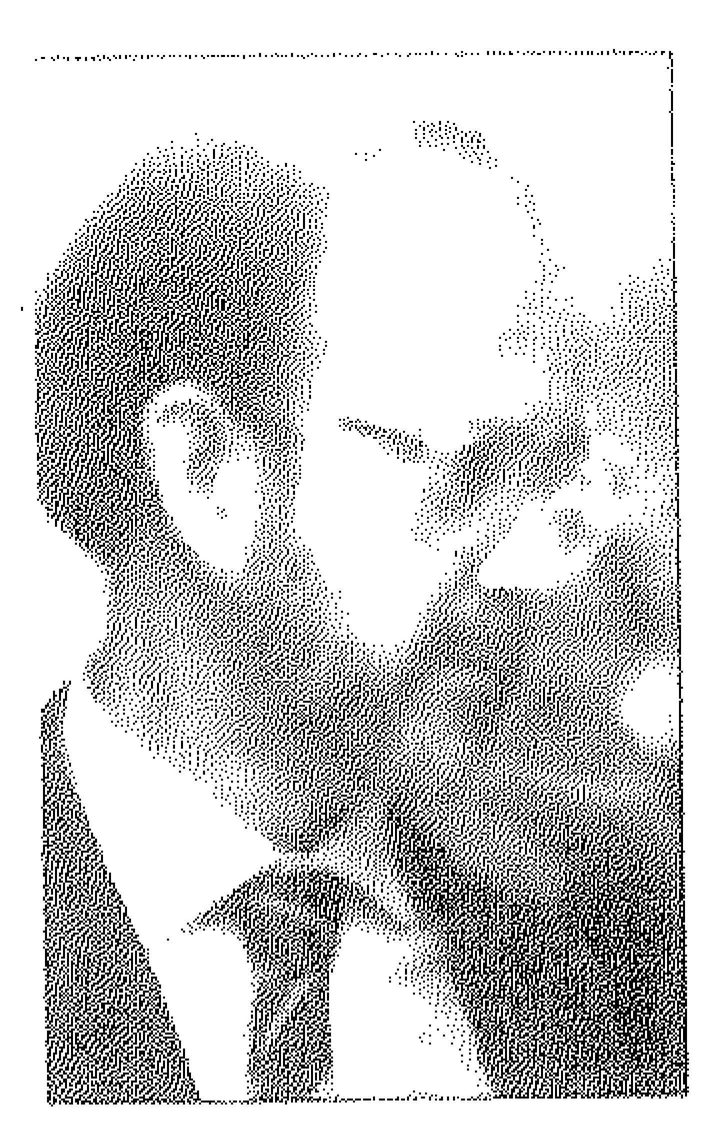
ويليام كريستول (يسار الصفحة) ووالده إيرفنغ كريستول (يمين) هما في مقدمة مروجي شبكة اللوبي الإسرائيلي من المحافظين الجدد. وكريستول الأصغر هو ضيف ومتحدث دائم في وسائل الأعلام، مما يعطيه شهرة غير محدودة_ ويعمل ناشراً ومحرراً للويكلي ستاندرد التي يملكها مرداخ وتدير منظمتين رئيستين هم إمباور أمريكا (تمكين أمريكا) وبروجكت فور ذي نيو أمريكان سنتشري (مشروع العهد الأمريكي الجديد). أما كريستول الكبير الذي بدأ حياته كمريد وتلميذ متفان لليون تروتسكي (أسفل اليسار) ومن ثم أصبح على علاقة مع منظمتين مدعومتين مالياً من السي آي إيه (وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية). ويعتبر كريستول الكبير القوة المحركة وراء مجلتين مؤثرتين هما: ذي ناشونال إنترست، وذي ببلك إنترست. وهو في نظر الكثيرين "الأب الروحي" لحركة المحافظين الجدد. وقد حمل لواء "الحرب على الإرهاب" قبل هجمات الحادي عشر من سبتمبر بوقت طويل. وعائلة كريستول لها علاقة قريبة من منظمتي ليند اند هاري برادلي اللتين تقدمان الدعم المالي لعدد كبير من جماعات المحافظين الجدد. ومن أعوان كريستول القدامى منذ اكثر من 50 عاماً نورمان بودهورتز وهو أيضاً من أتباع تروتسكي السابقين (أسفل اليمين)، وقد تجمع لبودهورتز نفوذ كبير بسبب عمله الطويل كمحرر لمجلة كومنتري، وهي مجلة مؤثرة للمحافظين الجدد تصدر عن اللجنة اليهودية الأمريكية. أما جون ابن بودهورتز فقد انضم في البداية إلى وليام كريستول في الويكلي ستاندرد، إلى أن استقر الآن في صحيفة نيويورك بوست التابعة لمرداخ حيث يعكف على كتابة المقالات المؤيدة لإسرائيل.

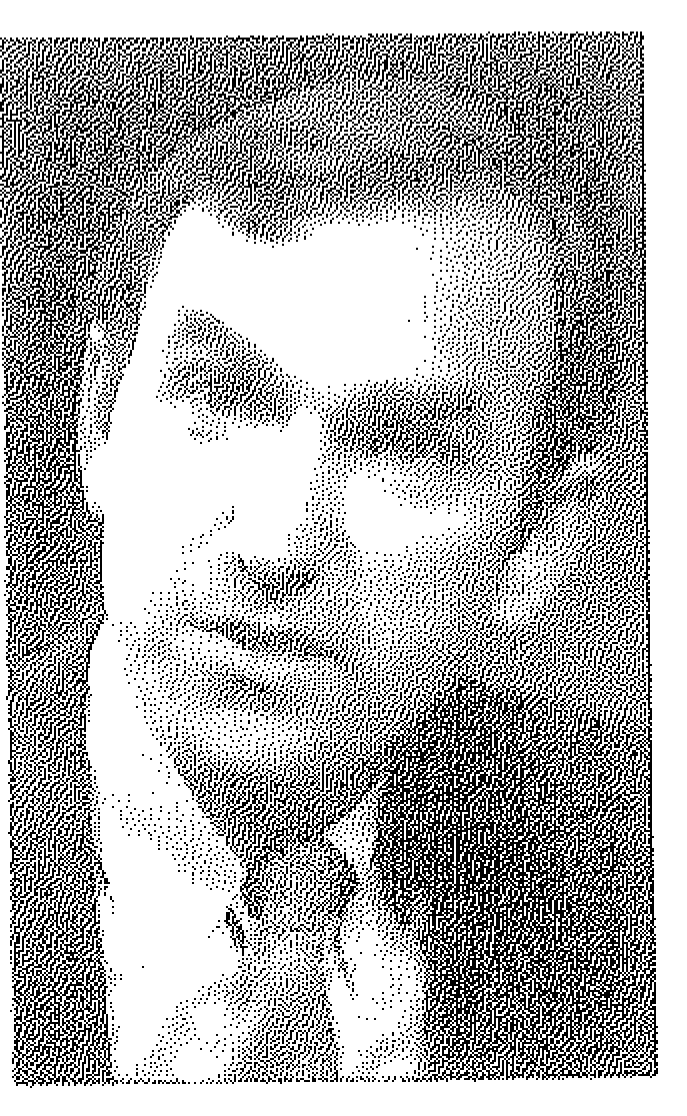


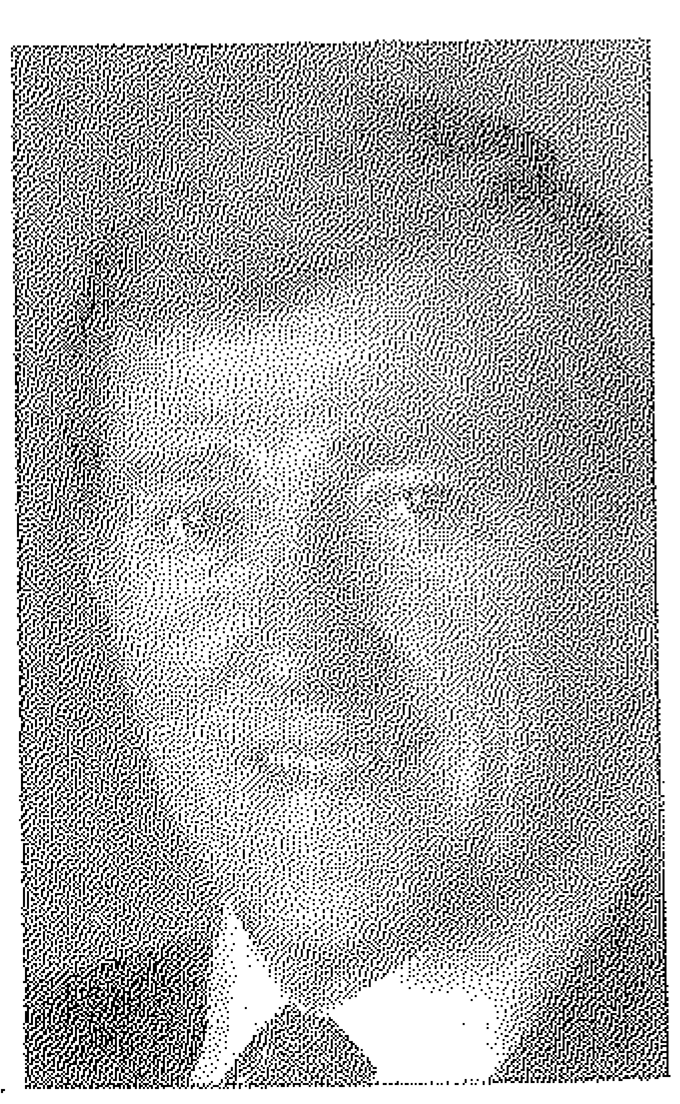


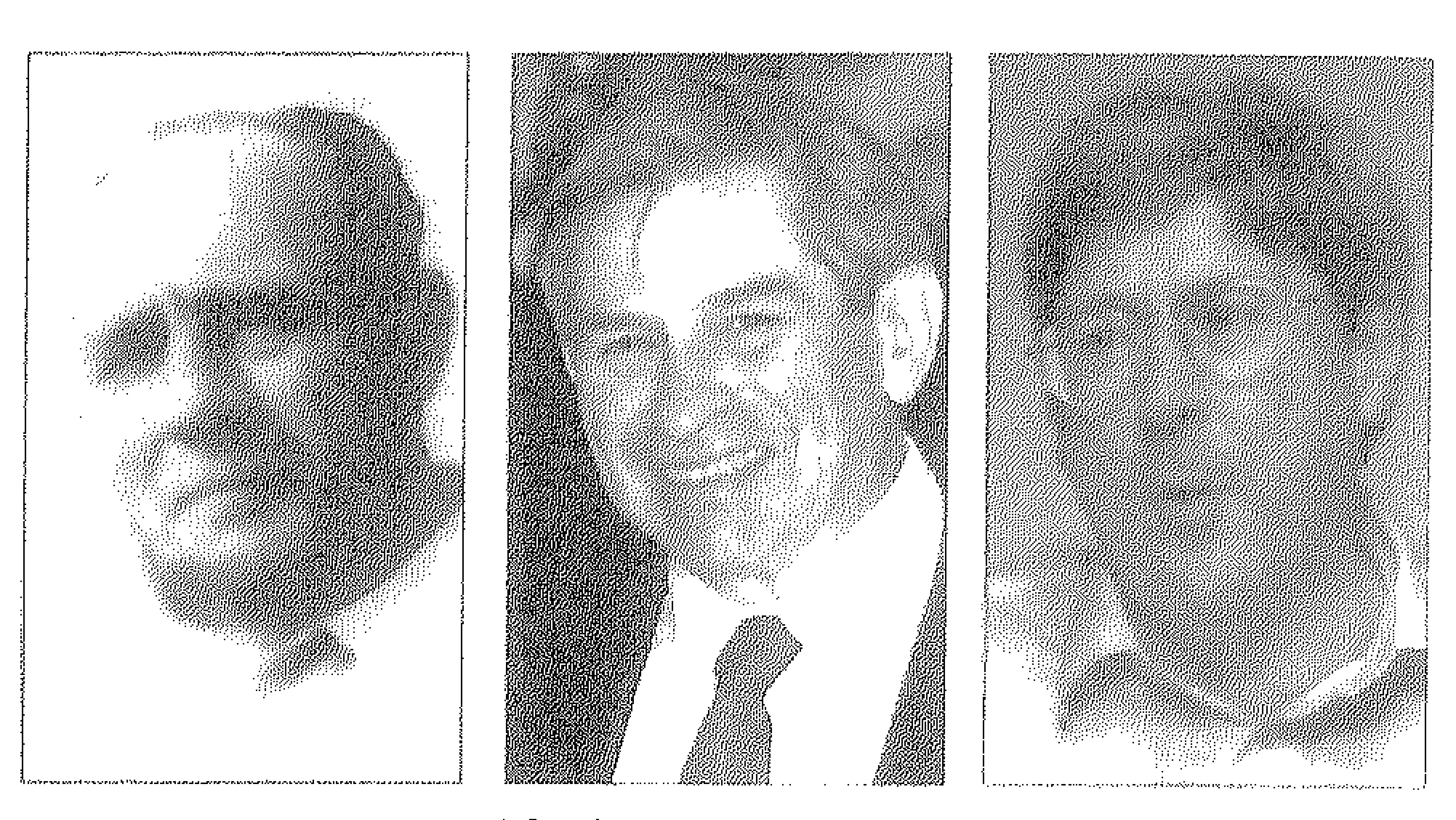


منذ مطلع السبعينيات، كان ريتشارد بيرل (اعلى اليسار) وفرانك غافني (وسط) عميلين مهمين للوبي الإسرائيلي في واشنطن العاصمة، وكانا يقومان بمهمتهما هذه خلال عملهما في مكتب السيناتور المتوفى هنري "سكوب" جاكسون الذي كان من أعضاء مجلس الشيوخ المتعصبين في تأييدهم لإسرائيل (أعلى اليمين). وخلال عمله ضمن طاقم موظفي مكتب السيناتور جاكسون، خضع بيرل للتحقيق من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالي حول تهم تتعلق بالتجسس لصالح إسرائيل، إلا أن التحقيق وئد في حينه ولم يكتمل. ويعتبر بيرل وغافني من أبرز شخصيات شبكة المحافظين الجدد. ومن الزملاء القدامى لبيرل: مايكل لدين عضو سابق في مجلس الأمن القومي في عهد حكومة ريغان، (أسفل اليسار)، وكان يدعو إلى "التدمير المبدع" للعالم العربي، وإليت أبرامز (أسفل الوسط) وهو صهر نورمان بودهورتز ("تروتسكي سابق" زميل الأب الروحي للمحافظين الجدد إيرفنغ كريستول)، ووزير البحرية السابق جون ليهمان (أسفل اليمين) الذي دخل مع بيرل في مشروع مشترك لترويج وتمثيل مصالح هيئات تصنيع السلاح الإسرائيلية. وشغل أبرامز منصب مستشار "متخصص" في شؤون الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي في حكومة جورج دبليو بوش. اما ليهمان فقد كان عضواً في اللجنة التي قامت "بالتحقيق" في هجمات الحادي عشر من سبتمبر الإرهابية.



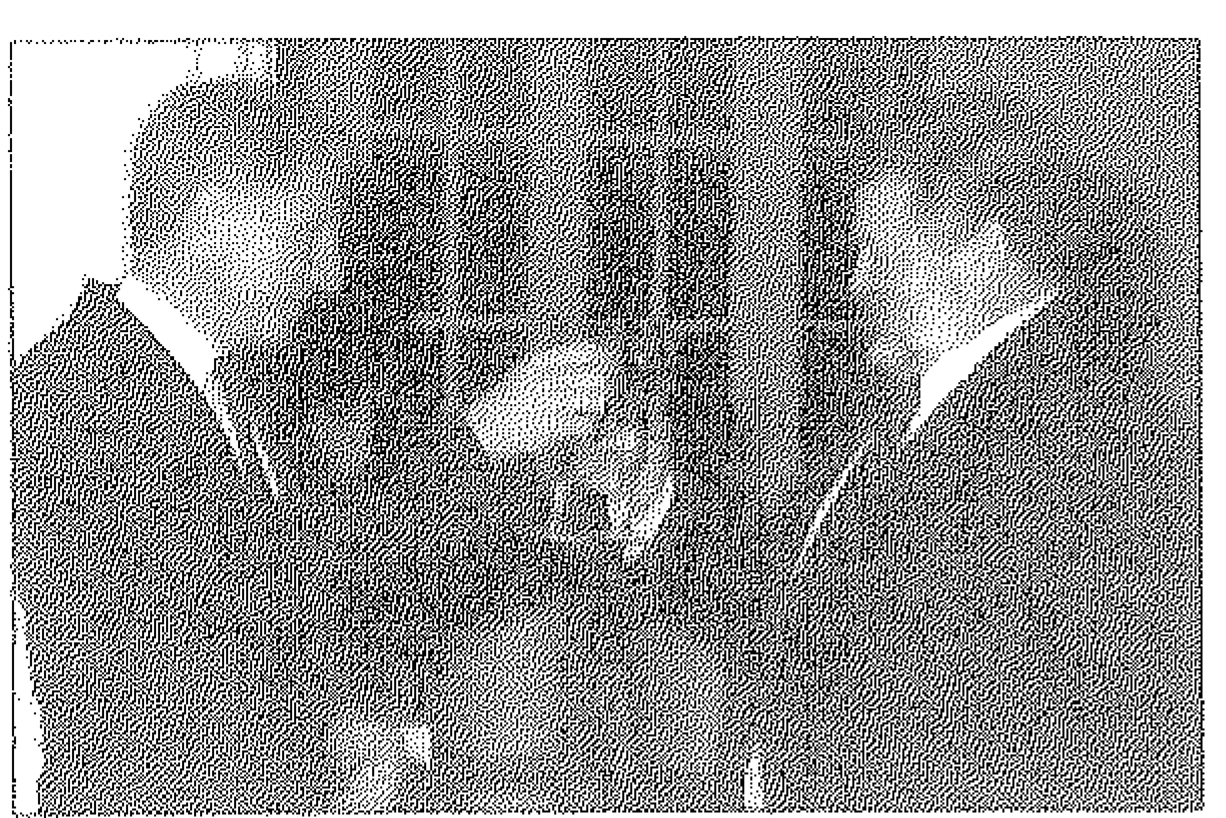
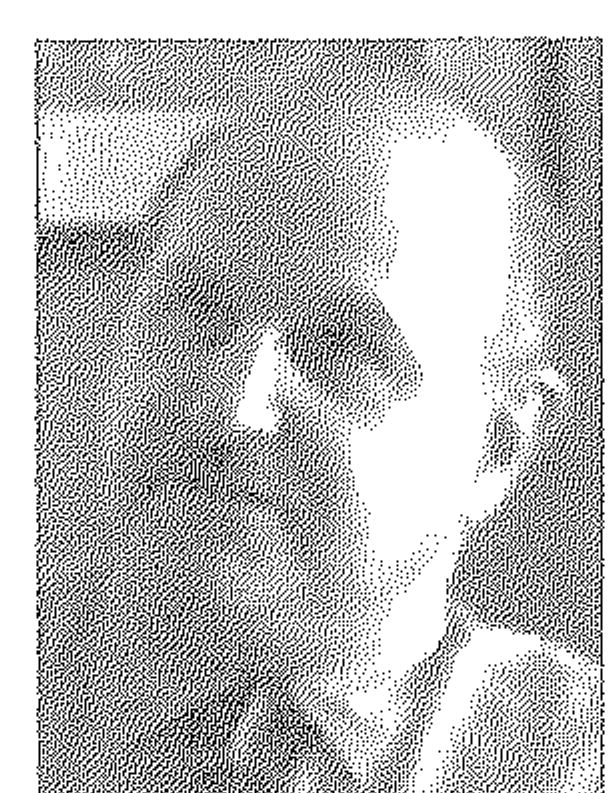






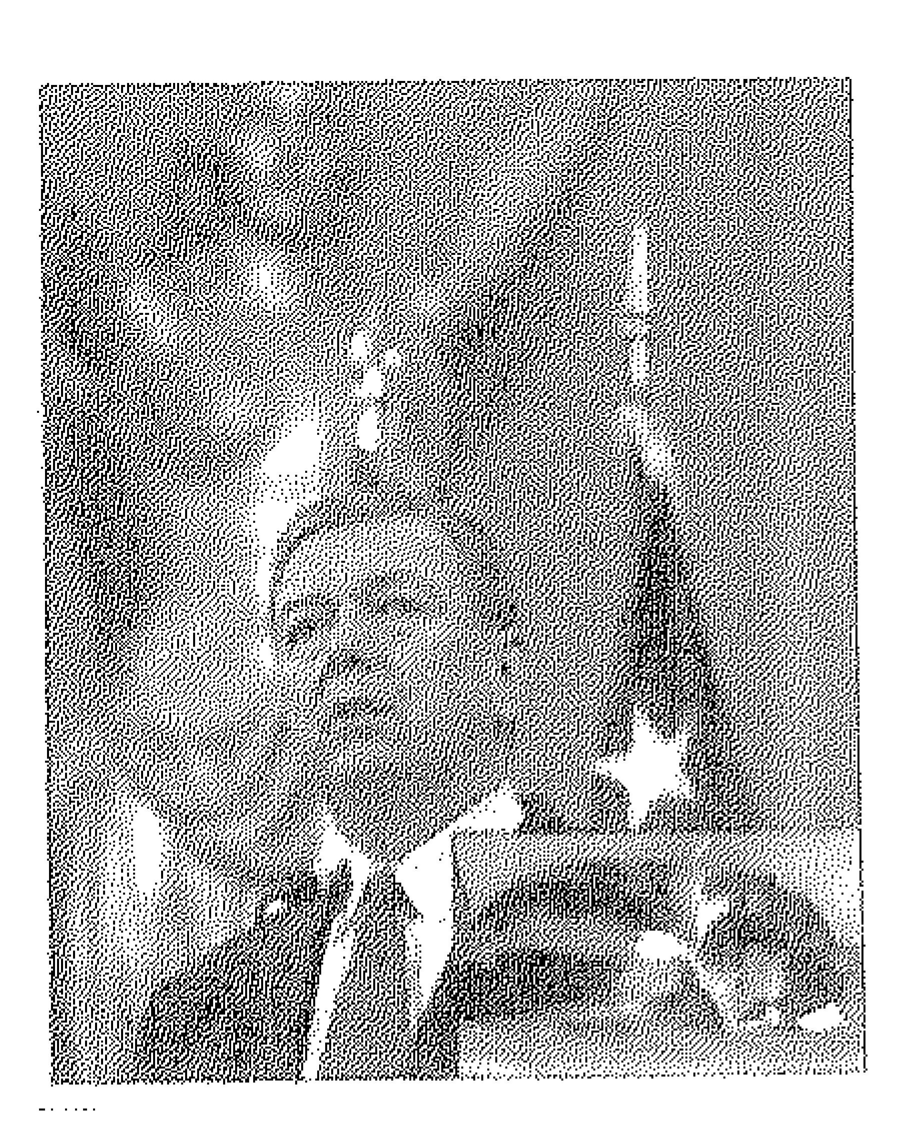
في الأيام الأخيرة لفترة حكم إدارة جيرالد فورد (1974 – 1976)، كان ريتشارد بيرل من الشخصيات المهمة في واشنطن العاصمة حيث كان منهمكاً في تنظيم وتعزيز "الفريق (ب)" الذي يضم متشددين موالين لإسرائيل ويهدف إلى تدعيم القضايا والمصالح الإسرائيلية داخل المؤسسات العسكرية والاستخباراتية في الولايات المتحدة. ومن بين موظفي وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية الذين عارضوا بشدة أجندة "الفريق (ب)" الراحل جون بيسلي (أعلى يسار الصفحة) وقد حاول العمل من خلف الكواليس لفضح تلك الأجندة ولكنه اغتيل – على الأرجح من قبل الموساد – قبل ان ينهي تلك المهمة. ومن بين ابرز صقور الحرب الذين جلبهم بيرل إلى "الفريق (ب)" بول وولفويتس (في اعلى الوسط) الذي يشغل منصب نائب وزير الدفاع (أما الآن فيرأس البنك الدولي) وهو من اقوى افراد حكومة بوش تأثيراً في مسائل السياسة الخارجية. ويعتبر وولفويتس ونائبه دوغلاس فايث (أعلى يمين الصفحة) القوة المحركة الحقيقية خلف وزير الدفاع دونالد رمسفيلد (أسفل يسار الصفحة). ومن تلاميذ وولفويتس لويس ليبي (أسفل الوسط) الذي يدير مكتب نائب الرئيس دك تشيني (أسفل يمين الصفحة). وقد أظهر تشيني ولاءه وإخلاصه لإسرائيل قبل تقلده منصب نائب الرئيس من خلال عضويته في مجلس المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي (جنسا) المرتبط بريتشارد بيرل.



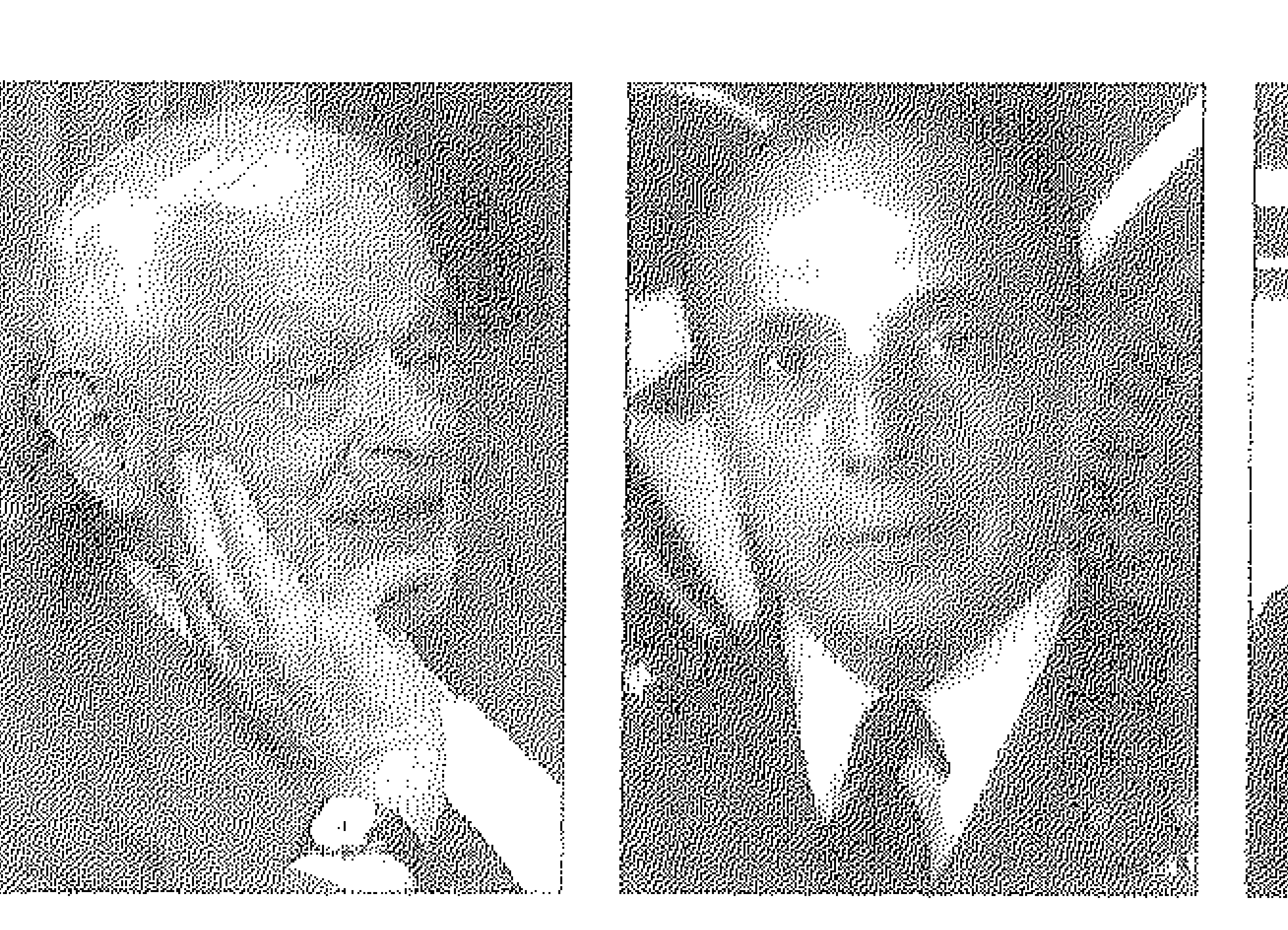



يظهر في هذه الصورة رجل الأعمال مايكل سابا (على اليسار) والصحفي المخضرم الذي أهدي لذكراه هذا الكتاب آندرو سينت جورج (يمين). وقد عمل الاثنان معاً لعدة سنوات لكشف فضائح التجسس الإسرائيلية التي تورط فيها ريتشارد بيرل ورفيقه القديم ستيفن براين (أقصى اليمين). وقد ألف سابا كتاباً حول قضية براين عنوانه الطريق إلى هرمجدون، بينما كتب صديقه آندرو سينت جورج عدة مقالات حول الموضوع نفسه في مطبوعة سباتلايت، وهي من المطبوعات القليلة التي تجاسرت على كشف تلك الفضيحة. وقد كان سابا وهو ناشط في قضايا الحقوق المدنية للعرب الأمريكيين موجوداً – بمحض الصدفة – في إحدى مقاهي واشنطن العاصمة وفي ذات الوقت الذي كان فيه براين يقدم أسراراً عسكرية إلى عملاء إسرائيليين. وقد سمع سابا – الذي كان جالساً جوار الطاولة المجاورة لبراين ورفاقه ويعرف براين جيداً – سمع الحديث الذي دار بينهم في تلك الجلسة، وقام بإبلاغ مكتب التحقيقات الفيدرالي بما شاهده وسمعه. وعلى الرغم من أن المدعي العام الفيدرالي الذي قام بالتحقيق كان يهودياً وطالب بإدانة براين بتهمة التجسس لصالح إسرائيل، إلا أن الضغوط التي مارسها حلفاء براين في المواقع العليا في الدولة أدت إلى إجهاض الإدانة. وتلقى براين فيما بعد مكافأة بتعيينه في وزارة الدفاع في حكومة رونالد ريغان حيث عمل نائباً لريتشارد بيرل. وقام بعدها بتأسيس المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي (جنسا) الذي يعتبر في الوقت الحاضر القوة الموجهة لسياسة حكومة بوش الخارجية.

لا تكتمل حلقة التعصب والجنون المنتشرة في دوائر المحافظين الجدد بدون أحد أشد الموالين لإسرائيل وأكثرهم إخلاصاً في واشنطن: المدعي العام الفيدرالي جون آشكروفت (على اليمين)

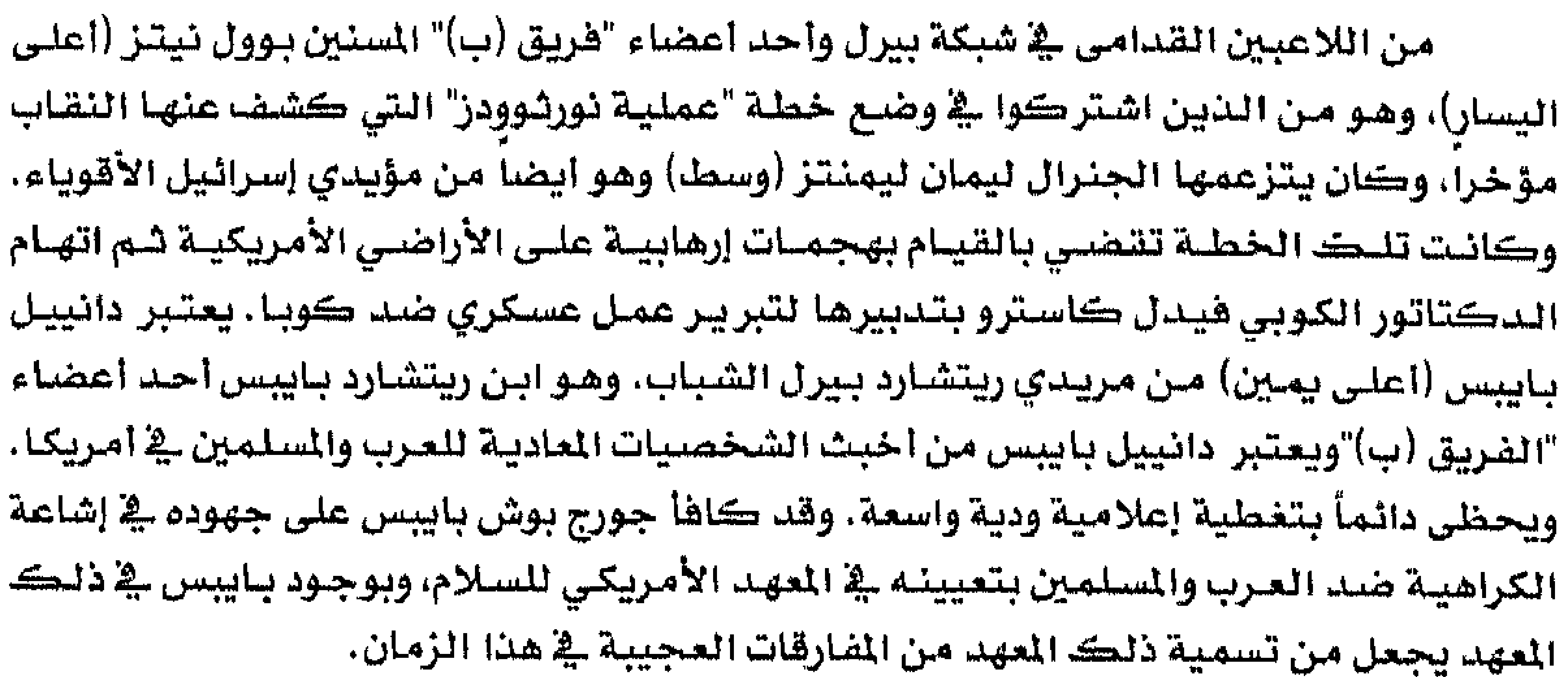


ويظهر آشكروفت في هذه الصورة التي التقطت في وزارة العدل وخلفه تمثال "روح العدالة". وقد أخذت هذه الصورة قبل أن يقوم آشكروفت بصرف مبلغ 8 آلاف دولار من أموال الضرائب لتغطية الصدر العاري في هذا العمل الفني الذي جرح إحساسه. ويقال أن آشكروفت يتشاءم من حشرة قطة الكاليكو لأنها بحسب اعتقاده الديني تعتبر "أداة من أدوات الشيطان". وقد وصف آشكروفت النشاطات المريبة لعملاء الاستخبارات الإسرائيلية على الأراضي الأمريكية قبل وفي ذات اليوم الذي وقعت فيه هجمات الحادي عشر من سبتمبر بأنها "أساطير مدنية". وهي ليست كذلك.



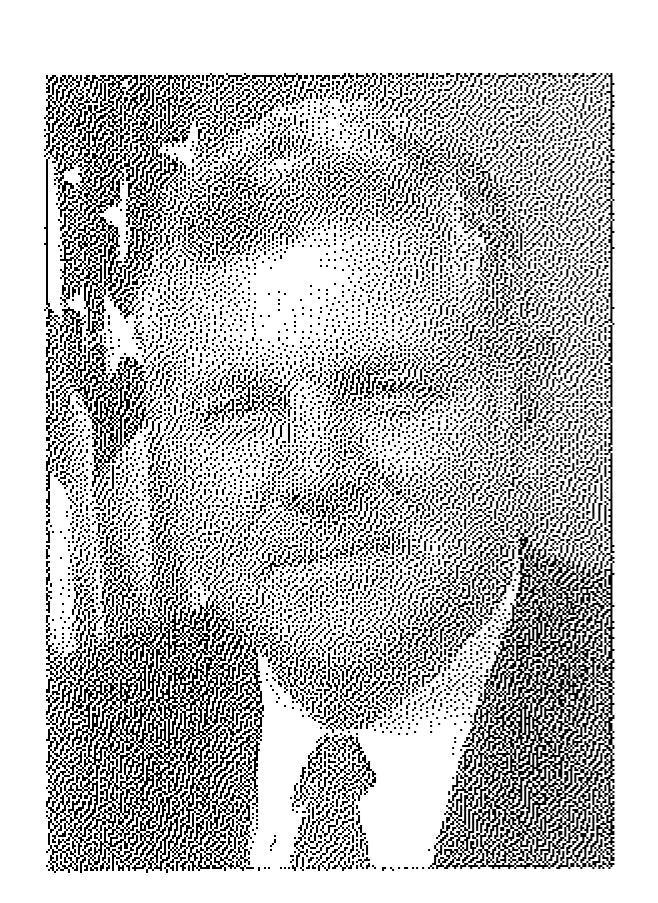
من اللاعبين القدامى في شبكة بيرل وأحد أعضاء "فريق (ب)" المسنين بوول نيتز (أعلى اليسار)، وهو من الذين اشتركوا في وضع خطة "عملية نورثوودز" التي كشف عنها النقاب مؤخراً، وكان يتزعمها الجنرال ليمان ليمنتز (وسط) وهو أيضاً من مؤيدي إسرائيل الأقوياء. وكانت تلك الخطة تقضي بالقيام بهجمات إرهابية على الأراضي الأمريكية ثم اتهام الدكتاتور الكوبي فيدل كاسترو بتدبيرها لتبرير عمل عسكري ضد كوبا. يعتبر دانييل بايبس (أعلى يمين) من مريدي ريتشارد بيرل الشباب، وهو ابن ريتشارد بايبس أحد أعضاء "الفريق (ب)"ويعتبر دانييل بايبس من أخبث الشخصيات المعادية للعرب والمسلمين في أمريكا، ويحظى دائماً بتغطية إعلامية ودية واسعة. وقد كافأ جورج بوش بايبس على جهوده في إشاعة الكراهية ضد العرب والمسلمين بتعيينه في المعهد الأمريكي للسلام، وبوجود بايبس في ذلك المعهد يجعل من تسمية ذلك المعهد من المفارقات العجيبة في هذا الزمان.

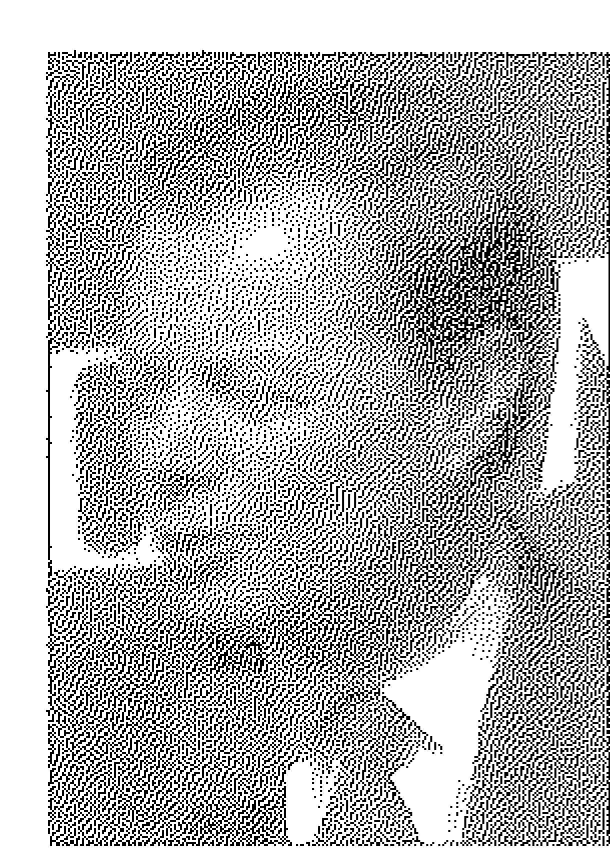
كان الصحافي كريستوفر بولين سباقاً في الكشف عن أن رموز المحافظين الجدد قد قاموا بالفعل بالدعوة والإعلان عن أن "بيرل هاربر جديدة" قد تقدم الذريعة للولايات المتحدة لقيامها بحملة نحو تحقيق الهيمنة العالمية. وهو ما حدث بالفعل عندما قام بوش بشن الحرب ضد العراق، مضللاً الشعب الأمريكي بأكاذيب بحتة بأن العراق لعب دوراً في هجمات الحادي عشر من سبتمبر الإرهابية.



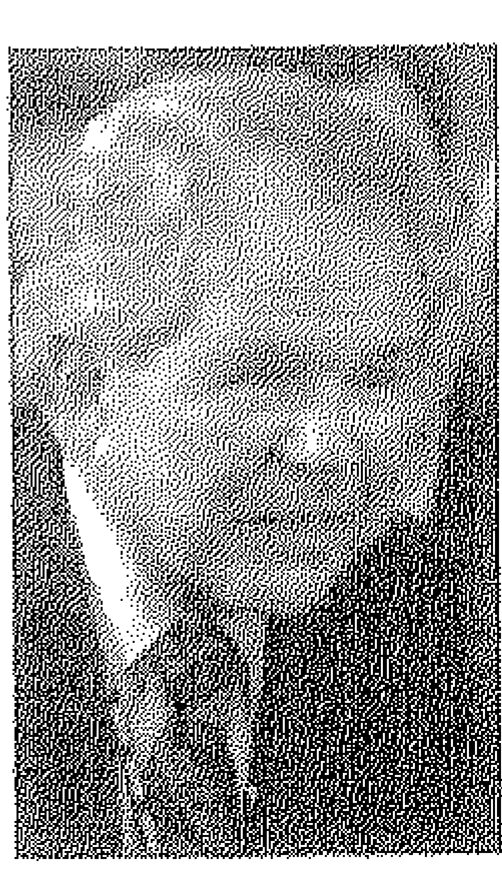


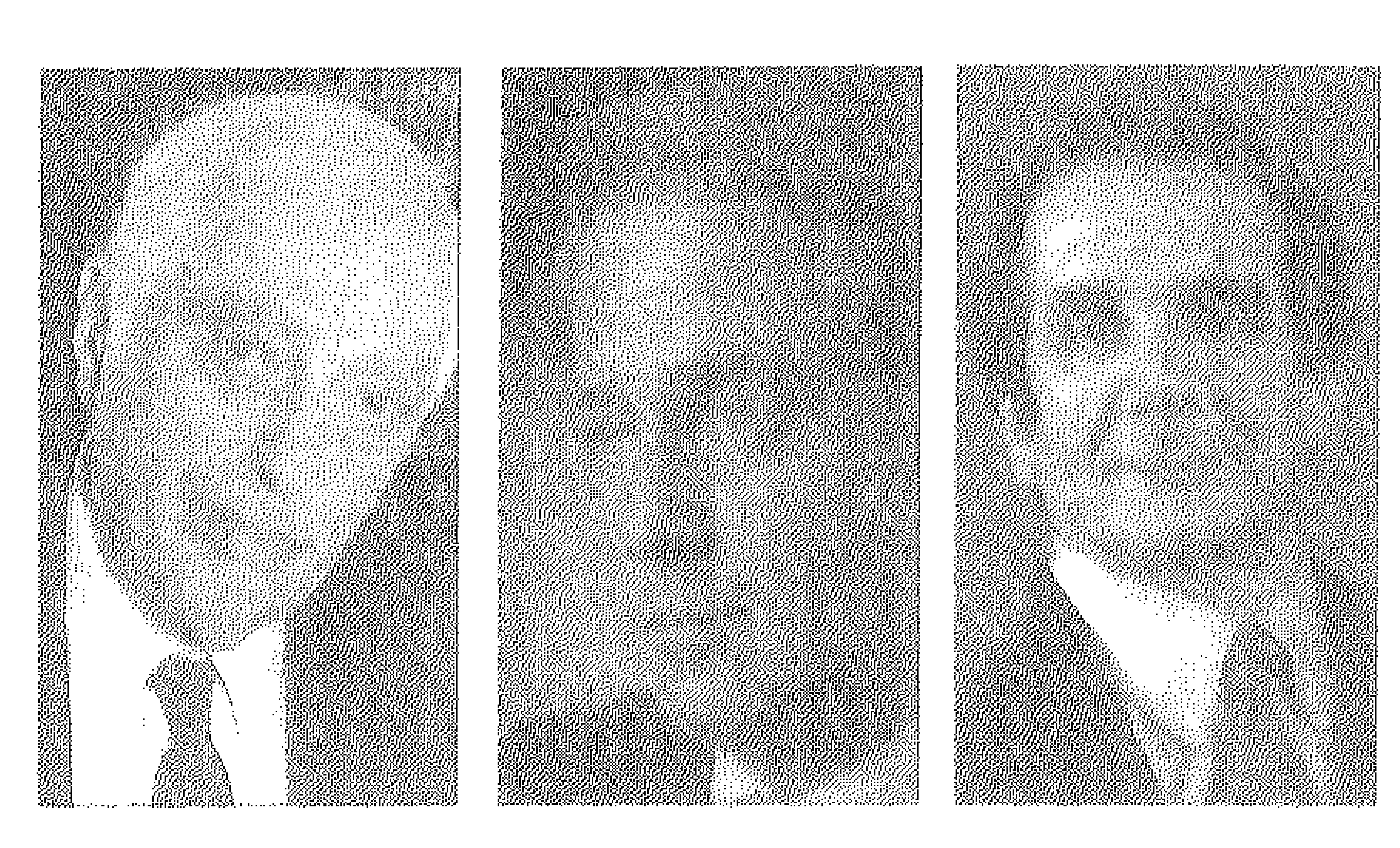
والحقيقة أن هنري كيسنجر وإلى وقت يعود إلى عام 1975 كان قد اقترح بأن حرباً في الشرق الأوسط من شأنها أن تقدم الأساس الذي يبنى عليه عالم متوازن من جديد على غرار ما يحلم به المحافظون الجدد.





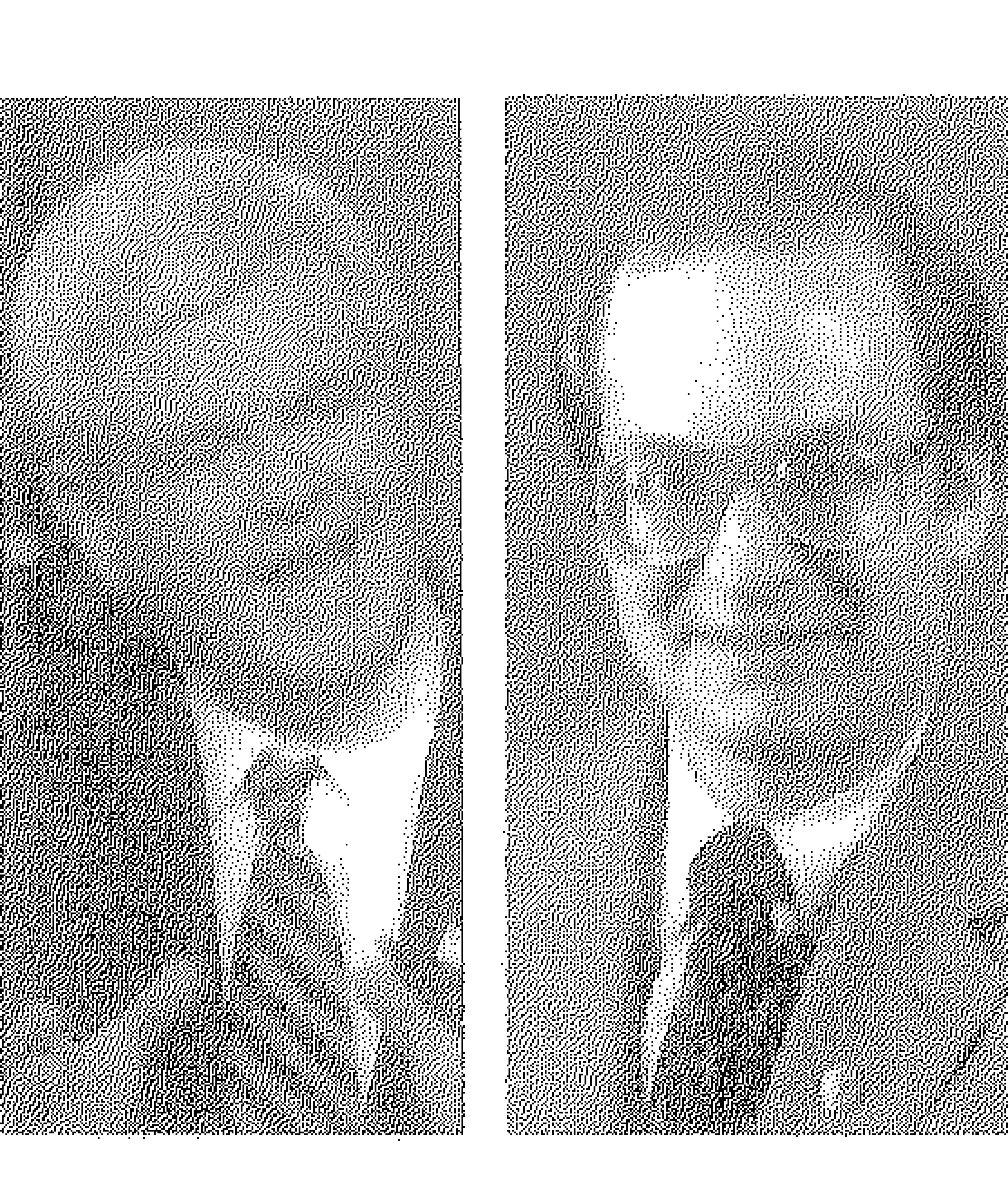
ثلاث شخصيات عملت على الترويج للأجندة الإسرائيلية داخل ما يسمى "اليمين المسيحي" وكلهم مدينون في مراكزهم لرعاية ويليام وإيرفنغ كريستول. وهم ويليام بنيت (يسار الصفحة) وكان قد شغل منصب وزير التعليم في حكومة رونالد ريغان بدعم وتنسيب من إيرفنغ كريستول. وقام بنيت بدوره بوضع وليام كريستول في أول وظيفة حكومية رفيعة المستوى. ومنذ ذلك الحين أصبح بنيت مؤلفاً ومحاضراً مرموقاً يتقاضى مكافآت مجزية. وهو يعمل الآن في إمباور أمريكا التابعة لكريستول. السفير السابق آلن كيز (وسط) كان رفيق ويليام كريستول وشريكه في سكن الجامعة، جني كثيراً من الأموال أثناء سعيه في الترشيح لعدد من المناصب، إذ كان يجود على نفسه برواتب مرتفعه من حسابات حملاته الانتخابية. أما غيري باور (أعلى يمين) الذي يتشارك مع كريستول في ملكية منتجع سياحي، فقد أعلن أن دعم إسرائيل يعتبر أمراً جوهرياً في "القيم المسيحية الأسرية". ويقول النقاد بأن قيام كل من كيز وباور بالدخول في سباق الترشيح للرئاسة الأمريكية عن الحزب الجمهوري عام 2000 مع علمهما المطلق بعدم وجود أي فرصة لهما بالفوز كان بهدف تضييع فرص بات بيوكانان – أحد منتقدي إسرائيل – في الحصول على نسبة معتبرة من أصوات اليمين المسيحي الذي كان يحظى بشعبية في صفوفه بسبب معارضته للإجهاض. ومن الأشخاص الأكثر تأثيراً في صفوف اليمين المسيحي: جيري فالويل (أسفل يسار) وبات روبرتسون (أسفل وسط) وتم ليهي (أسفل يمين). وهؤلاء الثلاثة مشتهرون ببرامجهم الدينية التي يبثونها عبر قنوات الكيبل والأقمار الصناعية، وقد جنوا أرباحاً طائلة عن طريق صفقات بث ونشر مواد إعلامية ما كانت ممكنة لولا مباركة الأسر والمصالح المؤيدة لإسرائيل التي تملك تأثيراً لا يمكن إنكاره في الإعلام الأمريكي.

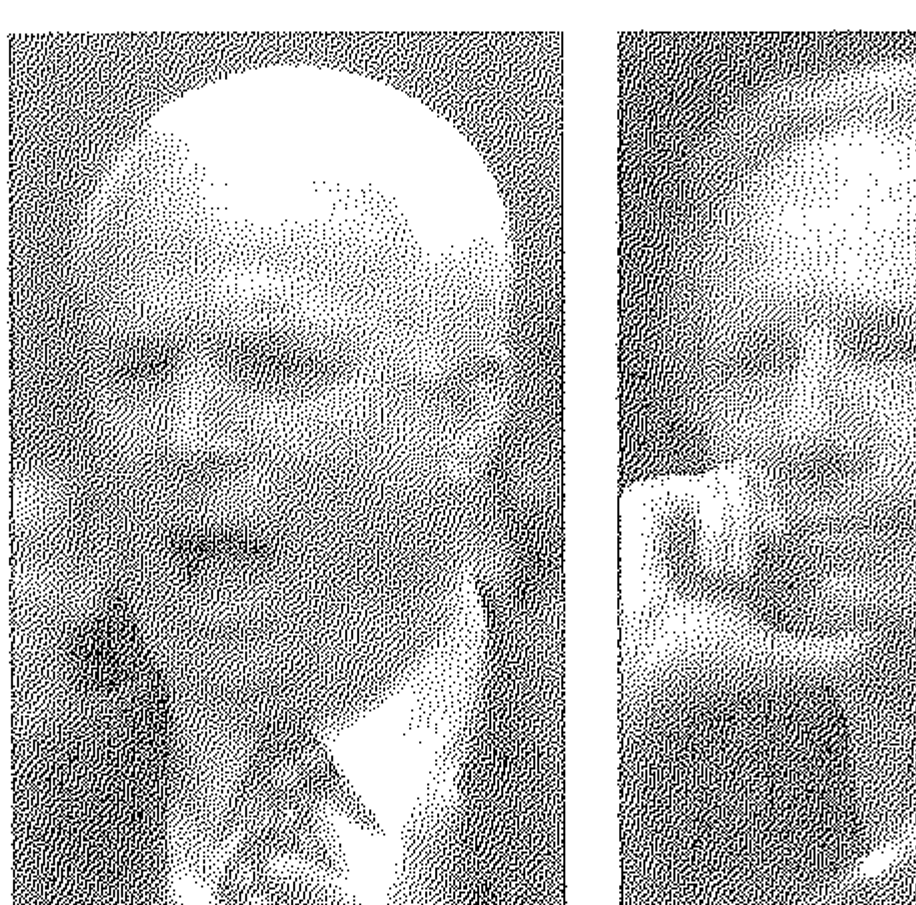
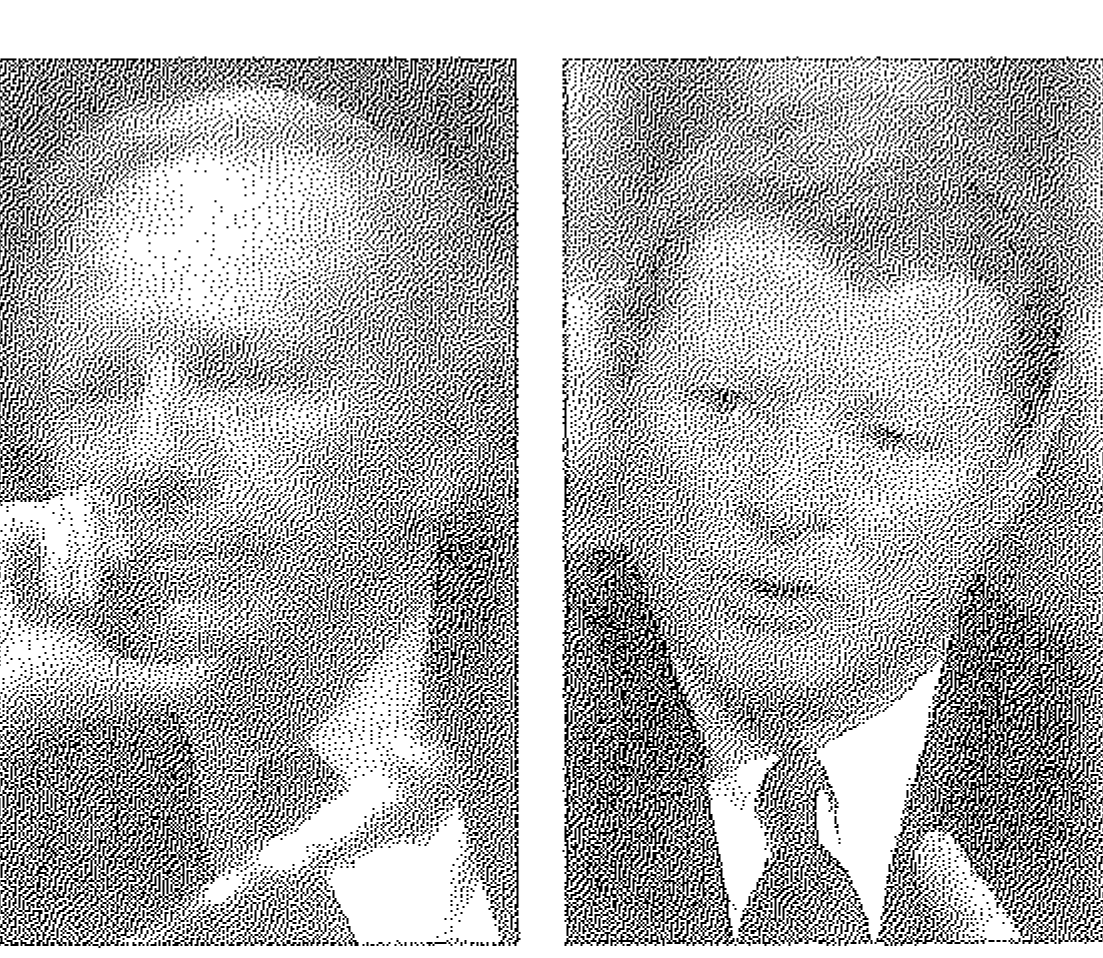



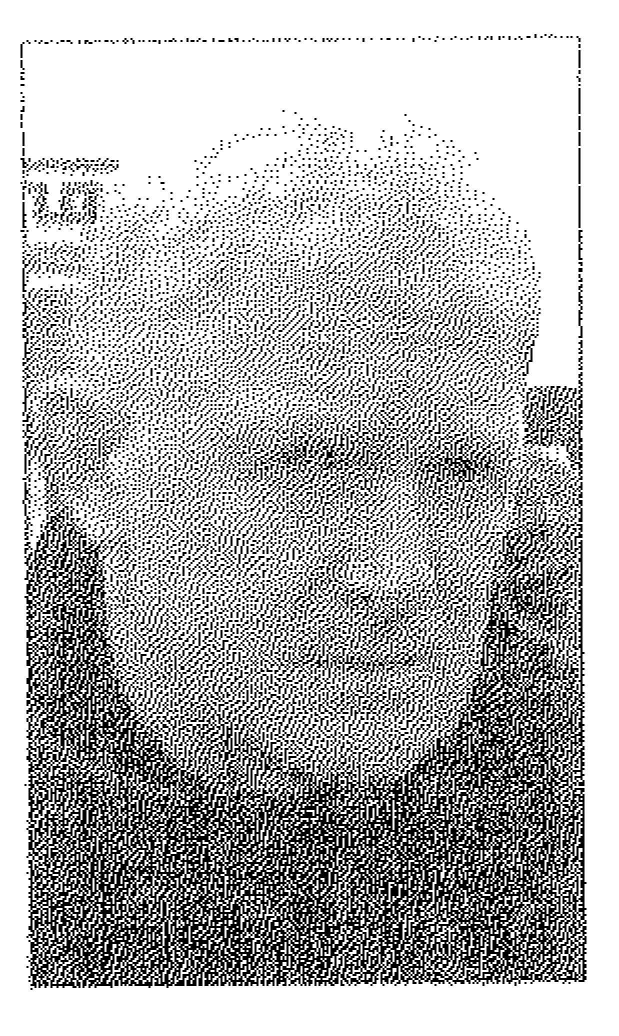
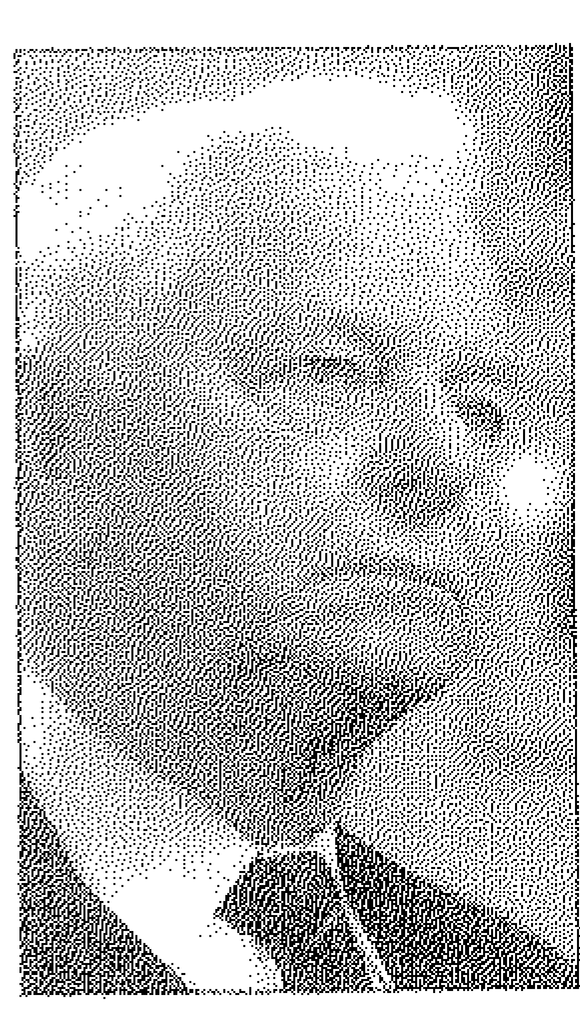
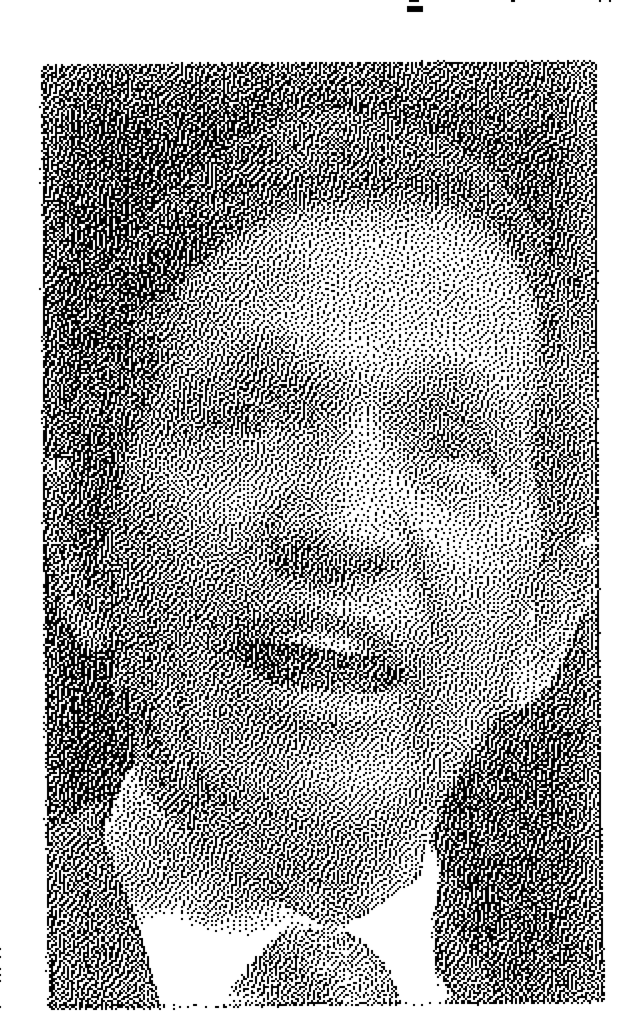
عندما يرغب الذين يسيطرون على وسائل الإعلام في استضافة وجه "أكاديمي" لترويج الحرب على العالمين العربي والإسلامي فإنهم يصوبون وجههم نحو برنارد لويس (أعلى يسار)، وهو يهودي بريطاني المنشأ، ويسوّق على أنه "مرجعية" في شؤون العالم الإسلامي دون أي ذكر لجذوره اليهودية. ولويس هذا الذي يضع حقده وتعصبه في قالب لغوي أنيق، هو أب لأحد كبار الشخصيات في الإيباك، اللوبي الإسرائيلي. أما عندما ترغب وسائل الإعلام في عرض القصص المثيرة حول المؤامرات العربية، فإنها تؤجج نظريات ستيفن إمرسون الذي يدعى "خبير الإرهاب" (في أعلى الوسط) وهو ليس "بخبير" ولكنه كاتب يتقاضى مكافآت مالية مجزية من عدد من المصادر المؤيدة إسرائيل. ومن الأصوات المجلجلة في نشر الحقد والكراهية التابعة لشبكة المحافظين الجدد الطبيب النفساني الذي تحول إلى "صحافي خبير" تشارلز كروتهامر (أعلى يمين) الذي ينادي بقيام الولايات المتحدة بشن حرب شاملة ضد العالم الإسلامي - متخطيا بذلك جراءة جورج ويل في شغفه غير المتناهي في الحديث عن عظمة إسرائيل ورمي كل من ينتقدها بأشنع الألقاب والصفات.

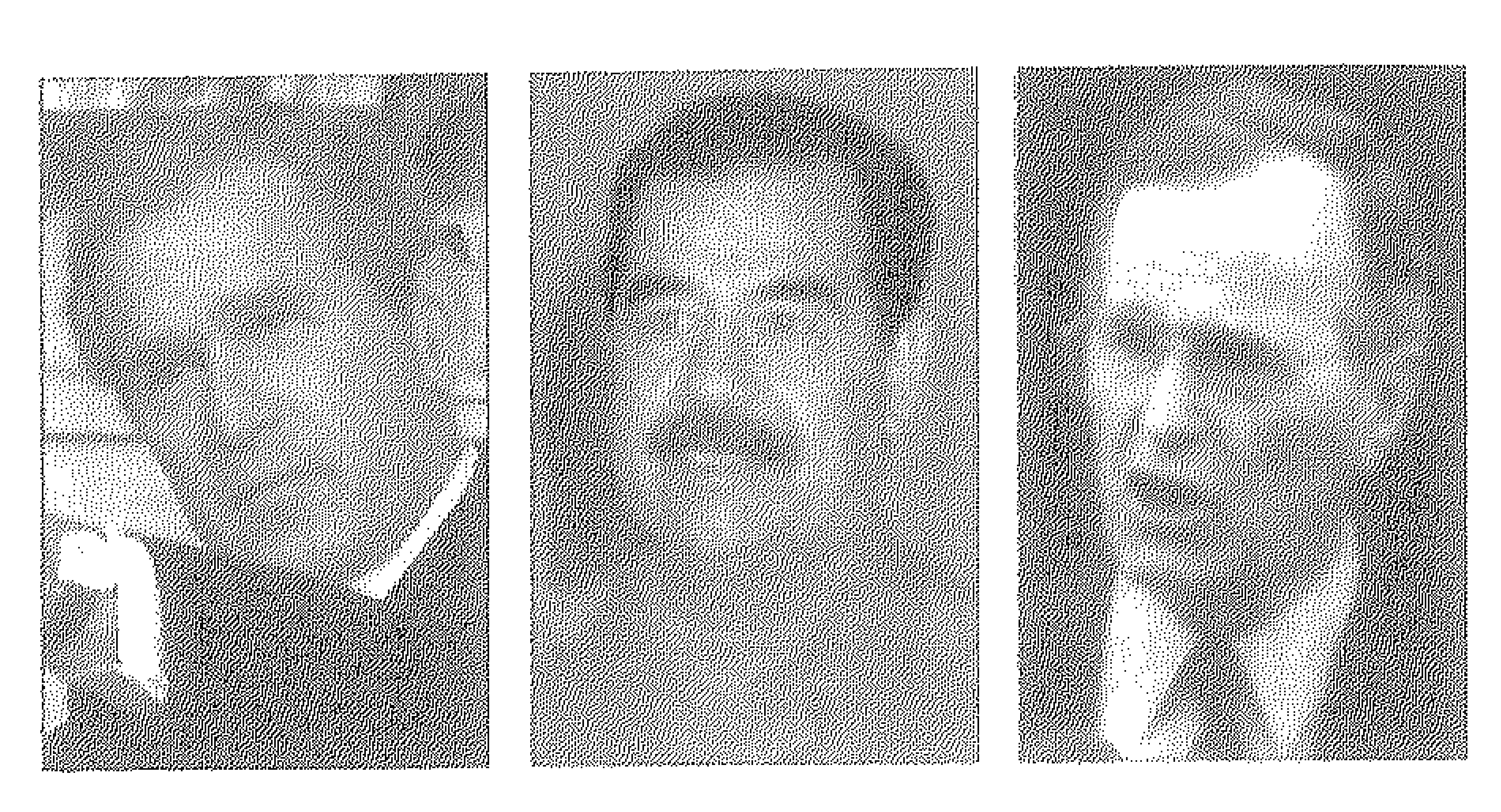
من بين الأصوات المسموعة المروجة لأجندة المحافظين الجدد، عضوان سابقان في الكونغرس هما نوت غينغرتيش (يسار) وفن ويبر (يمين). وقد حصلت زوجة غينغريتش على مكافآت مالية مجزية عندما كان زوجها في الكونغرس. وعندما أجبر ويبر على التخلي عن مقعده في الكونغرس على إثر فضيحة جنسية اسعفه تأييده لإسرائيل، إذ قام وليام كريستول بتعيينه مديراً في إمباور أمريكا. كما تم جلب كل من ويبر وغينغريتش إلى مجلس العلاقات الخارجية، وهو النموذج الأمريكي لمعهد العلاقات الدولية في لندن الذي تموله أسرة الروثتشايلد.



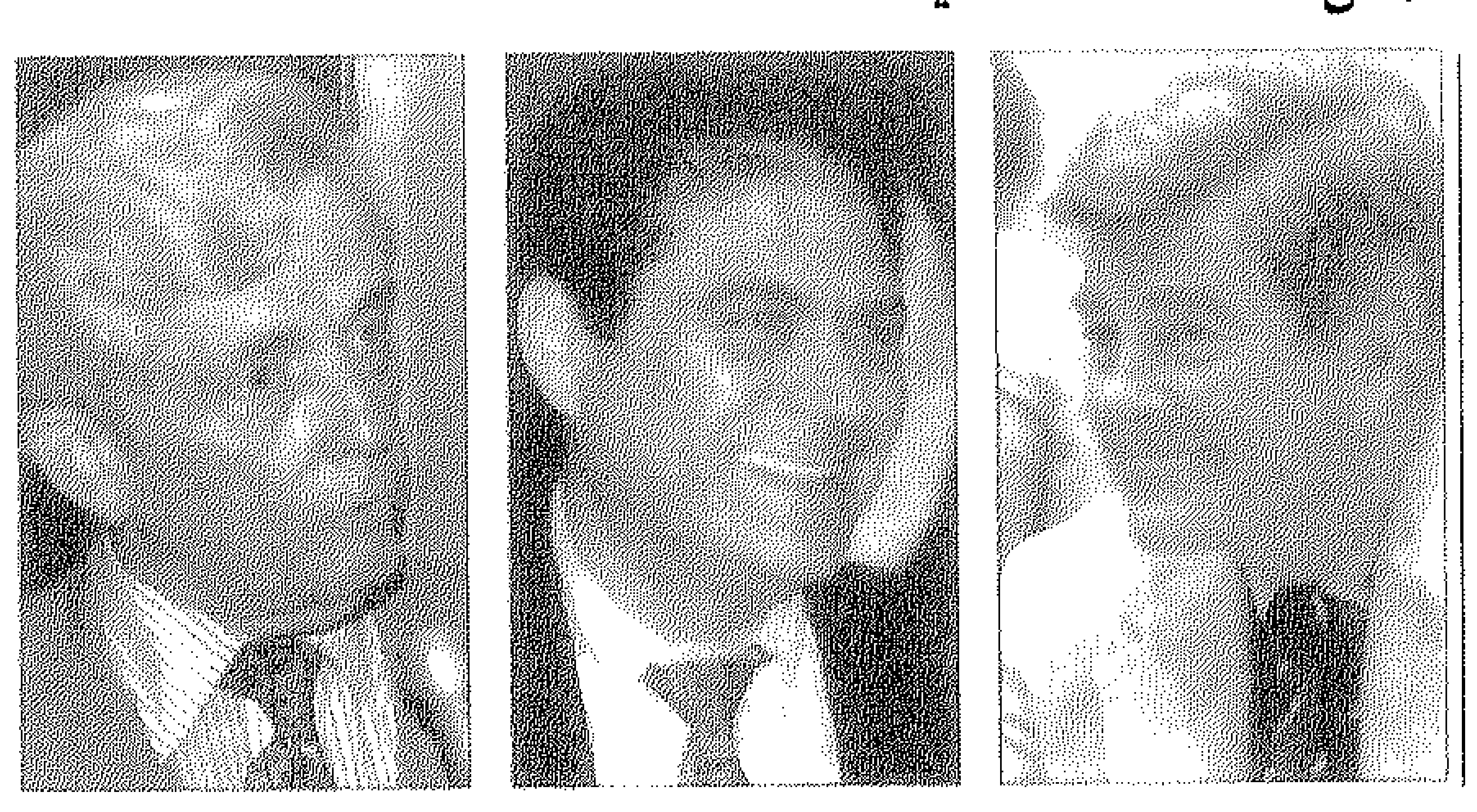



السيناتور جون ماكين (جمهوري من ولاية آريزونا) (أعلى يسار الصفحة) وجو ليبرمان (ديمقراطي من ولاية كاناكيتكت) (في الوسط) كانا من أقوى دعاة الحرب ضد العراق في الكونغرس، ومن المؤيدين المغالين لإسرائيل في مجلس الشيوخ. أما السيناتور جيمس إنهوف (أعلى يمين) وهو جمهوري من ولاية أوكلاهوما، فكان قد أعلن من على منصة مجلس الشيوخ أن الرب قد فتح باباً روحانياً على الولايات المتحدة عندما سمح بوقوع هجمات الحادي عشر من سبتمبر لأن الولايات المتحدة لم تكن تدعم إسرائيل بما فيه الكفاية. وفي الجهة المعاكسة تعرض عضو مجلس النواب النائب جم موران، وهو ديمقراطي ليبرالي من ولاية فرجينيا (أدنى اليسار)، لحملة إساءة وتشهير من قبل وسائل الإعلام بسبب إيحائه بأن الجالية اليهودية الأمريكية تملك نفوذاً كافياً يمكنها من وقف الاندفاع نحو الحرب على العراق. وقد نقلت وسائل الإعلام بصورة عابرة وللمرة واحدة فقط علماً بأن تعليقات موران جاءت في معرض إجابته عن سؤال وجه إليه من مواطن يهودي معارض للحرب من الدائرة الانتخابية التي يمثلها موران. السيناتور روبرت بيرد (ديمقراطي من فرجينيا الغربية) والنائب دينيس كوسينتش (يمين) ديمقراطي من ولاية أوهايو يعتبران من أبرز وأبلغ أعضاء الكونغرس المناوئين لمخططات المحافظين الجدد التي تدفع نحو زج الولايات المتحدة في الحرب. وقد استطاعت شبكات وسائل الإعلام التي يملكها أنصار إسرائيل أن تقتص من كوسينتش بفرض تعتيم إعلامي شامل على حملته لخوض انتخابات الرئاسة الأمريكية عام في 2004 عن الحزب الديمقراطي.



يكثر الرئيس جورج دبليو بوش (أعلى اليسار) في وصفه الرئيس العراقي صدام حسين (أعلى الوسط) من استخدام عبارة "الرجل الذي حاول قتل أبي" مشيراً بذلك إلى نظرية مؤامرة واهية لا أساس لها من الصحة تقول بأن صدام حسين وضع مؤامرة لاغتيال الرئيس السابق جورج هيربرت واكر بوش (أعلى اليمين)، وما لم يذكره بوش الأصغر هو أن النائب الجمهوري السابق بول فندلي عن ولاية إلينوي (أسفل اليسار) وأحد أصدقاء بوش الأب، قد كشف عام 1992 ان فيكتور اوستروفسكي (أسفل الوسط) الضابط السابق في جهاز الموساد الإسرائيلي قد كشف النقاب عام 1991 عن مؤامرة أعدت لها فئة من الجناح اليميني في الموساد الإسرائيلي لاغتيال بوش الأب الذي كان يعتبر خطراً على إسرائيل. وقدم اوستروفسكي تفاصيل تلك الخطة إلى النائب السابق في الكونغرس بيت ماكلوسكي (أسفل اليمين)، وهو صديق آخر لبوش الأب، والذي قام بدوره بإبلاغ الحرس السري بتلك الخطة. وقد ذكر اوستروفسكي في كتابه المنشور عام 1994 بعنوان "الجانب الآخر من الخداع" أن جهاز الموساد خطط لاغتيال الرئيس السابق جورج بوش اثناء حضوره مؤتمراً في مدريد. وقد سربت الموساد عقب إلقائها القبض على ثلاثة فلسطينيين "متشددين" معلومات إلى الشرطة الإسبانية بأن إرهابيين في طريقهم إلى مدريد. وكانت الخطة تهدف إلى اغتيال بوش، وإطلاق سراح الفلسطينيين في مسرح العملية وقتلهم على الفور. وبذلك يتم توجيه اللوم في اغتيال بوش على الفلسطينيين – في عملية "راية خادعة". ويلاحظ أن وسائل الإعلام لم تذكر شيئاً ولو لمرة واحدة عن هذه القصة الفظيعة.



الهوامش

❖ بلغ عدد قتلى الجيش الأمريكي حسب الإحصاء الرسمي حتى تاريخ ترجمة هذا الكتاب 1715 جندياً (من غير احتساب المتعاقدين مع وزارة الدفاع والذين يقدمون خدمات مختلفة للجيش الأمريكي) والجرحى 12855. وهناك مواقع رسمية وغير رسمية تنشر تلك الإحصاءات مثل:

http: //www.washingtonpost.com/wp srv/world/iraq/casualties/ facesofthefallen.htm
http: //www.militarycity.com/valor/honor.html
http: //icasualties.org/oif/
http: //news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/3019552.stm
http: //www.centcom.mil/CENTCOMNews/casualties.as
http: //www.iraqbodycount.net/ p

❖ جميع الهوامش المدرجة على هذا الشكل (❖) هي للمترجم، أما الهوامش المتسلسلة حسب الأرقام فهي للمؤلف كما وردت في الأصل.

❖ يحسن بنا أن نشير إلى أن الرئيس بوش وفي أثناء المناظرة التي جرت بينه وبين مرشح الحزب الديمقراطي جون كيري في 30 سبتمبر/أيلول 2004 قبيل الانتخابات الرئاسية قد قال في معرض إجابته عن سؤال يتعلق بالاحتلال الأمريكي للعراق جاء فيه: "إن العراق المحرر سيكون حليفاً في الحرب ضد الإرهاب، وهذا أمر ضروري. إن العراق المحرر سيكون نموذجاً يحتذى به في ذلك الجزء من العالم الذي يفتقر إلى الحرية. إن العراق المحرر سيساعد في جلب الأمان لإسرائيل...".

وفي مناسبة أخرى، أبدى عدد من أعضاء الكونغرس اليهود غضبهم واستنكارهم لما جاء في شهادة ري ماكغفرن Ray McGovern أحد

المحللين السابقين في وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (سي آي إيه) لأنه قال بأن إسرائيل كانت وراء الحرب على العراق. وجاء في شهادته أمام لجنة من الكونغرس كانت تستمع إلى شهادات بخصوص مذكرات داونينغ ستريت Downing Street Memo وجاء في الشهادة أن الحرب على العراق قد شنت "لكي تتمكن الولايات المتحدة وإسرائيل من السيطرة على ذلك الجزء من العالم..". واستنكر العضوان اليهوديان جيرولد نادلر (ديمقراطي من نيويورك) وبارني فرانكس (ديمقراطي من ماسيتيوستش) تلك التصريحات ونسباها إلى مشاعر معاداة السامية والتعصب ضد إسرائيل. (أنظر البيان الصحفي المنشور على موقع عضو الكونغرس نادلر بتاريخ 17 يونيو/حزيران 2005.

- ❖ المقصود هنا هم أعضاء جمعية جون بيرتشر John Bircher وهي جمعية محافظة نشطة تنادي بمحاربة الشيوعية والاشتراكية والفاشية وتناهض هيئة الأمم المتحدة، وتدعو إلى تقليص دور الحكومة الأمريكية تصدر العديد من الكتب والمنشورات وتنظم المحاضرات وغيرها من النشاطات السياسية والاجتماعية. تأسست في مدينة إنديانابوليس ولاية إنديانا عام 1958 وسميت على اسم جون بيرتش وهو ضابط برتبة نقيب في الجيش الأمريكي قتل في الصين على يد القوات الشيوعية الصينية بعد عشرة أيام من انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945.

- ❖ مجلة كاثوليكية تعنى بالشؤون الدينية والسياسية والاجتماعية، تصدر مرة كل أسبوعين في نيويورك.

- ❖ ووجه المفارقة هنا أن فلسفة المحافظين من حيث المبدأ تنادي بحصر دور الحكومة في أضيق نطاق ممكن، ومعارضة البرامج الاجتماعية التي ترعاها الدولة لأنها من سمات الاشتراكية التي ينفرون منها بالفطرة.

وهم في الغالب يعيبون على الديمقراطيين شغفهم بتوسيع دور الحكومة ومؤسساتها البيروقراطية.

❖ New Deal يشير هذا المصطلح إلى سياسات الإصلاح الاقتصادي التي اقترحها الرئيس الأمريكي السابق من الحزب الديمقراطي فرانكلن روزوفلت عام 1933 لإنقاذ البلاد من حالة الانهيار الاقتصادي التي عانت منها بين أعوام 1921 – 1941.

❖ تشير الخطة العادلة إلى البرنامج التشريعي الذي اقترحه الرئيس الأمريكي السابق هاري ترومان – وهو أيضاً من الحزب الديمقراطي – عام 1949 تكمل ما جاء في "New Deal" بهدف الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي كزيادة الحد الأدنى من الأجور ومساعدة المزارعين، وتوسيع مظلة الضمان الاجتماعي، وسن القوانين التي تحارب الممارسات العنصرية، وتقديم الإعانات الحكومية في التعليم والرعاية الصحية والإسكان. إلا أن تحالفاً من الجمهوريين وأعضاء الحزب الديمقراطي من الولايات الجنوبية أحبط معظم بنود هذه الخطة.

❖ المقصود هنا الفترة من عام 1960 إلى عام 1963 وهي فترة حكم الرئيس الأمريكي السابق جون إف كينيدي (وهو أيضاً من الحزب الديمقراطي) وينظر إلى هذه الفترة في التاريخ الأمريكي بأنها كانت تعد بمستقبل مشرق وإنجازات كبيرة إلا أنها انتهت بالحادثة المأساوية لاغتيال كينيدي.

❖ هي خطة اقترحها الرئيس السابق ليندون جانسون (ديمقراطي) عام 1964، وتركز على الإصلاح الاجتماعي وإنهاء التمييز العنصري في الولايات المتحدة عن طريق سن قانون حقوق الانتخاب لعام 1965 وإنشاء وزارة الإسكان والتطوير الحضري. إلا أن هذه الخطة لم تحصل على التمويل الكامل بسبب ظروف حرب فيتنام.

❖ فيه إشارة إلى توجيه المحافظين تهماً إلى الرئيس السابق كلينتون بتأثره بأفكار اشتراكية وحتى شيوعية عندما قدم في برنامجه الانتخابي خطة للتأمين الصحي الشامل في الولايات المتحدة، وإشارة إلى مشاركة كلينتون في شبابه في مظاهرات مناهضة للحرب في فيتنام، وزيارته الاتحاد السوفيتي. أما الأسماء السابقة فهي أسماء خطط ومبادرات أو برامج اجتماعية من حكومات من الحزب الديمقراطي.

❖ كان هذا هو شعار حملة جورج بوش الابن للرئاسة عام 2000.

يوجد لدى أسرة بوش التي تعود في جذورها إلى إنكلترا شغف بتكرار أسماء أبنائها على الطريقة الملكية البريطانية، ولعل هذا ما يثير بعض الخلط والالتباس لدى القارئ العربي، والاسم الأوسط الذي يعطى للفرد عند ولادته middle name – وهو في العرف الغربي غير اسم الأب عندنا – يستخدم للتمييز بين أفراد الأسرة الذين يشتركون في الاسم الأول واسم العائلة وعادة ما يذكر الحرف الأول من الاسم الأوسط: فمثلاً بوش الأب يكتب على هذا النحو: George Herbert Walker Bush ويختصر على هذا النحو: George H. Bush أما بوش الابن فاسمه الكامل هو: George Walker Bush ويختصر على هذا النحو: George W. Bush. وعليه فعندما نذكر جورج دبليو بوش فالمقصود هو بوش الابن.

(1) نقلت هذه العبارات في عدد من المصادر الإعلامية بما فيها صحيفة النيويورك تايمز في عدد مارس/آذار 15، 2003.

(2) فوروارد، عدد 28 فبراير، 2003. (واستشهد كينزلي بتعليقات ظهرت على الإنترنت في موقع مجلة سليت www.slate.com في مقالة يعود تاريخها إلى 24 أكتوبر، 2002).

(3) المرجع السابق نفسه

❖ تدرك الجماعات اليهودية النشطة في المجالات الفكرية والسياسية وغيرها، أهمية وضع شخصيات غير يهودية في الواجهة الأمامية مع

احتفاظهم بالسلطة الفعلية في الداخل وذلك تسهيلاً لتقبل الرسالة من الجمهور المخاطب وقطع الطريق أمام إثارة الشكوك المعارضة.

(4) صحيفة هاآرتز الإسرائيلية عدد 9 إبريل/نيسان 2003.

❖ هكذا وردت في الأصل، ولابد من الإشارة إلى عدم الموافقة على هذه التسمية المنتشرة بكثرة في الكتابات الغربية، عن قصد أو بدون قصد، في تجاهل صارخ للحقائق التاريخية والواقعية لأن الخليج العربي هو خليج عربي من أوله إلى آخره، وحتى القبائل التي تسكن إقليم الأحواز المحتل أو خوزستان على ضفة الخليج في الدولة الفارسية هي قبائل عربية قح.

(5) Philip S. Golub. "Inventing Demons," Counterpunch magazine online at counterpunch.org, April 5, 2003. English – language translation re-published from LeMonde Diplomatique.

(6) Michael Lind. Made in Texas: George W. Bush and the Southern Takeover of American Politics. (New York: Basic Books, 2003) , p. 138

(7) Stanley Heller writing on Feb. 20, 2003 at antiwar.com

(8) Professor Paul Gottfried, March 20, 2003 at http: //www.lewrockwell.com/ gottfried/got – tfried47.html.

❖ سنشاهد في ثنايا هذا الكتاب أن التغلغل الصهيوني تمتد جذوره في مختلف الأطياف السياسية والتيارات الفكرية الأمريكية ولا ينحصر في اتجاه واحد بعينه، فهم ناشطون في الحكومة وفي المعارضة على حد سواء، وموجودون على دفتي النقاش في القضايا المهمة، لذلك نلاحظ سهولة تنقل هؤلاء من المعسكر الديمقراطي الليبرالي إلى المعسكر الجمهوري المحافظ.

(9) The Sacramento Union, June 29, 1986.

(10) Jonathan Clarke. The National Interest. Spring 2001.

(11) Michael Lind. Made in Texas: George W. Bush and the Southern Takeover of American Politics. (New York: Basic Books, 2003) , p. 132

(12) Distorting US Foreign Policy: The Israel Lobby and American Power." Michael Lind. Prospect, April 2002.

(13) المرجع السابق نفسه.

(14) Group Urges Pro – Israel Leaders' Silence on Iraq." Washington Post, Nov. 27, 2002.

(15) Michael Lind. Made in Texas: George W. Bush and the Southern Takeover of American Politics. (New York: Basic Books, 2003) , pp. 140 – 141.

(16) Time, February 17, 2003.

(17) Ha'aretz, February 18, 2003.

❖ رشح الرئيس بوش في فترة ولايته الثانية بولتون إلى منصب المندوب الأمريكي الدائم في الأمم المتحدة.

(18) المرجع السابق نفسه (هاآرتز)

(19) James Bennett writing in The New York Times, Feb. 27, 2003.

(20) See ADL website at adl.org. Statement issued dated March 21, 2003

(21) The Bloodstained Path," Dennis Kucinich. The Progressive, November 2002. 22 Statement by Congressman Kucinich found at: http: //www.kucinich.us

(22) Statement by Congressman Kucinich found at: http: //wwww.kucinich.us/

(23) US Congressional Record. Senate proceedings. March 19, 2003.

❖ استقال دوف زوكايم مؤخراً من منصبه. ويرأس زوكايم شركة خاصة اسمها System Planning Corporation متخصصة في تقنية التحكم والسيطرة الإلكترونية في مجال الدفاع والأمن. ويذكر أن زوكايم هو ordained Orthodox Jewish rabbi حاخام رسمي في الطائفة اليهودية الأرثوذكسية.

(24) Bill and Kathleen Christison, writing in Counterpunch magazine at counterpunch.org. Dec. 13, 2002

(25) Cited by Christison, Ibid.

(26) المرجع السابق

(27) Wall Street ,journal, March 21, 2003.
(28) New York Times, March 24,2003
(29) Forward, March 21, 2003.

(30)'المرجع السابق نفسه

(31) المرجع السابق نفسه.

(32) Michael Lind. Made in Texas: George W. Bush and the Southern Takeover of American Politics. (New York: Basic Books, 2003) , p. 138.

(33) Benjamin Ginsberg. The Fatal Embrace: Jews and The State. (Chicago: University of Chicago Press) , 1993., pp. 204 – 205.

(34) The Nation, March 22, 1986.

(35) The Neo – Conservatives: The Men Who Are Changing America's Politics. (New York: Simon & Schuster, 1979) , p. 1

(36) المرجع السابق ص 81.

(37) Frances Stonor Saunders. The Cultural Cold War. (New York: The New Press, 1999).

(38) Sidney Blumenthal. The Rise of the Counter – Establishment: From Conservative Ideology to Political Power. (New York: Times Books, 1986) , p. 148.

(39) المرجع السابق ص 159.

(40) Sidney Blumenthal, p. 154.

(41) The Washington Post, March 19, 2002.

❖ سيناتور سابق عن ولاية ميشيغان وينحدر من أصل لبناني وينتمي إلى الطائفة المسيحية الأرثوذكسية. لم يحتفظ بمنصبه في الولاية الثانية لرئاسة بوش.

(42) المرجع السابق.

(43) Eric Alterman. The Nation, Dec. 23, 1986.

❖ أذكر القارئ بأن الرسالة التي تضمنت وعد بلفور المشئوم الذي أصدره وزير الخارجية البريطاني عام 1917 ويقضي بتعهد الحكومة البريطانية

بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين كان موجهاً إلى اللورد وولتر روتشايلد سليل أسرة الإمبراطورية المالية المشهورة في أوروبا.

❖ شغلت لين تشيني زوجة نائب الرئيس دك تشيني منصب زميل أول senior fellow في هذا المعهد، مع العلم أنها تحمل درجة الدكتوراه في الآداب وهي من الناشطات في الحزب الجمهوري. وقد تعرفت على زوجها منذ أيام المرحلة الثانوية.

❖ اسم المكان الذي يضم تجمع مباني الحكومة الاتحادية البيت الأبيض والكونغرس والمحكمة العليا في واشنطن.

(44) Stephen D. Issaacs. Jews and American Politics. (New York: Doubleday & Company, 1975). p. 254.

(45) Anne Hessing Cahn, Bulletin of Atomic Scientists. April thebulletin.org/issues/1993/a93/a93Teamb.html

❖ من ذلك دعواته المتكررة إلى ضرورة وضع العرب والمسلمين في الولايات المتحدة في معسكرات اعتقال جماعية حماية لأمن البلاد ومنع هجرة المسلمين إلى أمريكا.

(46) Anne Hessing Cahn. Killing Détente: The Right Attacks the CIA,Pennsylvania: Pennsylvania State University Press, 1998) , p. 151.

(47) المرجع السابق نفسه ص 30.

(48) المرجع السابق نفسه ص 187.

(49) The Spotlight, Feb. 5, 1996

(50) المرجع السابق.

(51) John Ehrman. The Rise g/ Neo – Conservatism: Intellectuals and Foreign Affairs, (News Haven, Connecticut: University of Connecticut Press) , 1995., p. 112.

(52) Ginsberg, p. 205

(53) Ginsberg, p. 205.

(54) Richard Gid Powers. Not Without Honor: The History of American Anti – Communism. (Ness York: Free Press) , 1995, p. 393.
(55) New York Times, Nov. 23, 1981. 56 John Ehrman, pp. 139 – 141.
(56) John Ehrman, pp. 139 – 141.
(57) Anne Hessing Cahn in Bulletin thebulletin.org / issues / 1993 / a93 / a93Teamb.html.

❖ الترليون يساوي ألف مليار (أو ألف بليون بحسب النظام الإنجليزي).

(58) المرجع السابق.

(59) The Bryen affair is documented in detail in (Brattleboro, Vermont: Amana Books, 1977).

❖ كشف مؤخراً عن فضيحة أخرى للتجسس لصالح إسرائيل تتعلق بالإيباك وموظف في وزارة الدفاع اسمه لاري فرانكلين Larry Franklin وهو من المقربين من شبكة المحافظين الجدد ويشغل نائب دوغلاس فايث الرجل الثالث في وزارة الدفاع. وما زالت القضية رهن التحقيق.

(60) Business Week, May 21, 1984
(61) The Washington Post Magazine, April 13, 1986.
(62) U.S. Secrets and the Israelis." Boston Globe editorial. August 28, 1986.
(63) New York Times, May 3, 1986.
(64) All quoted remarks from: Wall Street Journal, Jan. 22, 1992.

(65) المرجع السابق.

(66) The Weekly Standard, March 17, 2003
(67) Bill Kristol, Keeping Iraq in the Cross Hairs," Washington Post. March 18, 2003.
(68) Washington Post, Aug. 21, 2001.
(69) All quotations: Ibid
(70) Michael Lind. Made in Texas: George W. Bush and the Southern Takeover of American Politics. (New York: Basic Books, 2003) , p. 131.

❖ ذكرنا سابقاً أن زوجته لين تشيني كانت هي الأخرى على ارتباط وثيق بالأمريكان إنتربرايز إنستيتوت. أحد معاقل المحافظين الجدد.

(71) The Boston Globe, March 23, 2003

(72) Bush's Grand Strategy," Andrew J. Bacevich, American Conservative, Nov. 4, 2002

(73) America's Age of Empire," Todd Gitlin. Mother Jones, Jan/Feb. 2003.

(74) Gitlin, [bid.

(75) In Praise of the Bush Doctrine," Norman Podhoretz, Commentary, Sept. 2002

(76) المرجع السابق نفسه.

❖ تستخدم تسمية الحرب العالمية الرابعة للدلالة على الحرب على الإرهاب أو الحرب الكونية القادمة، وقد شاع في أدبيات الصحافة الغربية استخدام تسمية الحرب العالمية الثالثة للدلالة على الحرب الباردة التي انتهت بانهيار جدار برلين وتفكك الاتحاد السوفييتي.

(77) المرجع السابق نفسه.

(78) The Washington Post, August 1, 2002

(79) The Washington Post, July 28, 2002

(80) المرجع السابق.

(81) Washington Monthly, June 2002

(82) المرجع السابق نفسه.

(83) المرجع السابق نفسه.

(84) The Washington Post, Oct. 16, 2002

(85) الاقتباسات كلها من ذات المصدر "الواشنطن بوست.

(86) المرجع السابق نفسه.

(87) Michael Lind. Made in Texas: George W. Bush and the Southern Takeover of American Politics. (New York: Basic Books, 2003) , pp. 133 – 134.

(88) time.com, Feb. 5, 2003

(89) New York Review of Books, February 13, 2003

(90) المرجع السابق نفسه.

(91) Washington Post, Jan. 13, 2003

(92) The Washington Post, Feb. 9, 2003.

(93) Washington Times, Feb. 14, 2003

(94) Michael Ledeen. The War Against the Terror Masters. (New York: Truman Talley Books/St. Martin's Press, 2002) , pp. 212 – 213.

(95) المرجع السابق نفسه ص 236.

❖ تم تنفيذ هذه التوصيات كاملة في فترة رئاسة بوش الثانية، حيث تم "تطهير" وكالة الاستخبارات المركزية من العناصر المعارضة لسياسات الحكومة وبخاصة بعد أن نقل الإعلام آراء بعض المحللين الذين يعارضون وجهات نظر الحكومة. وفي هذا السياق نقل عن السيناتور جون ماكين وصفه للوكالة قبل عملية التطهير بأنها "جهاز مارق" rogue organization على حد تعبيره.

أما وزارة الأمن القومي Department of Homeland Security فقد عهد بها إلى مايكل شيرتوف Michael Chertoff وهو ابن حاخام يهودي اسمه غيرشن باروخ شيرتوف ينحدر من أصل روسي وأمه إسرائيلية اسمها ليفيا آيسن وهي أول مضيفة عملت على خطوط شركة الطيران الإسرائيلية العال وشاركت في عملية "البساط السحري" التي نقل فيها آلاف اليهود من اليمن إلى إسرائيل.

❖ وذلك بسبب ربطه القروض الأمريكية لإسرائيل بالتعهد بعدم بناء مستوطنات في الأراضي المحتلة، وضغطه على الحكومة الإسرائيلية بالدخول في مفاوضات متعددة الأطراف للسلام (مؤتمر مدريد) عقب تحرير الكويت.

(96) The Washington Post, Oct. 30, 1993. 97 The New Yorker, April 7, 2003.

(97) The New Yorker, April 7, 2003

(98) Michael Lind. Made in Texas: George W. Bush and the Southern Takeover of American Politics. (New York: Basic Books, 2003) , p. 157.

❖ وهي الكلمة التي عبر عنها القرآن الكريم بالأميين، في قوله تعالى عن بني إسرائيل "... ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل" الآية 20 من سورة آل عمران.

(99) The New Republic, Jan. 29, 2001

(100) Kathleen & Bill Christison in Counterpunch magazine at counterpunch.org. Dec. 13, 2002

(101) Benjamin Ginsberg. The Fatal Embrace: Jews and The State. (Chicago: University of Chicago Press) , 1993, p. 211.

(102) Lind, p. 149.

(103) Born Again Zionists," Ken Silverstein and Michael Scherer. Mother Jones, Sept./Oct.2002.

(104) المرجع السابق نفسه

(105) Silverstein & Scherer, Mother Jones. Ibid.

(106) المرجع السابق نفسه.

(107) Lind, p. 148. 108 Ibid.

(108) المرجع السابق نفسه.

(109) المرجع السابق.

(110) Congressional Record, Senate. March 4, 2002.

(111) Cited in Michael Lind. Made in Texas: George W Bush and the Southern Takeover of American Politics. (New York: Basic Books, 2003) , p. 153.

(112) The Washington Times, Jan. 22, 2003

(113) المرجع السابق.

(114) المرجع السابق ص 148.

(115) Until otherwise noted, all quotations which follow are excerpted from: Edward Herman and Gerry O'Sullivan. The 'Terrorism'

Industry: The Experts and Institutions That Shape Our View o% Terror. (New York: Pantheon Books, 1989).

❖ المقصود بمنظمات الواجهة organization front المنظمات الدينية والجماعات السياسية والاجتماعية العربية التي تقوم بنشاطات مشروعة والمؤسسة وفق أحكام القانون ولكنها تعتبر في نظر هؤلاء واجهة أمامية لمنظمات إرهابية.

(116) John F. Sugg, Fair EXTRA, January/February 1999 at www.fair.org/extra/9901/emerson.html

❖ اقتبس صمويل هنتينغتون (وهو الآخر صهيوني يلبس قناعاً أكاديمياً) هذا المصطلح وبنى عليه أطروحته المشهورة حول صراع الحضارات عام 1993 والتي نشرت على شكل مقال مطول في مجلة فورن أفيرز ثم طورت على شكل كتاب عام 1996.

(117) Anis Shivani, writing in Counterpunch magazine at counterpunch.org, Sept. 14 – 15, 2002

(118) المرجع السابق نفسه.

(119) المرجع السابق.

(120) New York Times, April 5, 2003

(121) Cited by Lamis Andoni, writing in "Bernard Lewis: In the Service of Empire" published online at The Electronic Intifada, Dec. 16, 2002 (see electronicIntifada.net).

(122) المرجع السابق نفسه.

(123) المرجع السابق نفسه.

(124) American Renaissance, Nov. 1993.

(125) American Free Press, March 11, 2002

❖ يجدر التنويه إلى أن زبيغنو بريجنسكي – وهو مستشار الأمن القومي للرئيس السابق جيمي كارتر، وعضو مجلس العلاقات الخارجية CFR ومؤسس اللجنة الثلاثية بدعم من الروكوفلر، والمدرس برتبة أستاذ في مركز الدراسات الدولية والإستراتيجية التابع لجامعة جون هوبكنز،

وله صلات بوولفويتس والمحافظين الجدد رغم أنه يحسب على الاتجاه الليبرالي – قد ألمح إلى أهمية "بيرل هاربر" في حشد الرأي العام الأمريكي لتأييد العمليات العسكرية الأمريكية في الخارج وذلك في كتاب له بعنوان "رقعة الشطرنج الكبرى: التفوق الأمريكي ومستلزماته الجيوستراتيجية" The Grand Chessboard: American Primacy and its Geostrategic Imperatives والمنشور عام 1997. وفي معرض بسطه لضرورة وأهمية الحفاظ على الهيمنة الأمريكية حول العالم وبخاصة في منطقتي آسيا وأوروبا وعدم السماح لظهور أي قوة منافسة، كتب بريجنسكي يقول: "إن موقف الرأي العام الأمريكي تجاه استعراض القوة الأمريكية في الخارج كان دائماً موقفاً معارضاً. وقد كان تأثير الصدمة التي أحدثها الهجوم الياباني على ميناء "بيرل هاربر" هو السبب الرئيسي وراء التأييد الشعبي لدخول الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية" ص 24 – 25.

(126) James Bamford, Body of Secrets. (New York: Doubleday, 2001) , p. 71.

(127) المرجع السابق ص 82.

(128) المرجع السابق نفسه.

(129) المرجع السابق ص 83.

(130) المرجع السابق.

(131) المرجع السابق صفحة 84 – 85.

(132) Thomas Kiernan. The Arabs. (Boston: Little Brown & Company, 1975), p. 425

(133) المرجع السابق.

(134) المرجع السابق نفسه.

(135) المرجع السابق نفسه.

(136) المرجع السابق نفسه.

(137) ما لم ترد إشارة بغير ذلك، جميع الاقتباسات التي ستظهر لاحقاً بين إشارتي التنصيص مأخوذة عن مجلة شؤون الأمن الدولي Journal of International Security Affairs عدد صيف عام 2003 التي تصدر عن المعهد اليهودي للأمن القومي ومقره واشنطن العاصمة، أنظر موقعهم على الإنترنت www.jinsa.org.

(138) ما لم ترد إشارة بغير ذلك، جميع الاقتباسات التي ستظهر لاحقاً بين إشارتي التنصيص مأخوذة عن مجلة شؤون الأمن الدولي Journal of International Security Affairs عدد شتاء عام 2004 التي تصدر عن المعهد اليهودي للأمن القومي ومقره واشنطن العاصمة، انظر موقعهم على الإنترنت www.jinsa.org.

رسالة من المؤلف:

Michael Collins Piper
P.O.Box 15728
Washington, DC 20003
Email: piperm@lycos.com

عزيزي القارئ:

لقد أوضحت في كتابي الأول "الحكم النهائي" كيف ولماذا استطاع اللوبي الإسرائيلي ان يصبح بهذه القوة في واشنطن كنتيجة مباشرة لاغتيال جون إف كينيدي.

وبالطبع هناك من يرفض (لأسباب اتفهمها جيداً) الاعتراف بأن اتهامي لجهاز الموساد الإسرائيلي كان لاعباً اساسياً في اغتيال الرئيس السابق كينيدي هو اتهام مبني على أدلة ثابتة وحجج دامغة وموثقة.

وعلى اية حال، فإن ما هو خارج نطاق الجدل والمناقشة هو ان تحولاً فورياً بمقدار 180 درجة لا يمكن إنكاره طرا على السياسة الخارجية الأمريكية فيما يخص إسرائيل والعالم العربي وان قوة اللوبي الإسرائيلي تغلغلت إلى درجات غير مسبوقة في الحكومة الأمريكية عقب ذلك الحدث المؤسف.

وفي "كهنة الحرب الكبار" قمت بمعاينة القوى المتشددة للمحافظين الجدد التي تشكل العمود الفقري في اللوبي الإسرائيلي اليوم. لقد استخدموا سلطاتهم بأسلوب جرّ المصائب والكوارث على امريكا وعلى بقية العالم. وإنه لمن المؤكد أن يؤدي إلى مزيد من الدمار في المستقبل القريب. إنهم مجرمون قتلة من غير وازع أو ضمير يردعهم. وإنني لا اتردد في قول ذلك.

إن الكتابة حول هذا الموضوع قد يوصف "بالتشدد" أو إثارة الجدل، ولكن، وكما يقولون، "إنها مهمة قذرة ويجب ان ينهض بها احد ما" إنني لا اعتذر لأحد عن قول الحقيقة.

لذلك فإنني اقدر دوماً الدعم والنقد البناء الذي أتلقاه من قرائي على مر السنين، وإنني اتطلع دائماً إلى رسائلكم العادية والإلكترونية وسماع ما تودون قوله.

وتقبلوا مني خالص المودة

مايكل كولينز بايبر

إسرائيل العظمى من النيل إلى الفرات

كتاب يمثل صدمة وعي

يتميز هذا الكتاب بالصراحة والوضوح وهو أهم كتاب كشف اليهودية الصهيونية المستغلة لأمريكا حكومة ومؤسسات، وكيف هذه العصابة العالم واستغلت القوة الأمريكية لصالحها ودمرت أمريكا بالعالم، إنه وثيقة تاريخية وسياسية لا يستغني عنها قا بدور الأقليات والعصابات النافذة في الإمبراطوريات الكبرى.

وستبقى الرؤية منقوصة للأحداث مالم يلم المثقف بهذا ال

ISBN:8-841-40-9960

